
الزواج السياسي
في عهد الدولة العباسية
تأليف
الدكتورة وفاء محمد علي
دار الفكر العربي
al-maktabeh.com

الزواج السياسى

فى عهد الدولة العباسية

تأليف

الدكتور / وفاء محمد على

أستاذ التاريخ الإسلامى المساعد

بكلية الآداب - جامعة أسيوط



الطبعة الأولى ١٩٨٨م

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربى

١١ شارع جواد حسنى - القاهرة

ص ب ١٣٠ ت : ٣٩٢٥٥٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا" صدق الله العظيم


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

بين يدى الكتاب

لفت نظرى فى اثنــاء قراءاتى فى الدولة العباســية فى عصرها الأول والثانى على السواء ، وما اشتمل عليه عهدها من زمن الحروب الصليبية ، وما ضمنته من دول كانت خاضعة لها من الناحية الاسمية كالدولة الطولونية والدولة الأيوبية فى مصر ، لفت نظرى ظاهرة لعبت دورا هــاما فى تاريخ تلك الدولة هى ظاهرة الزواج السياسى ، وقد وجدت تلك الظاهرة سبيلها فى عهد الدولة بطوله ، وفى شتى البلاد التى كانت تابعة لها .

والزواج السياسى فى جوهره يعنى اول ما يعنى زواج المصلحة دون النظر الى الهدف الحقيقى من الزواج كما رسمته الشرائع السماوية الذى هدفه بناء عائلة جديدة قائمة على اسس من المودة والرحمة .

وهذا الزواج المصلحى عرفته البشرية منــذ القدم ، وما زالت تعرفه حتى اليوم ، وهوكما يوجد على مستوى الأسرات الحاكمة يوجد فى أوساط الناس وبسطائهم ، ولا خلاف الا فى قيمة ما يستهدف من ورائه .

لفتت نظرى هذه الظاهرة فى العهد العباسى أوله وثانيه فى عراقه ومصره وشــــامه ، حيث برزت تلك الظاهرة واضــحة الأهداف محــددة المقاصد : كالرغبة فى الاستيلاء على ملك ، أو ضم مدينة ، أو الطموح الى سيطرة ، أو اكتسابا للشرعية ، أو كسبا للرأى العام ، أو التقوى بقوى ، أو بلوغ الشرف بالاصهار الى من يجل مقامه .

ولم ينجح الزواج السياسى أو الطموح اليه فى كل حال فى تحقيــق الأهداف التى ترجى من ورائه ، بل ربما قادت بعض الطموحات اليــه الى الموت والهلاك ، وان أتى البعض منــه ثماره يانعــات ، وجنى من ورائه ما طمح اليه وزيادة .

وقد قسمت هذا البحث الى أربعة فصول هى :

الفصل الأول : الزواج السياسى فى عهد خلفاء العصر الأول ، وتناول هذا الفصل عدة موضوعات : اولها : طموح ابى مسلم الخراسانى الى مصاهرة الخلافة العباسية ، وفيه تناولت قيام الدولة العباسية على اكتاف العنصر الفارسى بوجه عام ، ودور أبى مسلم الخراسانى فيها بوجه خاص فى مناصرة الدعوة العباسية منذ بدء ظهورها السرى حتى انتصارها على الامويين ، وكيف كانت طموحات هذا الرجل مجنحة ، وكيف سعى لطموحه سعيه الذى كان احدى وسائله الزواج من ابنة عبد الله بن على العباسي عمة المنصور ، وكيف حاول من اجل ذلك الانتساب الى العباسيين ، وكيف انتهى الأمر بذلك الرجل نتيجة لذلك وغيره .

أما ثانى الموضوعات فى هذا الفصل : فيتناول زواج جعفر بن يحيى البرمكى من العباسة أخت هارون الرشيد بين الأسطورة والحقيقة ،وهذا موضوع حاول المؤرخون قديما وحديثا معرفة حقيقته ، فأيده بعضهم تأييدا تاما ، ونفاه بعضهم نفيا قاطعا ، وجعل الأولون سبب نكبة البرامكة الأول هو ذلك الزواج ، وارجع الآخرون نكبة البرامكة الى اسباب اخرى ؛ وقد رأيت فى هذا الموضوع رأيا جديدا لا ينفى قصة الزواج تماما ، ولا يقطع بحدوثها أيضا ، ورأيت فى دراستى لهذا الموضوع خطا واحدا ، وهدفا واحدا يتشابهان لدى البرامكة وأبى مسلم الخراسانى وهما الاصهار الى الخلافة والانتساب الى نسب عربى لنفس الهدف ذى الطموح المجنح ، وكيف تشابهت فى النهاية نهاية جعفر البرمكى بنهاية أبى مسلم الخراسانى .

أما ثالث موضوعات هذا الفصل فتناول : « الزواج السياسى فى عهد الخليفة المأمون » ، والحق أن عصر المأمون حفل بأكثر من زيجة سياسية ، فقد تزوج المأمون نفسه من بوران بنت الحسن بن سهل وزيره الفارسي ،

كما حاول تزويج الفضل بن سهل وزيره وصاحب الفضل عليه فى صراعه مع اخيه الأمين من احدى بناته .

كما تضمن كذلك زواجين آخرين — بعد تحول موقف المأمون ضد العلويين — وهما زواج على بن موسى الكاظم (على الرضا) بابنته ام حبيب ، وزواج محمد الجواد بن على الرضا من ابنته الأخرى أم الفضل ؛ وتتبعت فى كل زيجة تحرى الدوافع ومعرفة النتائج .

وتناول الفصل الثانى : « الزواج السياسى فى عهد نفوذ الأتراك ونفوذ البويهيين » ، وقد اشتمل الزواج فى عهد نفوذ الأتراك على عدة زيجات سياسية على عدة مستويات، فشهد فى مصر: زواج احمد بن طولون من ابنة ابن المدبر والى الخراج فى مصر ، ، ودب الصراع بينه وبين احمد ابن طولون منذ أن وطئت قدما ابن طولون أرض مصر ، وقد حاول كل من الرجلين : احمد بن طولون واحمد بن المدبر تهدئة الصراع ، وتحقيق الكسب على حساب الآخر ، فتم من أجل ذلك هذا الزواج ، وان لم يتحقق من ورائه ما هدفا اليه .

أما الزواج الثانى فتم بين الخليفة المعتضد بالله العباسى وبين قطر الندى ابنة خمارويه بن احمد بن طولون ، واتخذ هذا الزواج صورة اسطورية فى تجهيزاته وتكاليفه التى اجهدت دولة الطولونيين فى مصر ، فأفقرتها واقفرت خزائنها نتيجة اسراف خمارويه الشديد ، وقد تم هذا الزواج لأغراض سياسية هدف اليها كل من خمارويه فى مصر ، والخليفة المعتضد فى بغداد.

وعلى مستوى آخر — فى عصر نفوذ الأتراك — ناقشت موضوع مصاهرة ام موسى القهرمانة فى عهد الخليفة المقتدر لاحمد بن المتوكل على الله، ، وماذا كانت اهداف تلك السيدة ، وهل تحققت هذه الأهداف التى رمت اليها ، ولماذا ؟

أما عهد نفوذ البويهيين فقد حفل بالعديد من هذه الزيجات ، وكانت للبويهيين أهدافهم السياسية من وراء تلك الزيجات ، فشهد هذا العهد زواج الخليفة الطائع لله من شاهرنان ابنة عز الدولة البويهى ، وزواجه من ابنة عضد الدولة أقوى ملوك بنى بويه .

أما الخليفة القادر بالله فقد تزوج من سكينة ابنة بهاء الدولة البويهى .

وشهد عصر نفوذ البويهيين على مستوى آخر مصاهرة بين بهاء الدولة البويهى ، وبين مهذب الدولة الوالى القوى على البطائح المتغلب عليها ، فتزوج مهذب الدولة على بن نصر من ابنة بهاء الدولة البويهى ، وكذلك تم زواج ابن بهاء الدولة من بنت مهذب الدولة .

واختتم عهد البويهيين وهو فى طريقه الى الأفول بمصاهرة بين البويهيين والسلاجقة الذين سيخلفونهم فى التسلط على الخلفاء العباسيين ، حيث تمت مصاهرة بين أبى كاليجار البويهى ، وبين ابنة الملك داود أخى طغرلبك ، كما تزوج طغرلبك من ابنة أبى كاليجار ، وكان ذلك لأهداف سياسية واضحة .

وتناول الفصل الثالث : « الزواج السياسى فى العهد السلجوقى » الذى قسمته الى قسمين هما : المصاهرة بين السلاطين والخلفاء ، والزواج السياسى فى العهد الأتابكى ؛ ففى القسم الأول برزت العديد من الزيجات على مستويين مختلفين : (أ) زواج الخلفاء من بنات السلاطين ، فتزوج الخليفة القائم بأمر الله خديجة المعروفة بأرسلان خاتون بنت الملك داود أخى السلطان طغرلبك ، كما تزوج الخليفة المقتدى بالله ابنة السلطان ملكشاه آخر سلاطين السلاجقة العظماء ، أما الخليفة المستظهر بالله فتزوج من الخاتون العصمة أخت محمد بن ملكشاه ، كما تزوج الخليفة المقتفى

لأمر الله الخاتون فاطمة بنت محمد بن ملكشاه أخت السلطان مسعود .
(ب) زواج السلاطين من بنات الخلفاء — وهو أمر يحدث لأول مرة فى التاريخ الاسلامى — فتزوج السلطان السلجوقى طغرلبك من ابنة الخليفة العباسى القائم بأمر الله رغما عن ارادة الخليفة والرأى العام .

وفى القسم الثانى : « الزواج السياسى فى العهد الأتابكى » ، ذلك العهد الذى هو جزء من العهد السلجوقى ، أو هو وليد النظام السلجوقى فى الادارة ، وقد شهد هذا العهد العديد من الزيجات السياسية تمثلت فى زواج طغتكين من السيدة زمرد خاتون حيث صار وصيا على ابنها ، ثم صاحبا لدمشق مؤسسا لدولة البوريين بها ، وزواج عماد الدين زنكى من ابنة رضوان صاحب دمشق الأسبق ، ثم من أم أمير دمشق « أنر » رجل دمشق القوى ، وكان لكل زيجة من تلك الزيجات أهدافها السياسية التى نجحت حينا كما أخفقت حينا آخر .

وتناول الفصل الرابع والأخير : « الزواج السياسى فى عهد الدولة الأيوبية وحتى قيام دولة المماليك » ، وتناول هذا الفصل عدة موضوعات هى : « الزواج السياسى فى عهد صلاح الدين الأيوبى » ، وقد حفل عهده بعديد من تلك الزيجات ، فتزوج هو نفسه من الخاتون عصمة الدين ابنة الأمير معين الدين انر وأرملة مولاه نور الدين محمود ، وكان لهذا الزواج أهدافه السياسية ، كما كانت له نتائجه كذلك ؛ وتم كذلك فى هذا العهد زواج سعد الدين مسعود بن أنر أخى زوجة الخاتون عصمة الدين من ربيعة خاتون أخت صلاح الدين .

كما تزوج محمد بن أسد الدين شيركوه ابن عم صلاح الدين من أخت صلاح الدين ست الشام بنت أيوب ، كما تزوجت هذه السيدة « ست الشام » بعد وفاة محمد بن أسد الدين شيركوه من مظفر الدين كوكبورى ابن زين الدين صاحب حران ثم صاحب اربل .

وتناول ذلك الفصل كذلك : « مشروع زواج اسلامى صليبى لم يتم »، وكان ذلك فى أثناء مفاوضات الصلح التى جرت بين ريتشارد قلب الأسد وصلاح الدين حيث عرض ريتشارد تزويج الملك العادل اخى صلاح الدين — من أخته الملكة جوانا التى كانت ملكة صقلية ، ثم رغب بعد ذلك فى تزويجه من اليانور كونتيسه بريتانى ابنة أخته ، وكانت الدوافع لاتمام ذلك الزواج سياسية فى جوهرها ، ولكن لم يكتب لأيهما النجاح .

ثم تناول ذلك الفصل فترة « ما بعد صلاح الدين » ، وقد دارت زيجات تلك الفترة حول ابناء صلاح الدين وبنات أخيه الملك العادل ، وكذلك الكامل بن العادل وابنة صلاح الدين الوحيدة مؤنسة خاتون ، فقد تزوج الملك العزيز بن صلاح الدين احدى بنات العادل ، بينما تزوج الملك الظاهر بن صلاح الدين ابنتين من بنات العادل هما غازية خاتون ثم صفية خاتون بعد وفاة غازية .

واختتم عصر العادل بمشروع زواج وافق عليه الملك الكامل فى حياة أبيه ، وهو أن يتزوج العزيز محمد بن الملك الظاهر صاحب حلب من ابنته استجابة لرغبة الظاهر قبيل وفاته .

أما آخر موضوعات هذا الفصل ، والذى يشهد نهاية عصر الدولة الأيوبية وبداية دولة المماليك ، فيتناول « زواج شجر الدر من عز الدين أيبك » ، وقد جمع هذا الزواج بين شجر الدر أرملة الملك الصالح ايوب من قائد جيشها عز الدين أيبك الذى تم تحت ظروف سياسية واجتماعية بالغة الدقة ، وقد شهد عهد شجر الدر كذلك أربعة مشروعات زواج لم تتم هى : زواج شجر الدر من الناصر يوسف صاحب دمشق، وزواجها من الأمير عز الدين الحلبى أحد كبار المماليك البحرية ، وكذلك زواج عز الدين أيبك من ابنة الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل .

أما رابع هذه المشروعات فهو زواج زعيم المماليك البحـــرية فارس الدين اقطاى من ابنة الملك المظفر تقى الدين صاحب حماه .

وكان وراء كل زواج من ذلك دوافعه السياسية التى وضـــحها ذلك الفصـــــل .

وبانتهاء هذا الفصل يكتمل ذلك البحث الذى اســـتعنت فى اعداده مستشــعرا اهميته — بالمصادر الأصلية وبالعديد من المراجع العربيـــة والأفرنجية .

ثم اتبعت البحث بعدد من الملاحق التى تعين القـــارىء على عموم الفائدة .

وفى الختام ، فهذا موضوع أعتقـــد انه جديد فى بابه تناول ظاهـــرة سادت عصر الدولة العباسية ، وكان لها الكثير من الآثار السياســـية ؛ ورغم ما تجشمت فى سبيل متابعته ، واســـتخلاص أسبابه ونتائجه ، فان الثمار التى توصل اليها البحث كانت جديرة بما بذل فى سبيلها من جهد.

والله اسأل أن اكون قد وفقت فى تقديم دراسة جديدة جادة تضاف الى غيرها من الدراسات فى تاريخ الدولة العباســـية .

والله سبحانه الموفق وعليه قصد السبيل .

دكتور وفاء محمد على

القاهرة فى ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م

الفصل الأول
الزواج السياسي
في عهد خلفاء العصر الأول



(١)

« طموح ابى مسلم الخراسانى الى مصاهرة الخلافة »

كان اعتماد العباسيين كبيرا بل كليا على الفرس فى اقامة دولتهم ، وكان اعتمادهم على الخراسانيين بوجه خاص الذين دعوا لهم ، واقاموا دولتهم بسواعدهم .

وكان لابد للفرس وقد كللت جهودهم بالنجاح ان يطمحوا الى ان يجنوا ثمار جهودهم نفوذا وقوة وسيطرة .

وكان ابرز هؤلاء الفرس ابو مسلم الخراسانى (١) صاحب الدور المرموق فى اقامة صرح الخلافة العباسية ، وقائد الثورة العباسية الذى كان من اقوى العاملين لنجاح الدعوة السرية العباسية (٢) ، والذى تولى تنفيذ الخطة الحربية التى بدات بالزحف الخراسانى نحو العراق والشام ، وانتهت بسقوط دولة الأمويين الذين حاربهم ابو مسلم بحماس لا مثيل له ، حتى انه ليعد بحق السبب فى اسقاط دولة واقامة دولة اخرى (٣) . وكانت خطته تعتمد على اثارة العصبية القبلية بين القبائل العربية فى

---

(١) من سادة خراسان ، وكان يسمى ابراهيم بن عثمان ، ويكنى ابا القاسم ، فلما اتصل بابراهيم الامام ، أمره بتغيير اسمه الى عبد الرحمن ابن مسلم ، وكناه ابا مسلم ، وقيل انه كان مولى ابنى معقل العجلى ، رآه بكير بن هامان داعية العباسيين بالكوفة ، فأحب ان يضمه الى اصحابه ، فاشتراه من سادته بأربعمائة درهم ، ثم ارسله بكير بعد مدة الى ابراهيم الامام بالحميمة .

Ency. de L'Isl, (art : Abu Muslim) T.I, P. 145.

(٢) AMIR Ali, A short history of the saracenes, p. 157 & H. IBRAHIM, Islamic and history culture, P. 102.

(٣) Saunders, A history of medieval Islam, P. 107.

خراسان ، والاعتماد من ناحية اخرى على عقيدة أو مبدأ الحق الالهى الذى يستهوى الفرس (٤) فى تجميع الخراسانيين حول « الرضا من آل محمد » أو « الرضا من آل بيت النبوة » .

وقد كان أبو مسلم ماهرا غاية المهارة فى خدمة العباسيين قبل نجاح دعوتهم ، وبعد أن تم لها النجاح ، ولذلك لا غرو أن صار يعرف بأمين آل محمد أو أمير آل محمد ، وكذلك بسيف آل محمد .

وقد قال عنه ابراهيم الامام : « انى قد جربت هذا الأصبهانى ، وعرفت ظاهره وباطنه ، فوجدته حجر الأرض » (٥) ، وقال المأمون وقد ذكر أبو مسلم عنده : « أجل ملوك الأرض ثلاثة ، وهم الذين قاموا بثقل الدول : الاسكندر ، وأردشير ، وأبو مسلم الخراسانى » (٦).

وكان أبو مسلم الخراسانى صاحب الفضل الأول فى رفع أعلام العباسيين السوداء (٧) الذى كان يعنى سقوط امبراطورية الامويين وانتقال الأمر الى العباسيين .

---

(٤) H. IBRAHIM, Islamic and history culture, P. 104.

(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٣ ص ١٤٧ .

(٦) ابن خلكان : نفس المصدر جـ ٣ ص ١٤٧ .

(٧) كان السواد شعار العباسيين منذ كانوا ، لأنه كان لون علم الرسول فى بعض معاركه الشهيرة ، ولقد خدمهم هذا اللون اذ كان يعنى شعورا بالحزن العميق على كثرة الضحايا ، وكان يعنى الجدية والقسوة والصرامة فى وقت كانت فيه هذه الصفات مرغوبا فيها ، وقيل انهم تقدموا للحرب فى معركة الزاب الشهيرة وهم يجللون انفسهم وحيواناتهم بالسواد القابض ،وكأنهم كانوا يسيرون فى جنازة كبرى ، فحدث أن تجمعت بعض الغربان فقال الناس : انها الملائكة قد جاءت تبارك هذه الحركة الصاعدة .
على حبيبة : العباسيون فى التاريخ ص ١٣١ حاشية رقم ٣
كما يقال ان اتخاذ العباسيين اللون الأسود شعارا لهم كان كناية عن حزنهم لسقوط قائدهم ابراهيم الامام الذى تخلص منه مروان الثانى بقتله .
H-IBRAHIM, Islamic and history culture, P.102.

وقد اعتمد العباسيون عليه فى كسر شوكة بعضهم بعضا ، فقد اعتمد عليه ابو جعفر المنصور فى اخماد حركة عمه عبد الله بن على التمزدية التى كان يهدف عبد الله من ورائها الى ان يصير الخليفة بعد ابى العباس السفاح على اساس ان ابا العباس جعل الخلافة من بعده لمن انتدب لقتل مروان ابن محمد (٨) ، فكان نتيجة ذلك كله أن صار ابو مسلم الخراسانى الشخصية الثانية فى الدولة العباسية بعد ابى جعفر المنصور .

وكان ابو مسلم الخراسانى قد تولى خراسان بعد قيام الدولة العباسية ، وهى قطر ذو اهمية خاصة يستمدها من انه القطر الذى انطلقت منه شرارة الدولة العباسية ، كما انه القطر الذى يزخر بأنصارها.

وكان ابو العباس السفاح لا يقطع أمرا دونه ، بل كان هناك جواسيس لأبى مسلم فى بلاط السفاح ينقلون اليه ما يجرى فى البلاط (٩)

وكان ابو مسلم الخراسانى يرغب فى التفرد بالمكانة والسطوة ، ولذلك عمل على التخلص من كل ذى سطوة أو نفوذ ، فقتل سليمان بن كثير الخزاعى أول النقباء الاثنى عشر دون أن يستشير احدا ، كما انه كان السبب فى قتل ابى سلمة الخلال (١٠) الذى كان يلقب بوزير آل محمد ، مع انه

---

(٨) جمال سرور : الحياة السياسية فى الدولة العربية الاسلامية ص ١٨٠ وانظر : عبد المنعم ماجد : العصر العباسى الأول ص ٥٦ .

(٩) عبد المنعم ماجد : العصر العباسى الأول ص ٦١ .

(١٠) H-IBRAHIM, Islamic and history culture, P.102.

وابو سلمة الخلال هو ابو سلمة حفص بن سليمان الخلال أحد الموالى، ولقب بالخلال لقرب منزله بالكوفة من محلة الخلالين ، ولأنه كان يجالسهم ، أو لأنه هو نفسه كان صاحب حوانيت يعمل فيها الخل ، أو انه نسب الى خلل السيوف وهى أغمادها . انظر : الفخرى فى الآداب السلطانية ص ١٥٢ — ١٥٤ وانظر :

Ency. de L'Isl, (art Abu Salama Al-Khallal, T2p. 153.

— اى ابى مسلم — كان تابعا له فى بداية الثورة ، وكذلك اشار ابو مسلم بقتل عدد كبير من رجالات العرب كيزيد بن هبيرة (١١) . ولقد احصى من قتلهم ابو مسلم فكانوا ستمائة الف (١٢) ، ولئن كان هذا العدد مبالغا فيه بنسبته الى ابى مسلم وحده فانه يدل على انه رجل كانت له مكانة كبيرة فى الدولة العباسية ، بل كانت له اليد العليا فى تلك الدولة ، وكان ابو مسلم كلما قتل احدا ادعى انه قتله لأنه يغش الامام ، وذلك منه ارضاء للعباسيين مظهرا بذلك تاييده وانه يعمل لهم ، وفى الواقع انه كان يخطط لمصلحة يُراها ويكتم امرها (١٣) .

وكان ابو مسلم الخراسانى شخصا طموحا ادرك مدى طموحه كل من ابى العباس السفاح وابى جعفر المنصور ، وكانا يخشيان منه على الخلافة العباسية ، وراودتهما فكرة التخلص منه ، فقد قال المنصور للسفاح يحرضه على قتل ابى مسلم ، وبين له السبب فى ذلك حيث قال له : « اطعنى واقتل ابا مسلم ان فى راسه لغدرة » ، فقال السفاح له : « يا أخى قد عرفت بلاءه وما كان منه » . فقال ابو جعفر : « انما كان بدولتنا ، والله لو بعثت سنورا لقام مقامه وبلغ ما بلغ » فقال : « كيف نقتله ؟ » قال : « اذا دخل عليك وحادثته ضربته اناس خلفه ضربة تقتله بها » قال : « فكيف بأصحابه ؟ » قال ابو جعفر : « لو قتل لتفرقوا وذلوا » . فوافق السفاح على قتله ، ولكن سرعان ما راجع نفسه بعد خروج ابى جعفر ، وطلب منه الا يقدم على ذلك (١٤) .

---

(١١) عبد المنعم ماجد : العصر العباسى الأول ص ٦١ .

(١٢) ولعل الأصوب ما قيل انه احصى الذين قتلهم الدعاة والشيعة بخراسان والعراق والشام ، وما امر السفاح بقتله ، وما تولاه عمه عبد الله بن على واهله واخوه فكانوا ستمائة الف .
ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٣ ص ١٤٨

(١٣) محمود شاكر : تاريخ الخلافة العباسية ، جـ ١ ص ١٠٤ .

(١٤) محمود شاكر : نفس المصدر جـ ١ ص ١٠٤ .

ولعل تلك الغدرة التى تحدث عنهـا ابو جعفر تعنى طموحه الى الخلافة ، ولعل بعض المؤرخين قد عنى ذلك حين قال عنه : « انه كان يخطط لمصلحة يراها ويكتم أمرها » وليس بمستبعد أن يخطط أبو مسلم للاطاحة بخلافة العباسيين كما أطاح بخلافة بنى أمية .

وقد سعى ابو مسلم الخراسانى لهذا الأمر سعيه وذلك على اتجاهين :

الأول : ادعاؤه بأنه من ولد سليط بن عبد الله بن العباس ، وبذلك فانه اذا كان من شرط تولى الخلافة أن يكون الخليفة قرشيا عربيا ، فهو من هذا الوجه من بنى العباس » .

وقد قال صاحب العيون فى هذا الادعاء : « فقد ادعى بأنه ابن سليط بن عبد الله بن عباس ، وهذا سليط زعم أن أمه كانت أمة لعبد الله ابن عباس ، وأن عبد الله ليس فى أمره مما يدل على انه ولد بل كان عبدا يخدم ، فلما صار بنو مروان بالحميمة من أرض الشراة جرى لهذا سليط مع على بن عبد الله منافرة ، فصار الى دمشق فى بستان يعمره ، وتزوج فأولد ،فزعم أبو مسلم أنه من ولده » (١٥) .

الثانى : ابداء رغبته فى الزواج من عمة الخليفة المنصور المسماة آسية بنت على (١٦) ، وهذا الزواج الذى كان يهدف اليه أبو مسلم الخراسانى لم يكن الغرض منه ذات الزواج ، وانما كان الهدف من ورائه تأكيد أصله العربى الذى ادعاه ، وتأكيد انه من ولد سليط بن عبد الله بن العباس ، حيث كان الخلفاء لا يرضون بتزويج بناتهم من غير ذى أصل

---

(١٥) مؤرخ مجهول : العيون ص ١٨٣ .

(١٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ ص ١٥٣ ، وفى الكامل ج ٤ ص ٣٥٤ آمنة بنت على ، وتدعى كذلك أمينة .

عربي ، ولو قبل الخليفة ذلك لكان معناه الاعتراف الصريح بنسب أبى مسلم الذى ادعاه .

ولم يكن ابو مسلم ممن يتوق الى النساء كثيرا ، يؤكد ذلك ما حكاه عنه المدائنى من انه كان « لا ياتى النساء فى السنة الا مرة واحدة ، ويقول : الجماع جنون ، ويكفى الانسان ان يجن فى السنة مرة » (١٧).

اما وقد فطن ابو جعفر المنصور الى ذلك الأمر فى تفكير ابى مسلم فقد قرر عندما صار الخليفة تنفيذ ما سبق واقترحه على ابى العباس السفاح ، وزاد فى دفعه الى تنفيذ ذلك بعض تصرفات ابى مسلم ، وكان من هذه التصرفات تصرفات شخصية منها : اعتداد ابى مسلم بقوته ، واستهانته بأبى جعفر الى حد ما ، فكان يكتب اليه فى المراسلات عندما كان وليا للعهد : « من ابى مسلم الى ابى جعفر » ، فى موسم الحج ؛ وكان السفاح قد عين ابا جعفر أميرا على الموسم ، وراح ابو مسلم يفرق الأموال الكثيرة والهبات بين العرب ، وهذا ما يخالف طبيعة المنصور ، وفى اثناء العودة من موسم الحج تقدم ابو مسلم فى الطريق على ابى جعفر (١٨)، وفى اثناء ذلك أتاه خبر وفاة السفاح ، وقيل أن أبا مسلم مكث يومين قبل ان يبايع المنصور ، وأراد من وراء ذلك ترهيب ابى جعفر ، وقد بعث اليه خطابا يعزيه ولا يهنئه بالخلافة ، ولم ينتظره حتى يلحق به أو يعود اليه (١٩) .

أما استهزاء ابى مسلم بأبى جعفر فيظهر من قول الحسن بن قحطبة الى ابى ايوب وزير المنصور : « انى قد رايت بأبى مسلم انه ياتيه خطاب

---

(١٧) ابن خلكان : نفس المصدر جـ ٣ ص ١٥٣ .
(١٨) ابن الأثير : الكامل جـ ٤ ص ٣٤٦ .
(١٩) ابن الأثير : نفس المصدر جـ ٤ ص ٣٥٠ .

المنصور فيقرؤه ثم يلقى الكتاب من يده الى مالك بن الهيثم فيقرؤه ويضحك استهزاء » (٢٠) .

وعند وفاة أبى العباس السفاح ، وأخذ البيعة للمنصور اقبل أبو مسلم اليه بناء على استدعاء المنصور له ، وبايعه ووعده بالقضاء على عم المنصور عبد الله بن على ، وكان المنصور اظهر الجزع لذلك ، وقال له أبو مسلم : « انا اكفيكه ان شاء الله » ، « انما عامة جنده ، ومن معه من أهل خراسان وهم لا يعصوننى » (٢١) .

وتمكن ابو مسلم من احراز النصر لأبى جعفر على عمه عبد الله بن علي وذلك فى سنة ١٣٧ هـ (٢٢) . وجمع أبو مسلم ما غنمه من جيش عبدالله ، واصبح ابو مسلم الرجل القوى الوحيد فى الدولة بعد القضاء على حركة عبد الله بن على ، واصبح المنصور يخافه على دولته ، وكان عليه ان يمنعه من العودة الى خراسان ، لما فى عودته من تهديد لدولة العباسيين ، حيث بعودته الى خراسان يستطيع أن يزعج الدولة كما « يمكنه أن يقوم بعمل تتجزأ به الدولة او يعصف بها او بخليفتها (٢٣) » .

ولذلك ارسل المنصور شخصا يسمى يقطين بن موسى الى أبى مسلم يكتب له ما أصاب ابو مسلم من الأموال (٢٤) ، وكان ذلك تحديا سافرا

---

(٢٠) ابن الاثير : نفس المصدر جـ ٤ ص ٣٥٠ .

(٢١) ابن الأثير : نفس المصدر جـ ٤ ص ٣٥٠ .

(٢٢) فيما بعد أمن المنصور عمه عبد الله بأمان كتبه له عبد الله بن المقفع الكاتب المشهور ، ثم غدر به ، وكان الكتاب الذى كتبه ابن المقفع سببا فى قتله قتلة بشعة . الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ١١٠ .

وانظر : جمال سرور : الحياة السياسية فى الدولة العربية الاسلامية ص ١٨٠ .

(٢٣) محمود شاكر : تاريخ الدولة العباسية جـ ١ ص ١٠٩ .

(٢٤) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٤٨٢ ، المسعودى : مروج الذهب جـ ٣ ص ٣٠٢ .

من أبى جعفر لأبى مسلم ، وأراد ابو مسلم أن يعلن رفضه لطلب المنصور ، وأن يقتل رسوله ، فقيل له : انه رسول ، فقال أبو مسلم : « انا أمين على الدماء خائن فى الأموال » ، وشتم المنصور (٢٥) . وعاد يقطين واعلم ابا جعفر بما كان فرأى ابو جعفر حينئذ أن لا مناص من التخلص من أبى مسلم ، واثبات قوة العباسيين ، ولكن كيف السبيل الى ذلك ، وابو مسلم المنتصر فى طريقه الى خراسان منطقة نفوذه وعصبيته وحصنه الحصين ؟.

لجأ ابو جعفر المنصور الى الحيلة ، فأرسل الى أبى مسلم يوليه مصر والشام ، وقال له : « انى قد وليتك مصر والشام فهى خير لك من خراسان » ، ثم قال له : « فوجه الى مصر من احببت ، واقم بالشام فتكون بقرب أمير المؤمنين ، فان أحب لقاءك أتيته من قريب » (٢٦).

ولم تنطل الخدعة على أبى مسلم فغضب وقال : « هو يولينى الشام ومصر ، وخراسان لى » (٢٧) ، واعتزم أن يمضى الى خراسان .

ولم ييأس أبو جعفر ، فكتب الى أبى مسلم يطلب منه المسير اليه ، وفقد أبو مسلم صوابه أمام تحدى المنصور الملح لمحاولة منعه من المسير الى خراسان ، فأجابه اجابة تنطوى على سوء الخطاب الى الخليفة ، وتكاد تعلن التمرد الفعلى عليه حيث قال له : « انه لم يبق لأمير المؤمنين اكرمه الله عدو الا أمكنه منه ، وقد كنا نروى عن ملوك آل ساسان : ان أخوف ما يكون الوزراء اذا سكنت الدهماء ، فنحن نافرون من قربك ،

---

(٢٥) الطبرى : نفس المصدر ج ٧ ص ٤٨٢ ، ابن الأثير : الكامل ج ٤ ص ٣٥٠. ٣٥١ .

(٢٦) الطبرى : نفس المصدر ج ٧ ص ٤٨٢ ، ابن الأثير : الكامل ج ٤ ص ٣٥١ .

(٢٧) الطبرى : نفس المصدر ج ٧ ص ٤٨٢ ، ابن الأثير : نفس المصدر ج ٤ ص ٣٥١ .

حريصون على الوفاء بعهدك ما وفيت ، حريون بالسمع والطاعة ، غير انها من بعيد حيث تقارنها السلامة ، فان ارضاك ذلك فانا كأحسن عبيدك ، فان ابيت الا أن تعطى نفسك ارادتها نقضت ما أبرمت من عهدك ، ضنا بنفسى » (٢٨) . ثم خرج ابو مسلم « مراغما مشاقا » (٢٩).

زاد ذلك من تشبث المنصور بمنع ابى مسلم من المسير الى خراسان، فلجأ المنصور الى سياسة « فرق تسد »، فارسل الى ابى داود خالد بن ابراهيم نائب ابى مسلم فى خراسان يعينه واليا عليها ، وقال له : « انك لك امرة خراسان ما بقيت » (٣٠) ، فكان ذلك مدعاة لأبى داود أن يغلق امل المسير الى خراسان فى وجه ابى مسلم ، وارسل اليه يقول : « انا لم نخرج لمعصية خلفاء الله ، واهل بيت نبيه صلى الله عليه وسلم ، فلا تخالفن امامك ولا ترجعن الا باذنه » (٣١) .

وهكذا ضاقت الحلقات على ابى مسلم ، ثم ان المنصور دفع بعض وجوه بنى هاشم الى الكتابة الى ابى مسلم يقبحون خروجه على الخليفة ، ويحسنون له الحضور الى الخليفة والاعتذار اليه (٣٢) .

واضطر ابو مسلم الى الحضور الى الخليفة المنصور ، وادخل فأجلس فى حجرة ، وقيل له : امير المؤمنين فى شغل ثم امر بأن ينزع سيفه (٣٣) ، فقال : ولم ؟ فقيل له : وما عليك ؟! فنزع سيفه ، ثم

---

(٢٨) الطبرى : نفس المصدر جـ ٧ ص ٣٨٣ ، ابن الأثير : نفس المصدر جـ ٤ ص ٣٥١ .
(٢٩) الطبرى : نفس المصدر جـ ٧ ص ٤٨٥ .
(٣٠) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٤٨٦ ، ابن الاثير : الكامل جـ ٤ ص ٣٥٣ .
(٣١) الطبرى : نفس المصدر جـ ٧ ص ٤٨٦ ، ابن الأثير : نفس المصدر جـ ٤ ص ٣٥٣ .
(٣٢) الطبرى : نفس المصدر جـ ٧ ص ٤٩١ .
(٣٣) الطبرى : نفس المصدر جـ ٧ ص ٤٩١ .

ادخل الى حجرة ليس فيها الا وسادة فجلس عليها ، فلما مثل بحضرة المنصور اخذ يشكو له ما فعل به ، والمنصور يسمع له ، ويطمعه فى الحديث ، بل وراح يقبح له اساءة القوم اليه ، ثم ما لبث ان انهال عليه مؤنبا ومعددا عليه ما رآه من سوءاته ، وكان مما قال له : « الست الكاتب الى تبدأ بنفسك ، والكاتب الى تخطب امينة بنت على ، وتزعم أنك ابن سليط بن عبد الله بن عباس ! لقد ارتقيت لا أم لك مرتقى صعبا » (٣٤) ، وجعل يعد عليه أمورا أخرى ، ثم قال له : « قتلنى الله ان لم اقتلك » وعلا صوته ، وصفق بيديه ، فخرج القوم الذين أعدهم لقتله من مكانهم ، فتعاوروه بسيوفهم وهو يصرخ فلا يغاث (٣٥) ، وكان قتله فى شعبان سنة ١٣٧ هـ / ٧٤٩ م .

ونثر أبو جعفر الداهم على جند أبى مسلم ، فانكبوا عليها يجمعونها ، فألقى اليهم فى جملتها راس ابى مسلم ، ومع ان امر قتل ابى مسلم قد تم فان جنده شغبوا عندما رأوا الراس ، فاستدعى المنصور ابا اسحق صاحب حرس أبى مسلم ، وهدده بقطع راسه ان لم ينته جنوده عن الشغب ، فخرج اليهم ابو اسحق ، وامرهم بالانصراف بلهجة حازمة قائلا لهم : « انصرفوا يا كلاب » فانصرفوا (٣٦) .

ويقال ان المنصور لما عزم على قتل ابى مسلم انشد :

اذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة ... فان فساد الراى ان تترددا

---

(٣٤) الطبرى : نفس المصدر ج ٧ ص ٤٩١ ، مؤرخ مجهول : العيون ص ٢٢٣ .

(٣٥) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٣٦٧ ، ابن الأثير : الكامل ج ٤ ص ٣٥٤ ، ابن طباطبا : الفخرى ص ١٦٨ — ١٧١ .
وانظر : أبو الفدا : المختصر ج ١ ص ٢١٤ — ٢١٥ .
Saunders, A history of medieval Islam, P. 113.

(٣٦) مؤرخ مجهول : العيون ص ٢٢٤ .

ولا تمهل الأعداء يوما لغــدرة وبادرهم أن يملكوا مثلها غدا (٣٧)

وكان عمر ابى مسلم لدى مقتله يناهز السابعة والثلاثين (٣٨) ، وقد زعم بعد مقتله انه اختفى ، وانه سيعود ليعاقب أعداءه (٣٩) .

وهكذا تخلص أبو جعفر المنصور بدهائه وحكمته من شخص شــط به طموحه ، وكان من اكبر ذنوب ابى مســلم عنده : خطبته لعمته ، وادعاؤه انه ابن سليط بن عبد الله بن عباس ؛ وهما محوراه لتحقيــق ما كان فى راســه من غدرة ، تلك الغدرة التى كانت تعنى ــ كما رأى المنصور ــ رغبة ابى مسلم فى أن تتاح له الفرصة ليقضى على العباسيين كما قضى على الأمويين ليحول الخلافة الى نفسه(٤٠) .

على أن المنصور لم يكن وحده الذى يدرك خطورة ابى مســلم فقد شاركه فى ذلك غيره ، فقد استشار فى أمر ابى مسلم سلم بن قتيبة حيث قال لسلم : « ما ترى فى امر ابى مسلم ؟ » فقال له ســلم : « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » فقال المنصور : « حسبك يا قتيبــة ، لقد اودعتها أذنا صاغية » (٤١) . اما بعد تخلص المنصور من أبى مسلم ، فقد دخل عليه جعفر بن حنظلة فقال له المنصــور : « ما تقــول فى امر ابى مســلم » ؟ فقال : « يا أمير المؤمنين ان كنت أخذت من راسه شــعرة فاقتل ثم اقتل » . فقال المنصــور : « وفقك الله ، ها هو فى البساط » فلما نظر جعفر الى ابى مســلم قتيلا قال للمنصور « يا أمير المؤمنين ، عد هذا اليوم اول خلافتك » (٤٢) وقد خطب ابو جعفر المنصور

---

(٣٧) محمود شاكر : تاريخ الخلافة العباسية ج ١ ص ١١٦ .
(٣٨) محمود شاكر : نفس المرجع ج ١ ص ٨٥ .
(٣٩) Saunders, A history of medieval Islam, P. 113.
(٤٠) عبد المنعم ماجد : تاريخ العصر العباسى الأول ص ٦٤ .
(٤١) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ١١١ .
(٤٢) المســعودى : مروج الذهب ج ٣ ص ٣٠٤ ، ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص ٣٥٥ .

فى الناس بعد قتله أبا مسلم فقال : « أيها الناس لا تخرجوا عن أنس الطاعة الى وحشة المعصية ، ولا تسروا غش الأئمة ، فان من أسر غش امامه ، أظهر الله سريرته فى فلتات لسانه ، وسقطات افعالة ، وابداها الله لامامه الذى بادر باعزاز دينه ، واعلاء حقه بفلجه ، انا لم نبخسكم حقوقكم ،ولم نبخس الدين حقه عليكم ، ان من نازعنا عروة هذا القميص أوطأناه ما فى هذا الغمد » (٤٣) .

وبذلك قضى ابو جعفر المنصور على ابى مسلم الخراسانى بعد أن ثبت تآمره على الدولة العربية ، والذى كانت أولى خطواته الى السعى للوصول اليها انشاء دولة فارسية فى موطنه خراسان (٤٤) .

وقد اعتبر المؤرخون ابا جعفر المنصور — لتأكيد سلطانه على الخلافة فى عهده ، والذى كان قتل ابى مسلم من بعضها — المؤسس الثانى للدولة العباسية ، كما كان عبد الملك بن مروان بالنسبة للدولة الأموية (٤٥) ، وبقتل أبى مسلم عرف المنصور أنه الحاكم الفعلى للدولة الاسلامية (٤٦) .

هذا ، وقد قضى المنصور على الحركت الثورية التى نشبت بعد

---

(٤٣) المسعودى : مروج الذهب جـ ٣ ص ٣٠٥ .
(٤٤) العدوى : حركات التسلل ضد القومية العربية ص ٣٠ .
(٤٥) جمال سرور : الحياة السياسية فى الدولة العربية الاسلامية ص ١٨٠ وانظر :
H-IBRAHIM, Islamic and history culture, P.106.
(٤٦) جمال سرور : نفس المصدر و
SHABAAN, Islamic history, Vol 2, P. 13,
وقد شبه سوندرز تخلص عبيد الله المهدى مؤسس الدولة الفاطمية فى المغرب من داعيته الى عبيد الله الشيعى شبيها بتخلص المنصور من أبى مسلم . انظر :
Saunders, A history of medieval Islam, P. 113.

مقتل أبى مسلم مناوئة للعباسيين مهددة بقسوة الخلافة العباسية فى الشرق (٤٧) .

(٢)
زواج جعفر بن يحيى البرمكي من العباسة أخت الرشيد بين الأسطورة والحقيقة »

وقبل أن نعرف أين الحقيقة من قصة زواج جعفر بن يحيى البرمكى من العباسة أخت الخليفة العباسى هارون الرشيد ، يجدر بنا ان نعرف أن دور البرامكة فى الدولة العباسية بدأ فى عهد أبى العباس السفاح — الخليفة العباسى الأول — حيث اتخذ من خالد بن برمك وزيرا له ، وان لم يتخذ لقب الوزير (٤٨) .

كذلك يجدر بنا ان نعرف أن أسرة البرامكة أسرة فارسية دخلت فى الاسلام زمن الدعوة العباسية السرية ، وكانت قبلها تعتنق المجوسية بل ان رئيسها برمك كان يعمل مشرفا على أحد المعابد المجوسية فى مدينة بلخ بخراسان (٤٩) ، وكان هذا المعبد يعرف باسم النوبهار ، وكان يشبه فى بنائه بناء الكعبة ، وكانت تحيط به الأراضى الخضراء الكثيرة التى استمرت فى ملكيتهم حتى بعد اسلامهم (٥٠) ، بل ان كلمة « برمك » ربما

---

(٤٧) انظر فى بعض الحركات الثورية التى أعقبت مقتل أبى مسلم كتاب : الحياة السياسية العربية فى الدولة الاسلامية ص ١٨٢ وما بعدها، وماجد : العصر العباسى الأول .

(٤٨) ابن طباطبا : الفخرى ص ١٥٦ ، الخربوطلى : العرب والحضارة ص ٢٦٠ وانظر :

AMIR Ali A Short ahisory of the saracenes, P. 230 &
H-IBRAHIM, Islamic and history culture, P. 117.

(٤٩) عبد المنعم ماجد : تاريخ العصر العباسى الأول ص ١٩٠ و
H. IBRAHIM Ibid, P. 117

(٥٠) عبد المنعم ماجد : نفس المصدر ص ١٩٠ .

كانت لقبا لمن يراس ذلك المعبد (٥١).

ويبدأ الدور الرئيسى لأسرة البرامكة بوفاة الخليفة العباسى موسى الهادى قتيلا فى سنة ١٧٠ هـ بتدبير من أمه الخيزران التى حاول ان يحد من سلطانها ، ولمحاولته تحويل ولاية العهد عن اخيه هارون الى ابنه جعفر (٥٢) ، ورغم نصيحة يحيى بن خالد البرمكى له بالا يفعل ذلك ، مما دفع بالهادى الى القائه فى السجن ، واوضح يحيى نفسه سبب ذلك السجن فقال : « حبسنى موسى بسبب الرشيد ، وتربيتى اياه ، ومكانى معه ، وكان الرشيد دفع الينا مولودا فى الخرق فغذته ثدى نسائنا ، وربى فى حجورنا » فقال : « بلغنى انك ترضى هارون الخلافة ، ونفسك للوزارة ، والله لآتين على نفسه ونفسك قبل ذلك ، وحبسنى فى بيت ضيق لا اقدر ان امد رجلى فيه ، فأقمت اياما » ثم يقول : « فانا ليلة فى حبسى فى تلك الحال ، اذا بالأبواب تفتح ، فقلت تذكرنى فاراد قتلى ، وسمعت كلام الخدم ، فارتعت لذلك ، ففتح على الباب وانا اتشهد ، فقيل لى : هذه السيدة — يعنون الخيزران — فخرجت فاذا بها واقفة على الباب ، فقالت : ان هذا الرجل قد خفت منذ الليلة ، واحسبه قد قضى ، فتعال انظره ، فوجدته محول الوجه الى الحائط ، وقد قضى فمضيت الى هارون حتى اخرجته من الموضع الذى كان فية محبوسا ، فأصبح القواد فبايعوا ، واصبحت ادبر الملك (٥٣) » .

كان هارون الرشيد حين تولى الخلافة آنذاك لم يتجاوز الثانية والعشرين من عمره ، مما وضعه تحت سيطرة الخيزران الأم ، ويحيى ابن خالد الذى كان يصدر عن رايها ، ثم لم تلبث الساحة ان خلت امام

---

(٥١) المسعودى : مروج الذهب جـ ٢ ص ٢٣٨ .

(٥٢) H. IBRAHIM Ibid, P. 117

(٥٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ٢١٢ .

يحيى بمفرده بعد وفاة الخيزران ام الرشيد فى جمادى الآخرة من سنة ١٧٣ هـ / نوفمبر ٧٨٩ م ، وذلك بعد ولاية هارون الرشيد بثلاثة اعوام .

خلا الجو ليحيى الذى كان له فضل تربية هارون وتنشئته (٥٤) ، والذى حفظ له هارون من سطوة الهادى ، مما سهل امامه سبيل السيطرة له ولأسرته وعظمت مكانته لدى الرشيد ، حتى انه كان يخدمه ، ويقول له : « يا ابتاه » (٥٥) ، ويكفى للدلالة على تلك المكانة ما قاله الرشيد ليحيى عندما قلده وزارته حيث قال له : « يا ابت انت أجلستنى هذا المجلس ببركة رايك ، وحسن تدبيرك ، وقد قلدتك امر الرعية ، واخرجته من عنقى اليك ، فاحكم بما ترى ، واستعمل من شئت ، واعزل من رايت ، واسقط من رايت ، فاننى غير ناظر معك فى شىء » ، وهذا يعنى ان يحيى صار اول وزير تفويض (٥٦) ، بعد ان كانت الوزارة من قبل وزارة تنفيذ ، بل ان الرشيد دفع الى يحيى بن خالد البرمكى بخاتم الخلافة ، فى سنة ١٧١ هـ / ٧٨٧ م ، وهكذا اصبح صاحب السلطة المطلقة فى دولة الخليفة هارون الرشيد (٥٧) .

واستعان يحيى فى حكم الخلافة بأبنائه الأربعة : الفضل وجعفر

---

(٥٤) كانت زوجة يحيى وهى ام الفضل ارضعت هارون .

(٥٥) AMIR Ali, A short history of the saracenes, P. 289.

(٥٦) المسعودى : مروج الذهب جـ ٣ ص ٣٤٨ ، وفى ذلك يقول الموصلى :

الم تر ان الشمس كانت سقيمة   فلما ولى هارون اشرق نورها
بيمن امين الله هارون ذى الندى   فهارون واليها ويحيى وزيرها

(٥٧) جمال سرور : الحياة السياسية فى الدولة العربية الاسلامية ص ٢١٢ .
AMIR Ali, A short history of the saracenes, P. 239.

وموسى ومحمد ، ولا سيما الفضل وجعفر وموسى (٥٨) ، وبذلك استحالت دولة العباسيين فى عهد الرشيد الى عباسية اسما بينما هى برمكية بالفعل (٥٩) ، فان للفضل أكبر ابناء يحيى : الجبال وطبرستان وخراسان وآذربيجان وجميع الأقاليم الشرقية ، وكان له فيها جيش من الخراسانيين سماهم « العباسية » ، وبلغت عدتهم خمسمائة الف رجل ، بينما كان يشرف جعفر على الجزيرة والشام ومصر والأقاليم الغربية .

وقد اشتهرت أسرة البرامكة بما لها من ثقافة عالية جعلت منهم موئلا للفنون والعلوم حتى قال الجاحظ عنهم : « البلاغة لم تستكمل الا فيهم ، ولم تكن مقصورة الا عليهم ، ولا انقادت الا لهم » (٦٠) .

وكانوا يقرضون الشعر ويتذوقونه ، فأصبحوا مقصد الشعراء حتى قال فيهم أبو نواس :

سلام على الدنيا اذا ما فقدتم بنى برمك من رائحين وغادى (٦١)

أما مجالس سهرهم وسمرهم ، فكانت كبيرة عامرة بالمغنين والمغنيات من مثل اسحق الموصلى ودنانير ، وكان البرامكة ينفقون ببذخ على تلك المجالس ، كما كانت أعطياتهم تتدفق على أهل العلم والفن والشعراء بشكل لم يكن له نظير فى تاريخ الاسلام ، وكانوا يحملون المال

---

(٥٨) AMIR Ali, Ibid, P. 239 & Saunders, A history of medieval Islam, P. 117.

وفيهم يقول الشاعر :

أولاد يحيى بن خالدهم أربعة سيد ومتبوع
الخير فيهم اذا سألت بهم مفرق فيهم ومجموع

(٥٩) عبد المنعم ماجد : تاريخ العصر العباسى الأول ص ١٩٦ .
(٦٠) عبد المنعم ماجد : نفس المصدر ص ١٩٧ .
(٦١) عبد المنعم ماجد : نفس المصدر ص ١٩٧ وانظر :
H-IBRAHIM, Islamic and history culture, P. 116.

اليهم بأنفسهم ، وقد اجمل صاحب كتاب الفخرى مزاياهم تلك حيث قال : « وكان يحيى وبنوه كالنجوم زاهرة ، والبحور زاخرة ، والغيوث ماطرة ، اسواق الأدب عندهم نافقة ، ومراتب ذوى الحرمات عندهم عالية ، والدنيا فى ايامهم عامرة ، وابهة الملك ظاهرة » (٦٢) .

وكان يحيى بن خالد يميل الى ابنه الفضل ، بينما هارون الرشيد يفضل جعفر بن يحيى على اخيه الفضل ، وكان يقول ليحيى : « انت للفضل وانا لجعفر » (٦٣) ، وكان الرشيد يقرب جعفرا اليه الى درجة كبيرة ، فينادمه ويلازمه ، وكانت العباسة اخت الرشيد تحضر تلك المجالس لما لها من ثقافة وعلم .

ولعل ثقة الرشيد هذه دفعت بجعفر بن يحيى الى الطموح الى ما هو اكثر من ذلك ، ونعنى بذلك طموحه الى الزواج من العباسة اخت الرشيد ، ولكن يحيى البرمكى — الأب — بخبرته الواعية نصح جعفرا بالابتعاد عن ذلك ، ولكن موقف الابن فيما يبدو كان غير موقف الأب مما دفع بالأب الى تهديده وتحذيره بقوله له : « انما اهملتك ليعثر بك عثرة تعرف أمرها ، وان كنت لأخشى أن تكون التى لا شوى لها (٦٤) » .

ولما لم ينتصح الابن حاول يحيى بن خالد (الأب) قطع ذلك الأمر عليه بالتحدث مع الرشيد نفسه ، فقال له : « يا أمير المؤمنين ، انا والله اكره مداخلة جعفر معك ، ولست آمن ان ترجع العاقبة فى ذلك على منك ، فلو أعفيته ، واقتصرت به على ما يتولاه من جسيم أعمالك ، كان ذلك واقعا بموافقتى ، وآمن لك على » قال الرشيد : « يا ابت ليس بك

---

(٦٢) ابن طباطبا : الفخرى ص ١٩٧ .
(٦٣) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ٢٢٥ .
(٦٤) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٢٩٣ ، وفى الوزراء والكتاب للجهشيارى ص ٢٢٥ « التى لا شروى لها » .

هذا ، ولكنك انما تريد أن تقدم علية الفضل » (٦٥) .

على اية حال ، كان سلطان البرامكة ونفوذهم شيئا ينذر بالخطر ، وقد عبر اليعقوبى عن ذلك حيث قال : « وكان الغالب على الرشيد يحيى ابن خالد بن برمك وجعفر والفضل أبناه حتى ما كان له معهم أمر ولا نهى » (٦٦) ، فاذا أضفنا الى ذلكتطلع جعفر الى الزواج من العباسة أخت الرشيد واسباب أخرى (٦٧) كانت النتيجة ما ارتكبه فى حق البرامكة، حيث نكبهم ، وان كانت النكبة أكبر على جعفر بالذات ، حيث أمر الرشيد بقتله ، فقتل فى موضع من الأنبار يقال له « الجرف » بدير يقال له « العمر » ، ثم حمل الى بغداد ، حيث قطع الى ثلاث قطع ، وأمر بنصب را سه وقطعة من جيفته على الجسر ، ونصب الأخرى على الجسر الآخر ، وذلك سنة ١٨٥ هـ / ٨٠٣ (٦٨) .

---

(٦٥) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ٢٩٣ ، ويذكرنا موقف الرشيد هنا بموقف الفضل بن سهل فيما بعد حيث خشى من الطموح الى الاصهار الى الخلافة رغم عرض الخليفة المأمون ذلك علية . كما سنعرض له فيما بعد .

(٦٦) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى جـ ٢ ص ٤٢٩ .

(٦٧) أبو الفدا : المختصر جـ ٢ ص ١٦ .

(٦٨) ابن طباطبا : الفخرى ص ٢١١ ، ابن الاثير : الكامل جـ ٥ ص ١٢٨ .

(٦٩) وقد مات يحيى بن خالد حتف انفه فى حبس بالرقة فى المحرم سنة ١٩٠ هـ عن اربع وستين عاما ، بينما توفى الفضل بن يحيى من علة نالته فى شقه ولسانه فى المحرم سنة ١٩٣ هـ ، قبل وفاة الرشيد بخمسة أشهر عن خمس واربعين سنة ، الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ١٦١ ، ووصف أبو العتاهية نكبة البرامكة فقال :

قولا لمن يرتجى الحياة أما ... فى جعفر عبرة ويحياه
كانا وزيرى خليفة الله ها ... رون هما ما هما خلاه
فذاكم جعفر برمته ... فى حالق راسه ونصفاه
والشيخ يحيى الوزير أصبح قد ... نحاه عن نفسه واقصاه
شتت بعد التجمع شملهم ... فاصبحوا فى البلاد قد تاهوا

اما بقية آل جعفر فوقع عليهم الحبس والمصادرة ، فحبس يحيى ابن خالد بن برمك وولده واهل بيته (٦٩) ، وتم استصفاء اموالهم ، وقبض ضياعهم ، وقد بلغت فيما قبل ٣٠٫٦٧٦٫٠٠٠ دينارا نقدا غير المقتنيات والممتلكات (٧٠) .

ويلفت النظر هنا ان الفتك بآل برمك اصاب الفرع اليحيوى « اى يحيى بن جعفر واولاده » ، فى حين لم يصب فرعا آخر هو فرع محمد بن خالد بن برمك واولاده ؛ وذلك لبراءتهم مما تسبب فى الفتك بالفرع اليحيوى .

ويمكن ان يقال فى ايجاز شديد ان تتابع الأحداث هو الذى اجبر الرشيد على الفتك بفرع يحيى بن خالد ، والتعفية على آثارهم دون الاكتفاء بالعمل على الحد من نفوذهم (٧١) .

وقد تباينت الاقوال والآراء وصولا الى اسباب نكبة البرامكة ، وهى فى مجملها اجتهادات يمكن ان يكون احدها او بعضها او كلها صحيحا ؛ ويمكننا أن نضيف اليها اجتهادا آخر معتمدين على تتابع الأحداث التاريخية فى عهد الرشيد وما انتهت اليه من نتائج .

وكانما أراد الرشيد نفسه أن تكون نكبتهم لغزا يتبارى المؤرخون فى حله ، فقد قال هو عن سبب نكبته لهم : « لو علمت يمينى بالسبب الذى فعلت هذا لقطعتها » .

وأرجع بعض المؤرخين نكبة البرامكة الى اضمارهم التشيع ، وان جعفر بن يحيى لهذا السبب اطلق سراح يحيى بن عبد الله العلوى (٧٢) .

---

(٧٠) فيليب حتى : سوريا ولبنان وفلسطين جـ ٢ ص ١٦ .

(٧١) Saunders, A history of medieval Islam, P. 117.

(٧٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ٢٤٣ ، وانظر : العيون ص ٣٠٦ — ٣٠٧ و

H-IBRAHIM, Islamic and history culture, P. 118.

ويشترك جميع المؤرخين فى ان الرشيد فتك بالبرامكة لازدياد نفوذهم ، واحتكارهم الكثير من الاموال ، حتى ان الرشيد نفسه وافراد اسرته كانوا يطلبون اليسير ، فلا يحصلون على شىء ، بينما البرامكة يتصرفون فى أموال الدولة التى كانت تحت ايديهم كما يشاءون من غير حساب ، ودون خشية من رقيب ، وكانوا يوزعون الأموال صررا على من يعترضهم ، كما كثرت املاكهم وبساتينهم ، وشيدوا لأنفسهم القصور (٧٣) ، وكان الرشيد لا يمر بضيعة الا قيل هذه لجعفر ، كما كانوا ينفقون الكثير على عبثهم ومجونهم (٧٤) .

وقيل ان جعفرا والفضل ابنى يحيى ظهر منهما من الادلال ما لا تحتمله نفوس الملوك فنكبهم (٧٥) .

وقيل ان أعداء البرامكة مثل الفضل بن الربيع ما زالوا يسعون بهم الى الرشيد موحين له كيف يستبدل بالملك دونه، ويحتجنون الأموال، فاوغر صدره عليهم فنكبهم (٧٦) .

ويجعل بعض المؤرخين تزندق (٧٧) البرامكة سببا فى الفتك بهم حيث كان البرامكة يتسترون على المتزندقين ، ويشجعونهم فى الخفاء ، فاحتضنوا — على عهد الرشيد — علان الفارسى احد قادة التسلل ضد القومية العربية ، وشجعوه على تأليف كتاب يتناول سيرة العرب فى الجاهلية مظهرا الخلافات التى دارت بينهم بما يثير الأحقاد ، ويجددها

---

(٧٣) بنى جعفر لنفسه قصرا أنفق عليه عشرين مليون درهم ، وصارت لهم شبه مدينة من قصورهم المتجاورة عرفت باسم البرامكة .

Saunders, A history of medieval Islam, P. 117.

(٧٤) H-IBRAHIM, Islamic and history culture, P. 118.

(٧٥) ابن طباطبا : الفخرى ص ٢٠٩ .

(٧٦) احمد شلبي : موسوعة التاريخ الاسلامي ج ٣ ص ٣٠٥ ، ص ٣٠٨

بين طبقات المجتمع العربى ، وكان الهدف من وراء ذلك صرف العرب عن الاعتزاز بماضيهم والتغنى بمآثره .

كما تسلل دعاة هدم التقاليد العربية عن طريق الوزراء الفرس الذين حولوا بيوتهم الى ملجأ للخلاعة والمجون ، وشرب الخمر « وكان البرامكة أيضا مثالا لهذا التستر الذميم لدعاة الفساد ، كما تستروا من قبل على تسلل علماء الفرس » (٧٨) .

بينما يرى بعض المؤرخين أن ما حدث للبرامكة كان طبيعة العصر الذى عاشوا فيه ، ولم يكن الرشيد فى فتكه بالبرامكة بدعا فى هذا الأمر فيقول : « أولع المؤرخون بذكر نكبة البرامكة ، واجهدوا قرائحهم فى تعرف أسباب ايقاع الرشيد بهم ، ولم يكن هذا العمل بدعا فى الدولة العباسية ، فان للمنصور والمهدى سلفا فى ذلك ، فقد أوقع المنصور بوزيره أبى أيوب الموريانى ، قتله هو واقاربه ، واستصفى اموالهم لخيانة مالية اطلع عليها منهم ، واوقع المهدى بوزيره أبى عبد الله معاوية ابن يسار ، ويعقوب بن داود لوشاية كانت بهما ، مع نزاهة الأول وحسن سيرته ، ومع ما كان للمهدى من الولوع بالثانى حتى كتب للجمهور أنه اتخذه أخا فى الله . كل هذا قد سبق به الرشيد » ،ويرى « ان هذا هو طبيعة الملك الاستبدادى ، يحب الملك فيه أن يكون ذا

---

(٧٧) ويصف تسلل الزنادقة فى المجتمعات العربية قائلا : « فكان الزنديق اذا سمع أحدا من أصحاب رسول الله فتل عند ذلك شدقه ، ولوى عن محاسنهم كشحه ، واذا ذكر شريح وهو أحد الثقاة فى تاريخ العرب عمد الزنديق الى تجريحه ، وان وصف له الشعبى وهو من كبار علماء العراق استثقله . ويحاول الزنديق قطع مجرى الحديث عن تلك الشخصيات العربية بترديد سيرة ملوك الفرس ، وعرضها فى صورة تجذب انتباه السامعين ، وتنسيهم أمجاد العرب » . العدوى : حركات التسلل ضد القومية العربية ص ٧٢ ، ٧٣ .

(٧٨) العدوى : نفس المصدر .

السلطان الذى لا يشارك ، والحول الذى لا يقاوم ، واليـــد الطولى التى لا تضارعها يد » (٧٩) .

ونختم تلك الآراء بذلك الراى الذى يرجع سبب نكبة البرامكة الى تلك العلاقة التى ربطت بين جعفر بن يحيى والعباسة اخت الرشـــيد ، وتتلخص تلك العلاقة فى قصة حب نشأت بين العباسة وبين جعفـــر بن يحيى ، وان هارون الرشيد — وقد كان يسره الجمع بينهما فى مجلسه — قال لجعفر : انا ازوجكها حتى يحل لك النظر اليها ، ثم لا تقربها ، وان النتيجة كانت انها انجبت ولدا او حتى انجبت ولدين (٨٠) .

وقد راى المؤرخون القدامى والمحدثون عدم امكانية ان يمضى الرشيد مثل هذا الزواج الصورى ، او تنحدر العباسة الى مثل ذلك ، فيقـــول ابن خلدون : « وهيهات ذلك من منصب العباسة فى دينها وابويها وجلالها، وانها بنت عبد الله بن عباس ليس بينها وبينه الا اربعة رجال ، هم اشراف الدين وعظماء الملة من بعده » ؛ (٨١) ويقول : « وكيف يسوغ من الرشيد أن يصهر الى الأعاجم على بعد همته وعظم آبائه » (٨٢) .

ويرى غيره من المحدثين ان مثل هذا الزواج يخالف احكام الشريعة الاســـلامية ومقصدها من الزواج ، فالشريعـــة لا تعرف الا زواجـــا حقيقيـــا (٨٣) .

على أن الموقف من قصة زواج العباسة من الرشيد يمكن ان يكون

---

(٧٩) الخضرى : محاضرات تاريخ الأمم الاسلامية (الدولة العباسية) ص ١٨١ — ١٨٦ .

(٨٠) عبد المنعم ماجد : تاريخ العصر العباسى الأول ص ١٩٩ .

(٨١) ابن خلدون : المقدمة ص ١٦ ، ١٧ .

(٨٢) ابن خلدون : نفس المصدر ص ١٧ .

(٨٣) عبد المنعم ماجد : تاريخ العصر العباسى الأول ص ١٩٩ .

بعدم تقبلها جملة وبعدم دفعها جملة ، فلا يمكن أن تكون تلك القصة قد نشأت من فراغ ، والدليل على ذلك أنها شاعت حتى لاكتها أفواه العامة، ولا تنفيها اجابة مسرور سياف الرشيد الذى أجاب على من سأله عن حقيقة الزواج بين العباسة وجعفر ، حيث أجاب مسرور بقوله : « كانك تريد ما تريده العامة ، وتردده فيما ادعوه من أمر المرأة ؟ » ، فقال السائل : « ما أردت غيره » فقال : « لا والله ما لشىء من هذا أصل » (٨٤) ، فنفى مسرور هنا لا ينفى القصة ، فان مسرورا أحد رجال الرشيد خاصة والعباسيين عامة .

ونحن نرى ان تلك قصة أريد لها أن تكون حقيقة ، ووقف وراءها من يروج لها حتى تشيع على السنة العامة ، فلا يجد الرشيد وسيلة أمامه — لقطع دابر الشائعات — غير امضاء هذا الزواج .

ولعل الذى ساعد على خلق مثل هذه القصة تلك المجالس التى كانت تضم العباسة وجعفرا فى محضر من الرشيد .

أما الدافع وراء ذلك الترويج — والذى كان جعفر وأتباعه من ورائه — فهو الطموح المجنح الذى يذكرنا بطموح أبى مسلم الخراسانى ، والذى يزكيه — فى رأينا — تشابه المحورين اللذين سار عليهما كلا الرجلين ، ونعنى بهما : الانتساب الى العرب ، والاصهار الى الخلافة .

وفى حال جعفر اتضح طموحه الى الاصهار الى الخلافة ، ومن اجل ذلك ، ومن اجل ان يعلو شأن البرامكة فى دولة العباسيين ، حاول البرامكة ربط نسبهم بنسب عربى يجعلهم من نسل عبيد الله بن مسلم أخى قتيبة بن مسلم القائد الاسلامى الشهير الذى استولى على بلخ فى عام ٨٦ هـ / ٧٠٥ م (٨٥) .

---

(٨٤) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ٢٥٤ .
(٨٥) عبد المنعم ماجد : تاريخ العصر العباسى الأول ص ١٩١ .

وهكذا كان مخطط جعفر بن يحيى يشبه نفس المخطط الذى سار عليه من قبل ابو مسلم الخراسانى واودى به فى النهاية .

ولم يكن الفرع اليحيوى — فيما عدا يحيى الذى كان له من خبرته الواعية ومن سنه ما منعه من اللعب بالنار — يدركون أن الرشيد سيقف منهم ذلك الموقف الحاسم الذى قد يودى بهم وبدولتهم ، معتمدين على أنهم كانوا وراء ولاية الرشيد للخلافة ، وانه ربى بحجورهم وغذته ثدى نسائهم ، ولعل هذا ما اشار اليه يحيى بن خالد فى كتابه الى الرشيد عندما نكب البرامكة ، حيث قال له : « اذا كان الذنب يا أمير المؤمنين خاصا ، فلا تعم بالعقوبة ، فان لى سلامة البرى ، ومودة الولى » ، فوقع الرشيد فى حاشية هذا الكتاب « قضى الأمر الذى فيه تستفتيان » (٨٦) .

وقد فرق الرشيد فى العقوبة بين أفراد الفرع اليحيوى طبقا للأسباب العامة والخاصة : فالأسباب العامة دعت لنكبتهم جميعا ، والسبب الخاص دفع لقتل جعفر والتمثيل به ؛ أما ابناء عمومتهم : محمد ابن خالد الذين لم يكن لهم علاقة بالعام والخاص من الأسباب فلم يصابوا بسوء من كل ذلك بعد ان ثبتت براءتهم لدى الرشيد (٨٧) .

واذا جاز ان يكون وراء قصة زواج العباسة من جعفر خلفية من حب حقيقى نشأ بينهما نتيجة لتواجدهما فى مجالس الرشيد ، ولما بينهما من توافق وتجانس فكرى لا يمكن اغفال أن طموح جعفر الى مثل هذا الزواج كان يهدف الى غايات سياسية فهو من هذا الوجه مشروع زواج

---

(٨٦) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ٢٥٣ .
(٨٧) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ٢٩٦ ، ابن الأثير : الكامل جـ ٥ ص ١١٥ .

سياسى من أغلب الوجوه يستهدف من ورائه أغراض طامحة ، وطموحات مجنحــــة .

على أنه لا يستبعد فى النهاية أن يكون الترويج وراء هذه القصــة اكمالا لدور الفرس فى ضرب التقاليد العربية التى حاولوا تشـــويهها ، وذلك بالسخرية من عفاف المرأة العربية وتصونها وحرصــها على الشرف والطهر ، بعد أن حاول علماؤهم أن يملأوا كتبهم بالمغالطات عن خصـــال العرب ، فقد كان من أهداف الفرس تشويه سمعة الخلفاء العباســيين لدى العرب أنفسهم (٨٨) .

على أن الرشـــيد كان قد بيت الفتك بالبرامكة كما توضحه بعض القصص قبل أن تتم النكبة بعام كامل وقد أورد الجهشيارى — فى هــذا الصدد — تلك القصة : « وحكى أن الرشيد قال للسندى بن شاهك ، وكان يلى الجسرين ببغداد : « اذا كانت سنة من يومــك هذا ، فوكل بدور البرامكة ، وأسبابهم سرا ، قال السندى : فلما كان فى ذلك الوقت، وكان الرشـــيد بعمر الأبناء ، ومعه جعفـــر ، وكلت بدورهم سرا ، على خوف منى ووجل ، أن يبدو للرشيد فى الراى ، وأن يتصل خبر توكيلى بهم فيكون سبب هلاكى ، فظللت يوما مهموما ، فلما أمســـيت اقمت ليلتى فى المجلس بالجسر الشرقى ، أتوقع خبرا يرد على من الرشيد ، ووكلت من يراعى رسولا أو كتابا يرد من الرشيد ، فلما كان فى السحر وافى فرانق بنعر على بغل ، تحته خرج فيه جثة جعفر مقطوعة نصفين ، وكتـــاب الرشيد الى بصلب كل نصف على أحد الجسرين ففعلت ذلك » (٨٩) .

---

(٨٨) ابراهيم العدوى : حركات التسلل ضد القومية العربية ص ٧٤ .

(٨٩) الجهشـــيارى : الوزراء والكتاب ص ٢٣٦ — ٢٣٧ ، والفرانق معرب بروانك وهو الذى يدل صـــاحب البريد على الطريق ، وينعر : يصرخ ويصيح .

ويمكن القول فى ضوء ما تقدم أن الرشيد لم يظلم البرامكة ، ولا نعتقدهم يستحقون تلك النظرة من الاشفاق أو التعاطف مع نكبتهم ، بل ان ما اشتهروا به من كرم وتشجيع للعلم والشعر لم يكن مقصودا لذاته بقدر ما كان المقصود به التغطية على المآثر العربية فى تلك الأبواب ، حتى ان الناس كانوا لا يتغنون الا بمآثر البرامكة فى عهد الرشيد الذى هو أزهى عصور الخلافة العباسية .

وقد كان الرشيد ـ بحق ـ حازما فى ضرب البرامكة الذين كانت نكبتهم ضربة للفرس بصفة عامة (٩٠) ، فلم تقم ثورات لهم بعد أن تخلص منهم الرشيد ، مما يدل على مهارة هذا الخليفة وحزمه ، وأنه أعد للأمر عدته (٩١) .

---

(٩٠) Saunders, A history of Medieval Islam, P. 117 & AMIR Ali, A short history of the saracenes, P. 239.

(٩١) جمال سرور : الحياة السياسية فى الدولة العربية الاسلامية ص ٢٢٠ .

الزواج السياسى فى عهد الخليفة المأمون

اولا : زواج الخليفة المامون من بوران بنت الحسن بن سهل :

- كان الفضل بن سهل صاحب الفضل فى ان تكون للمأمون دولة ، فدولة المامون فى حقيقتها يمكن اعتبارها منحة قدمها اليه الفضل بن سهل ، ولولاه لغلب المأمون على امره (٩٢) .

- وبعد قتل الفضل بن سهل نتيجة لازدياد نفوذه على المأمون ، ورغبته فى الاستئثار بالسلطة استوزر المامون أخاه الحسن بن سهل ، وقربه اليه (٩٣) .

- وكان زواج المأمون من بوران (٩٤) كما يقول ابن خلكان « لمكان أبيها منه » (٩٥) ، وقد كان عرسها عرسا مشهودا ، فأقيمت الولائم والاحتفالات على صورة لم يعهد مثلها فى عصر من الأعصار (٩٦) ، وتم ذلك فى مكان يسمى « فم الصلح » (٩٧) فى سنة ٢٠٢ هـ (٩٨) .

---

(٩٢) احمد شلبى : موسوعة التاريخ الاسلامى جـ ٣ ص ٣٢٦ .

(٩٣) احمد شلبى : نفس المصدر جـ ٣ ص ١٨٧ وانظر :
Ency – de L'Isl (art Al HASSAN b. SAHL) 2ed. T. 3 pp, 250 – 251.

(٩٤) ويقال ان اسمها خديجة ، وبوران لقبه ، والأول أشهر ، وقد توفيت سنة ٢٧١ هـ / ٨٨٤ م — نصوص جديدة من كتاب الوزراء والكتاب ص ٥٤ هامش (١) .

(٩٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١ ص ٢٨٧ .

(٩٦) ابن خلكان : نفس المصدر جـ ١ ص ٢٨٧ .

(٩٧) فم الصلح : بليدة على دجلة قريبة من واسط . معجم البلدان جـ ٤ ص ٢٧٦ .

(٩٨) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ٥٦٦ ، ابن الأثير : الكامل جـ ٥ ص ١٩٣ .

ولا شك أن هذا الزواج كان مكرمة كبيرة للحسن بن سهل وزير المأمون ، وقد عبر الحسن بن سهل عن مدى سروره بتلك الانفاقات التى تميزت بالبذخ فى تلك المناسبة ، وتنوعت بين الأموال والضياع والجوارى التى قسمت على أعداد كبيرة من الناس ، وقواد المأمون واصحابه واتباعه ، وقد فرش الحسن بن سهل للخليفة المأمون حصيرا من الذهب ، ونثر على قدميه اللآلىء الكثيرة ، وقد أورد بن خلكان صفة ذلك حيث قال : « وانتهى أمره الى أن نثر على الهاشميين والقواد والكتاب والوجوه بنادق مسك فيها رقاع بأسماء ضياع ، وأسماء جوار ، وصفات دواب وغير ذلك ، وكانت البندقة اذا وقعت فى يد الرجل فتحها ، فيقرأ ما فى الرقعة ، فاذا علم ما فيها مضى الى الوكيل المرصد لذلك فيدفعها اليه ، ويتسلم ما فيها سواء كان ضيعة أو ملكا آخر أو فرسا أو جارية أو مملوكا ، ثم نثر بعد ذلك على سائر الناس الدنانير والدراهم، ونوافج المسك وبيض العنبر ، وأنفق على المأمون وقواده وجميع أصحابه ، وسائر من كان معه من أجناده وأتباعه ، وكانوا خلقا لا يحصى ، حتى على الجمالين والمكارية والملاحين ، وكل من ضمه عسكره ، فلم يكن فى العسكر من يشترى شيئا لنفسه ولا لدوابه » ثم قال : « وذكر الطبرى فى تأريخه أن المأمون أقام عند الحسن تسعة عشر يوما ، يعد له فى كل يوم ولجميع من معه ما يحتاج اليه ، وكان مبلغ النفقة عليهم خمسين الف الف درهم » ثم قال غيره : « وفرش للمأمون حصير منسوج بالذهب ، فلما وقف نثرت على قدميه لآلىء كثيرة ؛ فلما رأى تساقط اللآلىء المختلفة على الحصير المنسوج بالذهب قال : قاتل الله أبا نواس : كأنه شاهد هذه الحال حين قال فى صفة الخمر والحباب الذى يعلوها عند المزاج :

كأن صغرى وكبرى من فقاقعها حصباء در على أرض من الذهب (٩٩)

---

(٩٩) ابن خلكان : وفيات الأعيان ص ٢٨٨ .

وقال ابن طباطبا : « وكانت دعوة عظيمة تتجاوز حد التجمل والكثرة » (١٠٠) .

وقد انفق الحسن بن سهل فى زواج ابنته ما لم يفعله ملك قط فى جاهلية ولا اسلام (١٠١) .

وقد عبرت جدة بوران عن سرورها بهذا الزواج وتلك الصلة بالخلافة فنثرت على المأمون وعلى بوران الف درهم فى صينية ذهب (١٠٢).

ويقول آدم ميتز أن زفاف المأمون بلغت تكاليفه سبعين الف درهم (١٠٤) . ولعل ما انفقه الحسن بن سهل وامه فى هذه المناسبة يبين عما كان عليه آل سهل من الثراء فى عهد المأمون ، والذى كان ثمرة لوقوفهم موقف التحريض والتدبير والتأييد له فى صراعه مع اخيه الخليفة محمد الأمين .

وقد افاء المأمون من ناحية أخرى بهذه المناسبة على الحسن بن سهل ، فأمر له عند انصرافه بعشرة ملايين درهم ، وأقطعه فم الصلح ، كما أطلق له خراج فارس ، وكور الأهواز مدة سنة (١٠٤) .

وكثرت فى هذه المناسبة أشعار الشعراء ، وخطب الخطباء ، وقد ادرك بعضهم مغزى ذلك الزواج ، وعلم السر فى انعقاده ، والمح الى فهم سياسى فقال :

بارك الله للحسن ولبوران فى الختن

---

(١٠٠) ابن طباطبا : الفخرى ص ٢٢٢ .

(١٠١) المسعودى : مروج الذهب ج ٤ ص ٤٠ .

(١٠٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٨٩ .

(١٠٣) آدم ميتر : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع ج ٢ ص ٣٠٠ .

(١٠٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٨٩ ، المسعودى : مروج الذهب ج ٤ ص ٣٠ .

يا ابن هارون قد ظفر   ت ، ولكن ببنت من ؟ (١٠٥)

ولم تغب فطنة الشاعر عن فطنة المأمون فقال : « والله ما ندرى خيرا أراد أم شرا ؟ » (١٠٦) .

والحق أن هذا الزواج الذى تم بين المأمون وبوران بنت الحسن بن سهل وزيره الفارسى لم يكن خالصا لوجه الزواج ، بل هو زواج سياسى رمى المأمون من ورائه الى امتلاك ناصية طاعة بنى سهل له ، ومن ورائهم الفرس بعامة ، واستلال ما قد يكون ترسب فى نفوسهم من اغتيال الفضل بن سهل ، ونفى أى شبهة عنه بأن له يدا فى قتله ، وأن يخفف عنهم المصيبة فيه (١٠٧) .

وقد كان مقتل الفضل بن سهل بسبب قرار المأمون السير الى بغداد من مرو حيث كان يقيم ، وذلك بناء على نصائح من بعض العرب (١٠٨) الذين جاءوا من العراق لمقابلته فى مرو ، مما كان يهدد السطوة والوصاية الفارسية ، فأغضب ذلك وزيره الفضل بن سهل ، فأمر بضرب الناصحين للمأمون ، ونتف لحاهم ، فما كان منهم الا أن هجموا عليه فى الحمام ، فضربوه بسيوفهم حتى الموت ، وذلك بسرخس قرب مرو فى يوم الجمعة ، شعبان سنة ٢٠٢ هـ / ٨١٨ م أو عام ٢٠٣ هـ / ٨١٩ م (١٠٩)

---

(١٠٥) ابن خلكان : نفس المصدر ج ١ ص ٢٨٩ ، والشاعر هو : محمد بن حازم الباهلى ، وانظر : المسعودى مروج الذهب ج ٤ ص ٣٠ — ٣١ .

(١٠٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٨٩ ، المسعودى : مروج الذهب ج ٤ ص ٣٠ .

(١٠٧) احمد شلبى : موسوعة التاريخ الاسلامى ج ٣ ص ١٨٥ ، وانظر : نصوص ضائعة من كتاب الوزراء والكتاب ص ٣٢ هامش ٢ .

(١٠٨) وقد جاء المأمون الى بغداد سنة ٢٠٤ هـ / ٨١٩ م
SHABAAN, Islamic history, Vol 2, P. 47.

(١٠٩) المسعودى : مروج الذهب ج ٤ ص ٢٨ ، وموسوعة التاريخ الاسلامى ج ٣ ص ٣٣٥ ، على حبيبة : العباسيون فى التاريخ ص ١٢٩ .

ولا يستبعد ان يكون المامون يد فى ذلك رغبة للتخلص من ذلك الأخطبوط الفارسى الذى يسيطر عليه ، كما سيطر البرامكة من قبل على ابيه ، وتصرف هو كما تصرف ابوه حينما راى ان القومية الفارسية اخلت سبميزان القوى بين القوميات المختلفة (١١٠) ، وكان الفضل فعلا يقلد وزراء الفرس فيجلس فى مجلس المامون على كرسى مجنح ، ويحمل فيه ليجلس عليه بين يدى المامون ، كما كان يفعل وزراء كسرى (١١١) .

وكان الفضل قد سعى للسيطرة على المامون سعيها بعد ان تملكه الغرور ، وكانما خطر له ان يجعل هذا الملك ملكا له ، وان يستعيد لخراسان سلطانها وسيادتها ، فمال الى ان يجعل للمامون الاسم ، ولنفسه القول والعمل ، وسلك طريقا وعرا كان هو فاتحه ، وكان ضحيته (١١٢) ، وهو نفس الاتجاه الذى سلكه من قبل كل من ابى مسلم الخراسانى وجعفر بن يحيى البرمكى .

وقد كانت رغبته فى الاستئثار بالسلطان دون الخليفة تابعا له زلة كبيرة من الفضل دفع حياته ثمنا لها (١١٣) .

وقد اتخذ المامون — دفعا للتهمة عنه وحفظا للتوازن بين القوميات — الحسن بن سهل وزيرا له مكان اخيه الفضل (١١٤) ، ولقبه بذى الكفايتين ، وكان أخوه قبله يسمى ذا الرياستين .

هذا ، وقد فطن بعض المؤرخين الى أن زواج المامون من بوران هو زواج سياسى بالدرجة الأولى ، فقال فى معرض حديثه عن سياسة المامون:

---

(١١٠) عبد المنعم ماجد : تاريخ العصر العباسى الأول ص ٣٢١ .
(١١١) عبد المنعم ماجد : نفس المصدر ص ٣٢١ .
(١١٢) احمد شلبى : انظر موسوعة التاريخ الاسلامى ج ٣ ص ٢٣١ — ٢٣٢ .
(١١٣) احمد شلبى : نفس المصدر ج ٣ ص ١٨٧ .
(١١٤) SHABAAN, Islamic history, Vol 2, P. 47.

« وكان سياسيا فذا فى تزوجه بوران بنت الحسن بن سهل ليكتسب الحزب الفارسى (١١٥) » .

ووازن بعضهم بين تصرف المأمون فى زواجه من بوران بنت الحسن ابن سهل ، ورفض مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية عندما عرض عليه الاصهار الى العباسيين فرفض ، وذلك حيث يقول : « نصح الخليفة الاموى مروان بن محمد بأن يصهر للعباسيين ، وكان كثير البنات ليكسب ولاءهم ، فقال : « انه لا يشترى ولاء الناس بأبضاع النساء » ثم يضيف ذلك المؤرخ قوله : « واما الخليفة المأمون فكان شخصا آخر ، اذ لم يكن يتردد فى السعى وراء حاجته بطرق شتى ، وكان زواجه من بوران بنت وزيره الحسن بن سهل زواجا سياسيا معروفا » (١١٦) .

ثانيا : رغبة المأمون فى تزويج احدى بناته للفضل بن سهل :

ومما يدل على ان المأمون كان حريصا على الاصهار الى بنى سهل ان الأمر بلغ به الى درجة انه عرض على الفضل بن سهل أن يتزوج احدى بناته لنفس الأسباب التى دفعت به هو الى أن يتزوج من بوران بنت الحسن بن سهل على الرغم من عادة استهجان تزويج بنات الخلفاء من غير ذوى قرباهم (١١٧) ، ولم تغب عن فطنة الفضل بن سهل مرامى المأمون ، ولكنه خشى مما قد تتعرض له صلته بالمأمون اذا ما تم مثل هذا الزواج ، وحدث ما يعكر صفوه مما يعرضه لغدر المأمون وبطشه ، فاعتذر اعتذارا مهذبا على أساس أن هذا شرف لا ينبغى لمثله ان يتطاول اليه ، وقال للمأمون : « لو صلبتنى ما فعلته » (١١٨) .

---

(١١٥) الرفاعى / عصر المأمون ص ٣٦٤ .
(١١٦) على حبيبة : العباسيون فى التاريخ ص ٢٤٦ حاشية (٢) .
(١١٧) احمد شلبى : موسوعة التاريخ الاسلامى جـ ٣ ص ٣٣١ .
(١١٨) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ٣٠٧ ، وعبد المنعم ماجد : تاريخ العصر العباسى الأول ص ٣٢١ .

ويبدو ان المامون قد كرر رغبته مرارا على الفضل والفضل يعتذر عن ذلك ، ولنا على ذلك ما يرويه الجهشيارى عن الفضل بن مروان الذى قال : « قال لى المامون : جهدت بالفضل بن سهل الجهد كله ان ازوجه بعض بناتي » (١١٩) .

ولكن الفضل بن سهل بخبرته الواعية ادرك ما ادركه من قبله يحيى بن خالد البرمكى من خطورة الاقتراب من حرمات الخلافة .

ثالثا : زواج على بن موسى الكاظم (١٢٠) وابنه من بنتين للمامون :

كان الخليفة المامون قد استهل عهده بتتبع العلويين فى كل مكان بهدف القضاء عليهم فقضى على حركة محمد بن ابراهيم بن طباطبا ، كما قضى على زعامة ابى السرايا ، وكذلك حركة الحسين بن على الأفطس وغيرها .

ولكننا لا نلبث ان نراه يغير تلك السياسة القائمة على العنف تجاه العلويين ، وجاء التغيير بصورة عنيفة كذلك ، فلم يصل الأمر الى مجرد

---

(١١٩) الجهشيارى : نفس المصدر ص ٣٠٧ .

(١٢٠) وكان على بن موسى من خيرة العلويين واشرفهم وانبلهم ، واقلهم اطماعا ، وكان يقول ينبغى لمن اخذ برسول الله ان يعطى به ، ولم يقل ابو نواس فيه شعرا قط ، فسأله بعض أصحابه : ما رايت أوقح منك ، ما تركت خمرا ولا طردا ولا معنى الا قلت فية شيئا ، وهذا على بن موسى الرضا فى عصرك لم تقل فيه شيئا ، فقال ابو نواس : والله ما تركت ذلك الا اعظاما له ، وليس قدر مثلى أن يقول فى مثله ، ونظم ابو نواس فى هذه المحادثة قوله :

قيل لى : انت احسن الناس طرا فى فنون من الكلام النبيه
لك من جيد القريض مديح يثمر الدر فى يدى مجتنيه
فعلام تركت مدح ابن موسى ؟ والخصال التى تجمعن فيه
قلت : لا أستطيع مدح امام كان جبريل خادما لأبيه

احمد شلبى : موسوعة التاريخ الاسلامى ج ٣ ص ٣٣٥ — ٣٣٦
وانظر : Ency. de L'Isl, (art Ali al Rida) 2e ed T. 1, P. 411.

خطاب يهدىء فيه روعهم أو وعد باحسان معاملتهم ، بل كان بتولية عهده الى شخصية علوية هى : على بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق (١٢١) ، وكان ذلك أمرا خطيرا بلا شك حيث كان يعنى نقل الخلافة من العباسيين الى العلويين ، وهو الأمر الذى جاهد العلويون من اجله كثيرا ، وراح ضحيته الكثير من زهرات البيت العلوى ، وكان معنى هذا انعدام الأمل امام العباسيين فى العودة الى الخلافة من جديد حيث كان العلويون سيعضون على الأمر بالنواجذ .

وكان تصرف المأمون على هذا النحو غريبا يضع الكثير من علامات الاستفهام لاسيما وأن المأمون اردف مبايعته لعلى الرضا بتزويجه من ابنته المسماة أم حبيب ، وتزويج محمد الجواد بن على الرضا بابنته الأخرى المسماة أم الفضل (١٢٢) وذلك فى سنة ٢٠٢ هـ / ٨١٧ (١٢٣) وسمى عليا بعلى الرضا من آل محمد (١٢٤) ، وضرب المأمون اسم على الرضا من دينار ودرهم (١٢٥) .

وكانت حجة المأمون فى ذلك — كما أظهرها — أنه لم يجد فى عهده احدا افضل ولا احق بالأمر من على الرضا الذى كان معروفا فى المدينة —

---

(١٢١) هو الامام على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين، وكان رجل زمانه وواحدا من كبار الناس فى عهده .
على حبيبة : العباسيون فى التاريخ ص ١٣٠

(١٢٢) مجهول : العيون ص ٣٥٧ ، جمال سرور : الحياة السياسية فى الدولة العربية الاسلامية ص ٢٠٧ .

(١٢٣) BROKELMAN, History of Islamic peole, P. 122 & AMIR Ali, A short history of the saracenes, P. 265.

(١٢٤) مسكويه : تجارب الأمم جـ ٦ ص ٤٣٦ ، على ابراهيم : التاريخ الاسلامى العام ص ٣٩٠ .

(١٢٥) المسعودى : مروج الذهب جـ ٤ ص ٢٩ .

حيث يقيم ـ بالتقوى والعلم والفتوى (١٢٦) ، وأمر المأمون بخلع السواد شعار الدولة العباسية على ان يلبس الناس الخضرة ، وربما كان اختيار هذا اللون يرجع الى الفضل بن سـهل حتى يتقرب به الى الفرس حيث كان لبس الأكاسرة ، اما العلويون فيلبسون البياض .

وقد راى بعض المؤرخين ان نقل ولاية العهد الى على الرضا كان عن اخلاص من الخليفة المأمون لقضيته الخاصة (١٢٧) ، ولم يسـتطع تاجيل الاهتمام برياسـة الدولة بعده لفترات اخرى ، ولم يكن فى نفس الوقت يستطيع ان يختار لهذه الرئاسة العامة واحدا من العباسـيين الذين يضطرب ولاؤهم ، ولم يكن اختيار واحد منهم مفيدا فى مثل ظروفه ، كما ان عليا الرضا ـ من جهته ـ كان مخلصا لقضية المأمون وحـده ، حيث اراد التعاون السريع معه فى وقت كان الخليفة فيه يتعرض لأحـداث داهمة ، وإن المأمون وعليا الرضا كانا صديقين يفى كل منهما لصاحبه ، ولأن يكون صاحب السلطة فى دولة العباسيين مواليا للعلويين خـير له ولأنصاره من البعد عنه أو محاولة الكسب على حسابه ما دام الجـو العام غير صالح للانتصار الحاسم فى مثل تلك المحاولة الجريئة (١٢٨) .

---

(١٢٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٢٧٢ وانظر :
AMIR Ali, A short history of the saracenes, P. 265.

(١٢٧) وقد قيل ان عمته سألته لماذا يريد تحويل الخلافة لبنى عمـه ؟ فأجاب بانه يريد توصـيل الخير لهـم ، فقالت له : انه يكون اقدر على توصيل هذا الخير لمن يريد والسلطة فى يده لا وهى بعيدة عنه .
على حبيبة : العباسيون فى التاريخ ص ١٣٠ حاشية ٢

(١٢٨) على حبيبة : نفس المصدر ص ١٣٠ ، ١٣١ ، ويقول المؤرخ : ولا يبدو ان المأمون كان معتقدا باحقيـة العلويين فى السـلطة دون العباسيين ، برغم ما يقال عن حبه وتعاطفه معهم ، ولا يظهر ان علاقته بهم خرجت عن مجالات العطف والتقدير الشـخصى . نفس المصدر ص ٢٠٨ حاشـية ١ .

ولعل ارجح الآراء فى تصرف المامون على هذا النحو هو تحسين وزيره الفضل بن سهل ذلك الأمر له (١٢٩) ، حيث كان فى ذلك تقريب له من بنى جلدته من الفرس ، والذين كان هواهم مع العلويين ايمانا بنظرية الحق الالهى (١٣٠) ؛ وكان الفضل بن سهل يرمى من وراء ذلك الى السيطرة على البيتين العباسى والعلوى فيملك كليهما (١٣١) .

وقد وجد من فطن الى تفكير الفضل بن سهل هذا ، فقال له نعيم ابن حازم : « انك انما تريد أن تزيل الملك من بنى العباس الى ولد على، ثم تحتال عليهم ، فتصير الملك كسرويا ، ولولا أنك اردت ذلك لما عدلت عن لبسة على وولده وهى البياض الى الخضرة ، وهى لباس كسرى والمجوس » (١٣٢) .

وعلى الجملة ، فان أمر ولاية العهد لعلى الرضا كما بدا بعلامة استفهام كبيرة انتهى بعلامة استفهام كبيرة اخرى ، حيث توفى فجاة فى سنة ٢٠٢ هـ قرب طرسوس (١٣٣) ، واحاط وفاته الشك (١٣٤) ، اذ توفى بعد أن تناول عنبا أو رمانا قيل انه كان مسموما (١٣٥) ؛ وقيل

---

(١٢٩) مسكويه : تجارب الأمم جـ ٦ ص ٤٣٦ واحمد شلبى : موسوعة التاريخ الاسلامى جـ ص ٣٣٣ .

(١٣٠) عبد المنعم ماجد : تاريخ العصر العباسى الأول ص ٣١٢ .

(١٣١) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ٣١٢ .

(١٣٢) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ٣١٣ .

(١٣٣) Muir, The Caliphate, P. 268.

(١٣٤) SHABAAN, Islamic history, Vol 2, P. 47.

(١٣٥) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى جـ ٢ ص ٤٥٣ ، المسعودى : مروج الذهب جـ ٤ ص ٢٨ .

ان المأمون هو الذى دسه اليه ؛ ويستبعد ابن الأثير ذلك فيقول : « وهذا عندى بعيد » (١٣٦) .

والواقع انه لا يستبعد ان يكون المأمون قد قام بذلك فعلا مدفوعا بالظروف التى احاطت به ، والتى دفعته الى ارتكاب مثل هذا العمل ، وبخاصة انه بعد وفاة على الرضا بادر فارسل الى بنى العباس واهل بغداد يعتذر من عهده اليه ، ويخبرهم انه قد مات ، ويدعوهم الى الرجوع لطاعته (١٣٧) ، وبذلك يكون المأمون ـ الذى باتت خلافته معرضة للخطر بتولية على الرضا عهده ـ قد ركب الصعب ، وتخلص من على الرضا بسمه (١٣٨) .

وكما تمكن المأمون من اخفاء دوره فى التخلص من الفضل بن سهل عمل على اخفاء دوره فى التخلص من على الرضا فصلى عليه ، ومشى فى جنازته حاسرا فى مبطنة بيضاء وهو بين قائمتى النعش .

على أن تصرف المأمون تجاه العلويين فى نصفها المتحيز لهم ، وتزويجه لبنتيه من على الرضا وابنه محمد الجواد ، واتخاذه اللون الأخضر الذى ليس عباسيا وليس علويا ، وانما هو لباس كسرى والمجوس ، وان كان بتوجيه من الفضل بن سهل قد رآه بعض المؤرخين ـ وهو حق ـ عمل سياسى يدل على دهاء المأمون (١٣٩) ، كما اعتبروا أن سياسته تلك قامت على معرفة لنفسيات الجمهور وأمزجة الجماعات (١٤٠) .

---

(١٣٦) ابن الأثير : الكامل جـ ٥ ص ١٩٣ ،
H. IBRAHIM, Islamic and history, P. 179.

(١٣٧) احمد شلبى : موسوعة التاريخ الاسلامى جـ ٣ ص ٣٣٥ .

(١٣٨) SHABAAN, Islamic history, Vol 2, P. 179

(١٣٩) احمد فريد رفاعى : عصر المأمون ص ٣٦٥ .

(١٤٠) وقد ظل الخليفة فى بغداد مدة عامين .
H. IBRAHIM, Islamic and history cluture, p. 179.

وعلى اية حال فقد وضعت وفاة على الرضـــا حدا للصراع الذى نشأ بين بنى العباس وبين المأمون ذلك الذى بلغ الى حد ان العباسيين نصبوا ابراهيم بن المهدى خليفة فى بغداد ، ولقبوه بالخليفة السنى ، فى حين اطلقوا على المأمون الخليفة الشيعى ، وقضـــت على تلك الفتنة التى نشـــبت بســـببها الحروب حتى قتل الناس بعضهم بعضا ، وكان النصر حينا لأصحاب الخضرة وحينا لأصحاب السواد .

على انه يوجد من الأدلة ما يثبت أن المأمون كان ملخصا فى تحوله الى السياسة الودية تجاه العلويين حيث قال له : « وهؤلاء بنو عمك من ولد امير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ، فأحسن صحبتهم، وتجاوز عن مسيئهم واقبل محسنهم ، وصلاتهم فلا تغفلها فى كل ســـنة عند محلها ، فان حقوقهم تجب من وجوه شتى » (١٤١) .

---

(١٤١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ٦٤٩ ، ٦٠٥ وانظر : جمال سرور : الحياة السياسية فى الدولة العربية الاسلامية ص ٢٠٧ و
H. IBRAHIM, Ibid, P. 179

الفصل الثانى
الزواج السياسى
فى عهد نفوذ الأتراك والبويهيين


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين
http://al-maktabeh.com

(أ)

الزواج السياسى فى عهد نفوذ الأتراك

زواج خمارويه من ابنة ابن المدبر

عندما عين أحمد بن طولون نائبا لوالى مصر من قبل الخلافة العباسية فى سنة ٢٥٤ هـ / ٨٦٨ م (١٤٢) أسندت اليه الشئون الادارية فقط فى حين كانت شئون المال والخراج فى يد وال آخر هو أحمد بن المدبر (١٤٣) .

وقد كانت مهارة أحمد بن المدبر هذا هى التى رشحته لتولى الخراج فى مصر بعد أن قام فى الشرق بوظائف عدة قيل انها سبع فى وقت واحد ، وقد أظهر ابن المدبر مهارته هذه فى ادارة شئون مصر المالية ، كما استطاع أن يرضى الخليفة والوالى الأصلى بالخراج الذى كان يسلمه اليهما ، ولكنه فى سبيل ذلك ابتدع أنواعا من الضرائب لم تكن موجودة ، واشتط فى جمع الخراج ؛ وقد وصف ابن المقريزى ابن المدبر هذا بأنه « من دهاة الناس وشياطين الكتاب » (١٤٤) .

ويبدو أن هذا كله لم يكن ليضايق أحمد بن طولون الذى جاء الى مصر واليا ولو لم يكن مزمعا اصلاح حالها ، أو راغبا فى الاستقلال بها .

---

(١٤٢) سعيد عاشور : مصر فى العصور الوسطى ص ٨٩ .

(١٤٣) والى الخراج على مصر منذ سنة ٢٤٧ هـ . خطط المقريزى جـ ١ ص ٣١٤ ،

(١٤٤) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٣١٤ .

ولكنه جاء وفى نيتة احد هذين الأمرين او هما معا ، فصدمه ما يتمتع به ابن المدبر ، واراد الأخير أن يستميل الوالى الى جانبه ، وان يظهر فضلة عليه فى الوقت نفسه ، فأرسل اليه بمجرد دخولة الى مصر هدية مقدارها عشرة آلاف دينار ، غير ان ابن طولون رفضها (١٤٥) ، واصبح واضحا ان ابن المدبر يتعامل مع وال يختلف عن من سبقه من الولاة ، وارسل ابن المدبر الى الخلافة يلفت الانتباه الى ان يولى مثل احمد بن طولون فى حاضرة الدولة العباسية او ضواحيها ، وكان تفسيره لذلك ان نفسا ترفض هدية قيمتها عشرة آلاف دينار ليس من الحكمة ان تولى مصر .

وتأكد ابن المدبر من نوعية الوالى الجديد عندما طلب منه ابن طولون بعد ايام ان يحول الغلمان المائة الذين كانوا يسيرون فى ركابه ويجلسون بجلوسه ، والذين كانوا يحرسونه ،ويفتخر بهم ، ويدلون على ما كان له من حول وسلطان (١٤٦) ففعل ، وقد وصف المقريزى هؤلاء الغلمان بقوله : « وكان لهم خلق حسن وطول اجسام ، وبأس شديد ، وعليهم اقبية ، ومناطق ثقال عراض ، وبايديهم مقارع غلاظ ، على كل طرف مقرعة مقمعة من فضة ، وكانوا يقفون بين يدى مجلسة (أى مجلس ابن المدبر)اذا جلس ، فاذا ركب ركبوا بين يديه فيصير له بهم هيبة عظيمة فى صدور الناس » (١٤٧) .

وكان لتحول هؤلاء الغلمان الى ابن طولون اثره فى زيادة نفوذه ، بقدر الضعف الذى بدأ ينتاب سلطان ابن المدبر ، فلجأ ابن المدبر الى سياسة الدس والوشاية يتقدم بهما الى الخلافة ، والى رجال الخلافة ،

---

(١٤٥) المقريزى : نفس المصدر ج ١ ص ٣١٤ .
(١٤٦) سيدة كاشف : أحمد بن طولون ص ٥٩ .
(١٤٧) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٣١٤ .

واعتمد فى ذلك على اخيه ابراهيم بن المدبر الذى كان من اصحاب الكلمة المسموعة فى بلاط الخلافة (١٤٨) ، وساعده على ذلك شقير عامل البريد الذى كان مولى لقبيحة أم الخليفة المعتز ، الذى ارسل كتابا الى عاصمة العباسيين يقول فيه ان أحمد بن طولون يعمل على الاستقلال بمصر (١٤٩).

وغاب عن ابن المدبر أن لابن طولون انصارا واعوانا فى مقر الخلافة، وبين هؤلاء الرجـــال يحيطونه علما بكل ما كان يجرى من المؤامـرات ضده (١٥٠) ، وكان ابن طولون يبادر بارســـال الهدايا والأموال الى الرجال أولى الأمر فى بلاط الخليفة ومنهم الوزير الحسن بن مخلد .

ومن ناحية أخرى كان وجود يارجوخ حمى أحمـــد بن طولون فى سامرا آنذاك فى مصلحة ابن طولون (١٥١) ، فكانت الكتب التى يكتبهـا ابن المدبر الى الخلافة تجىء الى أحمد بن طولون ، ومن ناحية أخرى كانت كتب ابن شـــقير كذلك تصير الى نفس مصير كتب ابن المدير ، وقد تمكن ابن طولون من عزل شـــقير من منصبه بعد مصرع الخليفة المعتز وزوال سلطان أمه حيث كان شقير — كما قدمنا — مولى لها (١٥٢) .

وقد عمل ابن طولون جاهدا ليعـــزل ابن المدبر عن خراج مصر ونقله الى الشام ، وتم ذلك وعين بدلا منه محمد بن هـــلال الذى كان خاضعا لابن طولون وذلك فى سنة ٢٥٦ هـ / ٨٦٩ م (١٥٣) .

وتمكن ابن المدبر الذى كان على بينة من أمر ضعف الخلافة آنذاك

---

(١٤٨) سعيد عاشور : مصر فى العصور الوسطى ص ٨٩ .
(١٤٩) مصطفى بدر : مصر الاسلامية ج ١ ص ١١٦ .
(١٥٠) سيدة كاشف : أحمد بن طولون ص ٥٩ .
(١٥١) سيدة كاشف : احمد بن طولون ص ٥٠ .
(١٥٢) سعيد عاشور : مصر فى العصور الوسطى ص ٩١ .
(١٥٣) سعيد عاشور : نفس المصدر ص ٩١ .

من استرضائها ، ونجحت خطته عندما حاول ابن طولون تنفيذ الأمر بالقوة بعد رفض ابن المدبر التنفيذ ، حيث قبض عليه وأودعه السجن ، ولكنه اضطر الى اخلاء سبيله بعد أن جاءه الأمر من الخلافة بالابقاء عليه فى ولاية الخراج .

وبهذا فقد ابن طولون الجولة الأولى ، ولكنه خفف من شدة الهزيمة بالحد من سلطان ابن المدبر الذى رضى بهذا بعد أن لمس تزايد سلطان ابن طولون ومهارته السياسية .

ثم حاول ابن المدبر من جهته الخروج من مصر ، فسعى له أعوانه وفيهم أخوه ابراهيم بن المدبر فى نقله الى الشام فتم له ذلك ، وعينه الخليفة المعتمد واليا على الخراج لفلسطين ودمشق والاردن ، وكان المعتمد أرسل الى ابن طولون يستحثه فى جمع الأموال ، فكتب اليه ابن طولون : « لست اطيق ذلك والخراج فى يد غيرى » .

وانتهى الأمر بتولية الخليفة لأحمد بن طولون الخراج وولاية الثغور الشامية بالاضافة الى مصر ، فأصبح الأمر كله فى يده ، « وقويت شوكته بذلك ، وعظم أمره بديار مصر » (١٥٤) ؛ وقد تم ذلك الانجاز لأحمد بن طولون فى سنة ٢٦٣ هـ / ٨٧٦ م (١٥٥) .

على أن ابن المدبر من ناحيته كان قد ادرك ببعد نظره أن خطورة ابن طولون عليه لن تنتهى بمجرد تركه لمصر ، فحاول تحسين علاقته به قبل أن يمضى الى الشام ، ورأى أن خير وسيلة لتحسين تلك العلاقة هى علاقة المصاهرة فسعى الى ذلك وتحققت رغبته بزواج ابنته من

---

(١٥٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٣ ص ٧ .
(١٥٥) سعيد عاشور : مصر فى العصور الوسطى ص ٩١ .

خمارويه بن احمد بن طولون ؛ وجعل ابن المدبر لها كل ما كان له من عقار ثابت فى مصر ولم يستطع نقله منها (١٥٦) .

ومع ذلك لم تستمر العلاقة الحسنة بين احمد بن طولون وأحمد بن المدبر طويلا رغم هذا الزواج السياسى الذى تم بينهما ، فقد كانت المودة بينهما مؤقته ، وانتهت بأن تمكن ابن طولون من عزل خصمه القديم فى أول فرصة لاحت له ، بعد أن احتل بلاد الشام ، وحبسه فى سنة ٢٦٥ هـ /٨٧٨ م ، ومات ابن المدبر فى حبسه فى صفر سنة ٢٧٠ هـ/ اغسطس ٨٨٣ م ، وقيل أن ابن طولون قتله (١٥٧) .



(١٥٦) سيدة كاشف : احمد بن طولون ص ٦٨ .
(١٥٧) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٧ ص ٥٦ .

زواج الخليفة المعتضد بالله (١٥٨) من قطر الندى بنت خمارويه

مات احمد بن طولون فى سنة ٢٧٠ هـ مخلفا وراءه امبراطورية عظيمة يهدد جزؤها الشمالى الشرقى « الشام واطراف الجزيرة العراقية » .

وقد وقع عبء المحافظة على تلك الامبراطورية على كاهل خمارويه الابن الأصغر لأحمد بن طولون ، حيث كان الابن الاكبر « عباس بن أحمد ابن طولون » فى السجن منذ عهد ابيه بعد خروج عباس الى برقة عازما على الاستقلال بولايتها ومعها افريقية .

وجاء خطاب الخلافة بولاية خمارويه لمصر ، وكان خمارويه آنئذ شابا فى حوالى العشرين من عمره ، ولكنه تمكن من التغلب على الصعاب التى واجهته ، كما تمكن من تحسين علاقة الدولة الطولونية بالخلافة العباسية فى بغداد التى كانت سيئة للغاية ابان عهد ابيه بسبب التحدى السافر الذى كان بينه وبين الموفق طلحة المحرك الفعلى للأحداث فى عهد خلافة أخيه المعتمد على الله (٢٥٦ ـ ٢٧٩ هـ) (٨٦٩ ـ ٨٩٢/٨٩٣ م)

وكان للانتصارات الحربية التى تمكن خمارويه من احرازها أن مال الموفق طلحة الى مهادنة الطولونيين حتى يتفرغ لتوطيد سلطته فى الاقاليم الشرقية ، وتمت مفاوضات ، ووقع صلح أصبح خمارويه بمقتضاه حاكما

---

(١٥٨) هو احمد بن طلحة الموفق بن جعفر المتوكل أبو العباس ، ولد فى ذى القعدة سنة ٢٤٢ هـ ، وامه ام ولد تدعى « صواب » ، بويع بالخلافة لعشر بقين من رجب سنة ٢٧٩ هـ بعد المعتمد على الله ، وتوفى فى ٢٢ ربيع الآخر سنة ٢٨٥ هـ .

Shabaan, Islamic history, Vol 2, P. 114.

وانظر : محمود شاكر : تاريخ الدولة العباسية جـ ٢ ص ٩٣ ، ٩٤ .

لمصر وسوريا والثغور الواقعة على حدود الروم ، وجعل هذا الصلح نافذا لمدة ثلاثين عاما (١٥٩) ، على أن يدفع للخلافة ما بين ٢٠٠٫٠٠٠ الى ٣٠٠٫٠٠٠ دينار فى مقابل ٧٥٠٫٠٠٠ دينار كانت تدفع عن مصر فقط فى عهد احمد بن طولون مما مثل خسارة كبيرة بالنسبة للخلافة (١٦٠) . وهذه المعاهدة التى عقدها خمارويه مهمة للغاية لأن حق الطولونيين فى حكم مصر اصبح شرعيا منذ ذلك الوقت (١٦١) .

وبعد وفاة الموفق فى سنة ٢٧٨ هـ / ٨٩٢ م ، ثم المعتمد سنة ٢٧٩ هـ / ٨٩٣ م اقر الخليفة الجديد المعتضد (١٦٢) (٢٧٩ / ٢٨٩ هـ) (٨٩٢ — ٩٠٢ م) خمارويه على البلاد الواقعة بين العراق شرقا وبرقة غربا (١٦٣) ، وزاد فجعل تاريخ ذلك بداية لمدة ثلاثين سنة يتولاها خمارويه على هذه البلاد ، وارسل الى خمارويه رسولا يحمل اثنتى عشرة خلعة ، وسيفا ، وتاجا ووشاحا (١٦٤) ، وبهذا تحسنت العلاقة بين القطائع وبغداد تماما (١٦٥) .

وكان خمارويه — بعد وفاة المعتمد وتولى المعتضد الخلافة — سعى الى احلال السلام بين مصر وبغداد والى تقوية علاقته بالخلافة العباسية

---

(١٥٩) Lane – Poole, A history of Egypt in the middle ages, P. 73 & Shabaan, Islamic history, Vol 2, PP. 112–113.

(١٦٠) Shabaan, Islamic history, Vol2, P. 113.

(١٦١) مصطفى بدر : مصر الاسلامية جـ ١ ص ١٣٩ ، ١٤٠ .

(١٦٢) وكان المعتضد يسمى السفاح الثانى لأنه جدد ملك بنى العباس.
جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ص ٣٤ .

(١٦٣) Shabaan, Islamic history, Vol 2, P. 114.

(١٦٤) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٣ ص ٥٣ ، جمال سرور : الدولة الفاطمية ص ٤٨ ، وانظر :
H. Ibrahim, Islamic and history culture, P. 218.

(١٦٥) ابو المحاسن : نفس المصدر جـ٣ ص ٥٣ و
H. Ibrahim, Ibid, P. 218.

اكتسابا للشرعية ، حيث كان الأمر آنذاك يحتاج الى أن يقر الخليفة اسم الوالى الذى يعين على الولاية ، والا « استحل عزلة وخرجت رعيته عليه » (١٦٦) .

وشرط المعتضد بالله على خمارويه أن يحمل كل سنة الى الخلافة فى بغداد — بعد القيام بجميع وظائف مصر ، ودفع مرتبات أجنادها — مائتى ألف دينار عما مضى وثلاثمائة الف للمستقبل (١٦٧) .

وقد بادر خمارويه بارسال التحف والهدايا الى الخليفة الجديد فى بغداد ، فارسل الحسين بن عبد الله المعروف بابن الجصاص بهدايا قدرها الطبرى « بعشرين حملا على بغال ، وعشرة من الخدم ، وصندوقين منهما طراز (١٦٨) ، وعشرين رجلا على عشرين نجيبا بسروج محلاة ، وسبع وثلاثين دابة بجلال مشهرة ، وخمسة ابغل بسروج ولجم وزرافة » (١٦٩) .

ورأى المعتضد فى ذلك فرصة فى وجود مصر تابعة للخلافة العباسية حتى يحين الوقت لحكم عباسى مباشر لها .

وقد أثرت تلك الرغبة المتبادلة فى تنقية الجو بين القطائع وبغداد عن زواج الخليفة المعتضد بالله من أسماء ابنة خمارويه التى اشتهرت باسم « قطر الندى » ، وكان خمارويه قد أراد أن يزوج ابنته من على

---

(١٦٦) على ابراهيم : نساء لهن فى التاريخ الاسلامى نصيب ص ٩٩ .
(١٦٧) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٢٥٠ ، المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ٣٢١ .
(١٦٨) الطراز : ثياب يرسم عليها أسماء أو علامات مميزة ، وقد حرص الخلفاء الأمويون ثم العباسيون على رسم أسماء أو علامات مميزة على ثيابهم ، وعلى ثياب كبار رجالهم وجنودهم .
الخربوطلى : العرب والحضارة ص ١٤٧
(١٦٩) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ١٠ ص ٣٠ .

المكتفى بالله بن المعتضد وولى عهده ، وأراد الخليفة أن يبرهن على ترحيبه بهذه الخطوة أو اراد استغلالها ليتمكن من زيادة السيطرة على مصر الطولونية فقرر ان يتزوج هو شخصيا من قطر الندى (١٧٠) .

وكانت قطر الندى من شهيرات النساء جمالا وعقلا وعلما وادبا (١٧١) ، وقد قال المعتضد : « انما اراد ان يتشرف بنا ، وأنا اريد تشريفه ، أنا أتزوجها » (١٧٢) ، فسر خمارويه بذلك (١٧٣) .

واصدقها المعتضد مائتى مليون من الدراهم ، وغير ذلك من المتاع والطيب ، ولطائف الصين والهند والعراق ، وكان مما خص به أبا الجيش خمارويه « بدرة من الجوهرة المثمن فيها در وياقوت وانواع من الجوهر ووشاح وتاج واكليل وقيل قلنسوة وكرزن » (١٧٤) .

وكان وصول قطر الندى الى بغداد فى أول المحرم ٢٨٢ هـ / مارس ٨٩٥ م ، وقد حملت معها ما لم يشاهد مثله أو سمع به من قبل (١٧٥) ، وقد أعطاها خمارويه مائة الف دينار لشراء ما قد تحتاجه من العراق ولم يتيسر وجوده فى مصر .

وقد هيا ذلك لخمارويه بيت مال مصر فى عهده الذى كان عهد رخاء نظرا لما خلفه له أبوه ، فقد روى أبو المحاسن ان احمد بن طولون خلف فى خزائنه « من الذهب النقد عشرة ملايين دينار ، ومن المماليك

---

(١٧٠) المسعودى : مروج الذهب ج ٤ ص ٢٣٤ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٥٣ ، وانظر :
H. Ibrahim, Islamic and history culture, P. 218.

(١٧١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٦٣ .

(١٧٢) المسعودى : مروج الذهب ج ٤ ص ٢٣٤ .

(١٧٣) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ١٥٠ .

(١٧٤) المسعودى : مروج الذهب ج ٤ ص ٢٣٤ .

(١٧٥) أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الاسلامى ج ٣ ص ٤١٢ ، سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ج ٢ ص ١٣١ .

سبعة آلاف مملوك ، ومن الغلمان اربعة وعشرين الف غلام ، ومن الخيل الميدانية سبعة آلاف فارس ، ومن البغال والحمير ستة آلاف راس ، ومن الدواب لخاصته ثلاثمائة ، ومن الجياد مائة » (١٧٦) .

وقد بلغت جائزة ابن الجصاص الجوهرى الذى عهد اليه باعداد جهاز قطر الندى اربعمائة الف دينار بقيت بعد قضاء كل ما تحتاج اليه العروس ، ويقال ان ابن الجصاص حمل معه جوهرا لم يجتمع مثله لخليفة قط (١٧٧) ، وقد اقتطع ابن الجصاص بعض ما حمله لنفسه ، واعلم قطر الندى أن ما اخذه مودع لها عنده الى وقت حاجتها اليه ، فماتت والجوهر عنده « فكان هذا سبب غناه واستقلاله » (١٧٨).

ومما يدل على عظم ما حصل عليه ابن الجصاص ما اخذه منه الخليفة المقتدر عندما صادره فى سنة ٣٠٢ هـ/ ٩١٤ — ٩١٥ م حيث : « اخذ منه من الأموال أربعة ملايين دينار ، وذكر أبو الفرج بن الجوزى انه أخذ منه ما مقداره ستة عشر مليونا من الدنانير عينا وورقا وقماشا وخيلا ، وقيل كانت عنده ودائع عظيمة لزوجة المعتضد قطر الندى بنت خمارويه ، وقال بعض الناس « رأيت سبائك الذهب والفضة تقبن بالقبان من بيت ابن الجصاص » (١٧٩) .

ويقال ان خمارويه جهز قطر الندى بمليون دينار ، وهو مبلغ كبير اذا قورن برزق الجيش المصرى كله فى أيام خمارويه حيث كان فى السنة تسعمائة الف من الدنانير (١٨٠) .

---

(١٧٦) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٣ ص ٢١ .
(١٧٧) المسعودى : مروج الذهب جـ ٤ ص ٢٣٤ .
(١٧٨) المسعودى : نفس المصدر جـ ٤ ص ٢٣٤ .
(١٧٩) ابن الفلاح : شذرات الذهب جـ ٢ ص ٢٣٨ .
(١٨٠) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٣ ص ٥٩ وانظر :
Lane : Poole, History of Egypt in the middle ages, P. 74.

وكانت حفلات الزفاف غاية فى الروعة حافلة بأنواع البذخ والسرف، وكانت الأميرة قطر الندى تظهر فى هذه الحفـــلات ، وقد أثقلها الحرير والماس ، وكان رأسها يحمل اكليلا من الذهب ، وعلى رأســـها طرحة مرصعة بالجواهر ، وفى اذنيها قرط تنوء به الأذنان ، وفى معصمها الأساور النادرة ، وتحلى اصابعها خواتم فريدة (١٨١) .

وقد تبارى الشعراء فى مدح العروس وزوجها ، فقال فى ذلك على ابن العباس الرومى :

يا سيد العرب الذى زفت لـــه　　باليمن والبركات سيدة العجم

اسعد بها كسعودها بك ، انها　　ظفرت بما فوق المطالب والهمم

ظفرت بملأى ناظريها بهجـــة　　وضميرها نبلا ، وكفيها كرم

شمس الضحى زفت الى بدر الدجى　　فتكشفت بهما عن الدنيا الظلم (١٨٢)

ويعتبر زواج قطر الندى من الخليفة المعتضد من أبرز الزيجات التى دونها التاريخ ، ولا يضاهيها فى عظمتها ومواكبهـــا ، وما انفق عليهـــا الا زواج الرشيد من زبيدة بنت الخليفة المهدى ، وزواج المامون من بوران بنت الحسن بن سهل (١٨٣) .

وينحى المؤرخون باللائمة على خمارويه لهذا الاسراف الذى افقـــر البـــلاد ، وخرب الخزانة المصرية ، وعلى كل زواج يميل الى مثـــل هذا السرف الشديد ، فيقول صاحب موسوعة التاريخ الاســــلامى فى تلك

---

(١٨١) احمد شلبى : موسوعة التاريخ الاسلامى ج ٣ ص ٤١٢ .

(١٨٢) المسعودى : مروج الذهب ج ٤ ص ٢٧١ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٣٧٠ .

(١٨٣) وقد سبقت الاشارة الى زواج المامون ، وفى زواج زبيدة انظـــر كتابنا نفوذ النساء فى الدولة الاسلامية .

الزيجات الثلاث : « وانه ليعد من الاسراف ما انفقه آباء الزوجات الثلاث فى هذه المناسبات (١٨٤) .

ولعل اكبر مصداق لخطورة مثل هذا السرف انه تردد فى وقت زواج المعتضد من قطر الندى أن المعتضد اراد من وراء ذلك افقار الدولة الطولونية ، وان ذلك ما حدث بالفعل (١٨٥) ، حتى ان خمارويه لما وصلت قطر الندى الى بغداد كان فى شدة وكرب شديدين بسبب ذلك الجهاز الذى استنفد كل ثروته ؛ وليس ادل على ذلك من انه احتاج مرة شمعة فلم يوفق الى ايجادها فى حينه ، فلعن ابن الجصاص الذى اعتبره مصدر فقره وبلائه (١٨٦) .

والحق انه اذا كان هدف المعتضد فعلا هو افقار الدولة الطولونية فى مصر ، فان خمارويه حقق له أكثر مما تخيله أو توقعه .

ولعل الصورة تكتمل بمتابعة ذلك الزواج الأسطورى فى سيره من مصر الى بغداد ، فقد خرجت قطر الندى من مصر ومعها عمتها العباسة بنت احمد بن طولون ، للقيام بتوديعها حتى نهاية الحدود المصرية من جهة الشام ، وعندما وصلت الى هناك نزلت وضربت فساطيطها وبنت قرية هناك عرفت باسم العباسة ، قال عنها ابن خلكان : « وهى عامرة الى الآن وبها جامع حسن وسوق قائم » (١٨٧) وبين العباسة والقاهرة خمسة عشر فرسخا (١٨٨) .

---

(١٨٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٥٠ .
(١٨٥) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٥٣ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٠٥ .
(١٨٦) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسى ج ٣ ص ٤٧٣ .
(١٨٧) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٥٠ وتقويم البلدان لأبى الفدا ص ١٠٨ .
(١٨٨) ياقوت : معجم البلدان ج ٤ ص ٧٥ وفى ابن مماتى : قوانين الدواوين : من أعمال محافظة الشرقية ص ٩٥ « وفى تقويم البلدان : لأبي الفدا : وهي شمالي بلبيس على نحو مرحلة منها ص ١٠٨ » .

ويورد المقريزى فى خططه صورة ذلك البذخ الطولونى الذى لم تجن مصر من ورائه خيرا ، بل كان فى مجمله ضريبة باهظة دفعها شعب مصر لاشباع رغبة واليه فى التظاهر فيقول : « فجهزها جهازا ضاهى به نعم الخلافة ، فلم يبق خطيرة ولا طرفة من كل لون وجنس الا حمله معها ، فكان من جملته دكة اربع قطع من ذهب مشبك فى كل عين من التشبيك قرط معلق فيه حبة جوهر لا يعرف لها قيمة ، ومائة هون من ذهب » . ويقول : « ولما فرغ خمارويه من جهاز ابنته أمر فبنى لها على راس كل مرحلة تنزل بها قصرا فيما بين مصر وبغداد ، واخرج معها اخاه شيبان ابن احمد بن طولون فى جماعة مع ابن الجصاص ، فكانوا يسيرون بها السير الطفل فى المهد ، فاذا وافت المنزل وجدت قصرا قد فرش فيه جميع ما يحتاج اليه ، وعلقت عليه الستور ، واعد فيه كل ما يصلح لمثلها فى حال الاقامة ، فكانت فى مسيرها من مصر الى بغداد على بعد الشقة كانها فى قصر ابيها ، تنتقل من مجلس الى مجلس حتى قدمت بغداد اول المحرم سنة اثنين وثمانين ومائتين ، فزفت على الخليفة المعتضد » (١٨٩) .

ويفصل الطبرى على الجانب الآخر استعداد بغداد لاستقبال قطر الندى عروس الخليفة فيقول : « ونودى فى جانبى بغداد الا يعبر احد فى دجلة يوم الأحد ، وغلقت ابواب الدروب التى تلى الشط ، ومد على الشوارع النافذة الى دجلة شراع ، ووكل بحافتى دجلة من يمنع ان يظهروا فى دورهم على الشط » (١٩٠) .

وهكذا ، كان دخول قطر الندى الى بغداد يوما مشهودا ، حتى لقد

---

(١٨٩) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٣١٩ .
(١٩٠) الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ ١ ص ٤٠ .

امتنع الناس من المرور فى الطرقات من كثرة الخلق (١٩١) .

وشاءت ارادة القدر الا يدوم ذلك الزواج الأسطورى طويلا حيث توفيت قطر الندى فى ٩ رجب سنة ٢٨٧ هـ ، ودفنت داخل قصر الرصافة ببغداد (١٩٢) .

كما شاءت ارادة القدر أن يلحق بها الخليفة المعتضد فى سنة ٢٨٩ هـ (١٩٣) ، أما خمارويه فكان قد سبقهما الى الموت فى سنة ٢٨٢هـ / ٨٩٥ م حيث تآمر عليه الخدم والجوارى ، وانتهى الأمر به الى القتل ذبحا فى دمشق (١٩٤) .

وكانت وفاة خمارويه ، وما أصاب مصر بعده من ضعف اقتصادى وفوضى سياسية وعسكرية بين وارثيه سببا فى سقوط الدولة الطولونية فى سنة ٢٩٣ هـ/ ٢٩٣ — ٢٩٤ هـ (١٩٥) .

* * *

(١٩١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١١ ص ٧٢ .
(١٩٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٢٥٠ .
(١٩٣) على ابراهيم : التاريخ الاسلامى العام ص ٤٣٧ .
(١٩٤) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١١ ص ٧٢ وانظر : ستانلى لين بول : سيرة القاهرة ص ٩٣ .
(١٩٥) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ١٥١ ، ١٥٤ .

مصاهرة أم موسى القهرمانة لأحمد بن المتوكل في عهد الخليفة المقتدر بالله

تميز عهد الخليفة المقتدر بالله العباسى (٢٩٥ — ٣٢٠ هـ) (٩٠٨ — ٩٣٢ م) بأنه عصر ظهر فيه بوضوح نفوذ النساء التى كانت أبرزهن السيدة شغب أم الخليفة المقتدر بالله ، وتعدى الأمر كذلك الى سيطرة القهرمانات التى كانت أبرزهن أم موسى القهرمانة التى تدخلت فى شئون الدولة تدخلا سافرا وفى تعيينات الوزراء وعزلهم (١٩٦) .

وكان أحمد بن العباس أخو أم موسى القهرمانة يحصل على الأموال الوفيرة حتى راع ذلك على بن عيسى وزير الخليفة المقتدر ، فاستدعى أحمد بن العباس وقال له : « قد أفنيت مال السلطان ، ترتزق فى كل شهر من شهور الأهلة سبعة آلاف دينار » (١٩٧) ، وصمم الوزير على ابلاغ الأمر الى الخليفة وكتب رقعة بتفصيل تلك الأموال ليرفعها اليه ، ولم يكتب للوزير النجاح فى ذلك ، اذ تمكنت أم موسى القهرمانة بما لها من نفوذ مما كف يد الوزير عن أخيها (١٩٨) ، بل وتمكنت من عزل الوزير على بن عيسى نفسه (١٩٩) .

ولم يقف أمر تلك القهرمانة عند ذلك الحد ، وانما كانت تتطلع الى أن تكون صاحبة نفوذ أكبر فى الخلافة ، وسعت لذلك الأمر سعيه ،

---

(١٩٦) جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ص ٣٦ ، وانظر كذلك كتابنا نفوذ النساء فى الدولة الاسلامية والقهرمانة هى المسيطرة على من تحت يدها .

(١٩٧) ابن عريب : صلة تاريخ الطبرى ص ٥٧ .

(١٩٨) ابن عريب : نفس المصدر ص ٥٧ .

(١٩٩) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١١ ص ١٢٦ .

وكان طريقها الى ذلك هو تزويج ابنة اخيها من ابى العباس أحمد بن محمد ابن اسحق بن الخليفة المتوكل على الله فى سنة ٣٠٤ هـ / ٩١٦ م طموحا منها الى ان يتولى أحمد بن المتوكل الخلافة ، وكان هذا سببا فى القاء القبض عليها (٢٠٠) ، ووجهت اليها السيدة أم المقتدر الاتهام علنا فى سعيها هذا المسعى ، حيث قالت عنها : « قد دبرت على ولدى ، وصاهرت ابن المتوكل حتى تقعد به الى الخلافة (٢٠١) .

ويوضح ابن الاثير سعى ام موسى القهرمانة الى ذلك الأمر وكيف كانت وسيلتها اليه فيقول فى حديثه عن القبض عليها : « وكان سبب ذلك انها زوجت ابنة اخيها أبى العباس أحمد بن محمد بن اسحق بن المتوكل على الله ، وكان محسنا له نعمة ظاهرة ومروءة حسنة ، وكان يرشح للخلافة » ثم يقول أنها : « قد سعت لأبى العباس فى الخلافة وحلفت له القواد » (٢٠٢) ، وقد انفقت ام موسى القهرمانة لتحقيق ذلك الأمر الأموال الجليلة (٢٠٣) .

ويتضح من اهداف ذلك الزواج انه كان زواجا سياسيا من ورائه طموحات وآمال ، ولعل قرب ام موسى القهرمانة من الخليفة ، واطلاعها عن كثب عما كانت عليه الخلافة آنذاك من ضعف أطمعها فى امكانية الوصول الى ذلك .

ولعل الأمر كان تجنيا من اعدائها عليها حيث رأوا فى اصهارها الى ابن المتوكل فرصة للتشنيع عليها فى محاولة منهم للقضاء على تسلطها وسيطرتها ، أو لعله من تدبير أم المقتدر نفسها .

---

(٢٠٠) وكان القبض عليها فى سنة ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م . آدم ميتز : تاريخ الحضارة الاسلامية جـ ٢ ص ٣٠٠ .

(٢٠١) ابن الأثير : الكامل جـ ٦ ص ١٧٢ .

(٢٠٢) ابن الأثير : الكامل جـ ٦ ص ١٧٢ .

(٢٠٣) ابن الأثير : نفس المصدر جـ ٦ ص ١٧٢ .

على اية حال ، فان السيدة ام المقتدر — بعد ان وجهت تهمة التآمر على الخلافة اليها — سلمتها الى قهرمانة اخرى تسمى « ثمل » كانت مشهورة بالشر وقسوة القلب كما سلمت اليها كذلك اخا واختا لأم موسى ؛ فعذبتهم ثمل بأقسى انواع العذاب ، واستخرجت منهم الأموال والجواهر ، وكانت أم موسى تملك الكثير منهما ، وكانت تكافىء من أموالها الوفيرة مادحيها من الشعراء والذين يخدمون أغراضها لبسط السيطرة والنفوذ ،حتى انها كافأت محمد بن يحيى الصولى بمكافاة بلغت خمسة آلاف درهم (٢٠٤) .

وانتهى أمر ام موسى القهرمانة بأن افرج المقتدر عنها فى سنة ٣١٤ هـ/ ٩٢٦ م بعد موت اخيها أحمد بن العباس واختها أم محمد ، ورد عليها دورها وضياعها التى كانت من أسباب اعتقالها (٢٠٥) .

* * *

(٢٠٤) ابن الأثير : نفس المصدر جـ ٦ ص ١٧٢ وابن الهمذانى : تكملة تاريخ الطبرى ص ٢٢٧ .

(٢٠٥) ابن عريب : صلة تاريخ الطبرى ص ١١٢ .

(ب)

الزواج السياسى
فى عهد نفوذ البويهيين

أعقب عهد البويهيين عهد تسلط الاتراك الأول على الخلافة العباسية ، وشأنهم شأن سابقيهم تسلطوا على الخليفة ، وسيطروا على مقدرات الخلافة ، وأصبحوا كأسلافهم يعينون الخلفاء ويعزلونهم ، بل انهم بلغوا الى درجة أن ارادوا تحويل الخلافة الى الفاطميين حيث كان البويهيون شيعة كذلك (٢٠٦) ، وكان تحكم البويهيين الشيعة — فى حد ذاته — فى خلافة عباسية سنية اكبر دليل على ما أصاب خلافة العباسيين آنذاك .

وقد تعدد الزواج السياسى بين البويهيين والخلفاء العباسيين ، وكانت له أهدافه الظاهرة ، فالبويهيون يريدون احكام السيطرة على الخلافة حيث كانوا يهدفون الى أن يلى أمورها ذات يوم خليفة لهم فيه نسب (٢٠٧) ، بينما كان الخلفاء يرمون من وراء هذا الزواج الى أن ينعموا بالهدوء والراحة بالتخفف من سيطرة البويهيين المتجبرة عليهم ، وأن يأمنوا من شرهم ؛ وتطالعنا المصادر التاريخية بالعديد من هذه الزيجات .

واذا كان البويهيون يمثلون مركز قوة بالنسبة للخلافة فان وضعهم تغير بالنسبة لبعض المتغلبين على الدولة وبالنسبة للسلاجقة خلفائهم فى السيطرة على العباسيين ، ومن ثم اختلفت أهداف اصهارهم الى هؤلاء ، وتفصيل ذلك كما يلى :

---

(٢٠٦) جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ص ٥٤ و Muir, the Caliphate, PPP. 66 — 67.

(٢٠٧) ابن الأثير : الكامل جـ ٧ ص ١٠٢ .

أولاً: مصاهرة الخلفاء للبويهيين

١. الخليفة الطائع ومصاهرة البويهيين

ولى الخليفة الطائع الخلافة فى سنة ٣٦٣ هـ / ٩٧٤ م خلفا للخليفة المطيع (٢٠٨) ، وكان المتحكم فى الدولة آنذاك عز الدولة بختيار البويهى ، وانعقدت صلة المصاهرة بينهما فى سنة ٣٦٤ هـ / ٩٧٥ م ، حيث تم عقد زواج الطائع على شاهرنان ابنة عز الدولة بختيار على صداق قدره مائة الف دينار (٢٠٩) ، دفعها الطائع لله ، ونقلت شـــاهرنان الى الطائع فى بغداد فى سنة ٣٦٦ هـ / ٩٧٧ م حيث تم زفافها (٢١٠) .

وتكرر أمر زواج الطائع مرة أخرى حين تغلب على دولته عضــد الدولة البويهى اقوى رجال بنى بويه بعد أن تغلب على بختيار ، وصار له الأمر والنهى فى العراق ، فتزوج الخليفة الطائع من ابنة عضد الدولة.

وكان لكل من الرجلين هدفه من وراء ذلك الزواج ، ففى حين كان الطائع يرمى الى التقوى بعضد الدولة وكف أذاه عنه ، كان عضد الدولة يرمى من وراء ذلك الزواج « أن تلد ابنته ولدا ذكرا فيجعله ولى عهده ، فتكون الخلافة فى ولد لهم فيه نسب » (٢١١) .

---

(٢٠٨) ولى الخلافة من سنة ٣٦٣ - ٣٨١ هـ / ٩٧٤ - ٩٩١ م .
H. IBRAHIM, Islamic and history culture, P. 207.

(٢٠٩) ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ج ٣ ص ص ٤٧ ، ويختلف فى اسم العروس فهى حينا : شاه باز بنت عز الدوله ، وحينا شاهرنان بنت عز الدوله وحينا آخر شاه زمان بنت عز الدولة .
انظر فى ذلك : البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٨٠ وشـــذرات الذهب ج ٢ ص ٤٧ ، ٥٩ .

(٢١٠) ابن العماد الحنبلى : نفس المصدر ج ٣ ص ٥٩ ، ابن الأثير : الكامل ج ٧ ص ٨٧ .

(٢١١) انظر : مسكويه ، تجارب الأمم فى حوادث سنة ٣٦٦ هـ .

وكان صداق ابنة عضد الدولة كذلك مائة الف دينار (٢١٢) أو مائتى الف دينـار (٢١٣) ، وكان الوكيل عن عضـد الدولة فى هـذا الزواج أبا الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسى النحوى صاحب كتاب الايضاح والتكملة ، والذى خطبها وكيلا عن الخليفة هو أبو على الحسن بن على التنوخى (٢١٤) .

ومع حرص هذا الخليفة (الطائع) على خطب ود البويهيين فان أمره انتهى الى الخلع ، فقد تم عزله عن الخلافة فى سنة ٣٨١ هـ / ٩٩١م على يد بهـاء الدولة أبى نصر فيروز البويهى الذى كان قد احتـاج الى الأموال نتيجة لحروبه مع الطامعين فى منصـب آل بويه ، وذلك لصرف مرتبات جنده الذين شغبوا عليه ، وكان بهاء الدولة قد قبض على وزيره سابور ليستخلص منه مالا ، فلم يجد لديه كثيرا ، وعمل بمشـورة من اشاروا عليه بالحصول على تلك الأموال من الخليفة الطائع نفسـه ، فأرسل بهاء الدولة يسأله المثول بين يديه ليجدد له الطاعة والولاء ، فأذن له الخليفة ، وأمر بهـاء الدولة بعض رجاله من الديلم — الذين تظاهروا بتقبيل يدى الخليفة — بانزال الخليفة عن سريره ، والخليفة يستغيث فلا يغاث ، ثم حمل الى دار بهاء الدولة حيث تم خلعه فى سنة ٣٨١ هـ / ٩٩٩ م (٢١٥) — كما اسلفنا — ليلى الأمر من بعد الخليفة القادر بأمر الله الذى استدعاه بهاء الدولة من منفاه فى البطيحة (٢١٦) .

---

(٢١٢) ابن الأثير : الكامل جـ ٧ ص ١٠٢ ، أبو المحاسن : النجـوم الزاهرة جـ ٤ ص ١٢٩ .

(٢١٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٤ ص ١٢٩ .

(٢١٤) ابن الأثير : الكامل جـ ٧ ص ١٠٢ حاشية رقم ٢ .

(٢١٥) ابن طباطبا : الفخرى ص ٢٩٠ ، أما أخت بهاء الدولة زوجـة الطائع فان دارها حرست يوم القبض عليه من النهب ، ثم نقلت الى دار بمشرعة الصحراء ، أقامت فيها موقرة حتى ماتت .

أبو شجاع : ذيل تجارب الأمم ص ٢٠٨

(٢١٦) AMIR Ali, A short history of thesaracenes, P. 305.

٢. الخليفة القادر بالله العباسي ومصاهرة بهاء الدولة البويهي

وتكرر امر الزواج السياسي بين الخلفاء العباسيين والبويهيين مرة اخرى فى عهد الخليفة القادر بالله العباسي ٣٨١ ـ ٤٢٢ هـ / ٩٩١ ـ ١٠٣١ (٢١٧) ، ولنفس الاسباب السابقة ، حيث كان نفوذ بهاء الدولة ابن بويه فى بغداد قد جاوز كل حد ، واستبد بالسلطة دون الخليفة (٢١٨) ، فأراد الخليفة التقرب اليه ، فى حين كان هدف بهاء الدولة هو نفس هدف عز الدولة بختيار ، وعضد الدولة من قبله ، وعلي ذلك تم زواج الخليفة القادر بالله فى سنة ٣٨٣ هـ / ٩٩٣ م من سكينة ابنة بهاء الدولة علي صداق قدره مائة الف دينار ، وقد توصل الخليفة فعلا الى ما اراده من وراء هذا الزواج حيث استمرت العلاقة بينه وبين بهاء الدولة على شيء من الصفاء (٢١٩) ، وان كانت الأمور كلها فى يد بهاء الدولة الذى استبد بالسلطة دون الخليفة (٢٢٠) .

على انه يلزم التنويه أن طول مدة الخلفاء العباسيين فى عهد البويهيين (٢٢١) لا يدل على انهم كانوا على شيء من القوة ، وانما لأنهم كانوا لا يبدون بادرة تدل على محاولتهم الامساك بالسلطة أو التقليل من سلطان بنى بويه ، ومع ذلك لم يسلموا من شرهم .

---

(٢١٧) H. IBRAHIM, Islamic and history culure, P 207.

(٢١٨) ابن طباطبا : الفخرى ص ٢٩١ ، حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسى جـ ٣ ص ٧٤ .

(٢١٩) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسى جـ ٣ ص ٧٤ .

(٢٢٠) جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ص ٥٦ .

(٢٢١) حكم المطيع من سنة ٣٣٤ ـ ٣٦٣ هـ ، والطائع من سنة ٣٦٣ ـ ٣٨١ هـ ، والقادر من سنة ٣٨١ ـ ٣٤٢ هـ . انظر :
H. IBRAHIM, Islamic and history culture, P. 207.

ثانيا : المصاهرة بين البويهيين وأصحاب البطيحة

كان المتغلبون فى البطيحة (٢٢٢) يمثلون خطرا على البويهيين ، فقد انشقوا عليهم وحاربوهم مرات عديدة منذ عهد عمران بن شاهين (٢٢٣) ، حتى ان عمران بن شاهين تمكن من هزيمة قوات معز الدولة البويهى ، وفرض قوته على أتباع معز الدولة وعلى جنوده فصاروا « اذا اجتاز بهم أحد من أصحاب السلطان يطلبون منهم البذرقة والخفارة ، فان أعطاهم والا ضربوه واستخفوا به وشتموه » (٢٢٤) .

وكانت البطائح تتمتع بموقع ممتاز حيث كانت تتحكم فى الطرق الى البصرة وغيرها . وقد انتهى الصراع الذى دار بين عمران بن شاهين وبين معز الدولة الى اعتراف معز الدولة بعمران واليا على البطائح ، وزاد بذلك سلطان عمران واتسعت سطوته .

وبعد وفاة معز الدولة فشل ابنه بختيار فيما فشل فيه أبوه من قبل من انتزاع البطائح من عمران ، واضطر بعد هزيمة عمران الى أن يعقد

(٢٢٢) هى أرض واسعة بين واسط والبصرة ، وكانت قديما قرى متصلة وارضا عامرة .

ياقوت : معجم البلدان جـ ١ ص ٤٥٠ .

(٢٢٣) وكان عمران بن شاهين من اهل الجامدة ، وجنى جناية فهرب الى البطيحة من سلطان الناحيه ، فأقام بين القصب والآجام ، واقتصر على ما يصيده من السمك قوتا ، ثم اضطر الى معارضة من يسلك البطيحه متلصصا ، وعرف خبره جماعة من المتلصصه هناك حتى حمى جانبه من السلطان ، فلما اشفق من أن يقصد استأمن الى البريدى ، فقلده أبو القاسم الجامدة للحماية والأهواز التى فى البطائح ، فما زال يجمع الرجال الى أن كثر أصحابه وقوى فغلب على تلك النواحى .

مسكويه : تجارب الأمم جـ ٢ ص ١١٩ .

(٢٢٤) ابن الأثير : الكامل جـ ٦ ص ٣٣٦ .

معه صلحا فى سنة ٣٦٠ هـ / ٩٧٠ — ٩٧١ م بعد ان وصلت هيبة بنى بويه امام حكام البطائح الى اسوأ حالاتها ، وزالت عنهم الطاعة والهيبة (٢٢٥) .

وهكذا تمكن عمران بن شاهين من القدرة على الوقوف فى وجه ملوك بنى بويه حتى توفى سنة ٣٦٩ هـ / ٩٨٠ م ، وقد وصف ابن الأثير مقدرته هذه ومقدار صلابته حيث قال : « وكانت ولايته بعد أن طلبه الملوك والخلفاء ، وبذلوا الجهد فى أخذه ، واعملوا الحيل اربعين سنة » (٢٢٦) .

ويقول ابن كثير فى حديثه عن وفاة عمران بن شاهين : « توفى الأمير عمران بن شاهين صاحب البطيحة منذ أربعين سنة ، تغلب عليها ، وعجز عنه الأمراء والملوك والخلفاء ، وبعثوا اليه الجنود والسرايا والجيوش غير مرة ، فكل ذلك يفلها ويكسرها ، وكل ماله فى تمكن وزيادة وقوة ، ومكث كذلك هذه المدة ، مع هذا كله مات على فراشه حتف أنفه فلا نامت اعين الجبناء » (٢٢٧) .

وبعد وفاة عمران بن شاهين اثبت ابنه الحسن بن عمران قدرته على حفظ البطيحة من البويهيين الذين كانوا يطمحون الى تملكها ، وتمكن من هزيمة جيش عضد الدولة ، الذى قاده المطهر بن عبد الله الذى اراد ان يتخلص من عار هزيمته دون أن يلقى به عضد الدولة ، فاخذ سكينا ، وقطع به شرايين ذراعه (٢٢٨) .

---

(٢٢٥) ابن الأثير : نفس المصدر ج ٧ ص ٤٠ ، وابن كثير : البداية والنهاية ج ١١ ص ٢٦٨ .

(٢٢٦) ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ٣٣٦ .

(٢٢٧) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١١ ص ٢٩٥ .

(٢٢٨) ابن الأثير : الكامل ج ٧ ص ٩٩ .

وانتقل حكم البطائح بعد حكم اسرة عمران بن شاهين الى ابى الحسن الملقب بمهذب الدولة الذى حصل على اعتراف الملك البويهى شرف الدولة بتقليده امر البطيحة ؛ وعاشت البطيحة فى عهد مهذب الدولة هذا عصرها الذهبى ، وبلغت فى عهده ما لا مطمح فوقه بالنسبة لولاية او وال .

ويوضح ابو شجاع مكانة دولة البطيحة فى عهد مهذب الدولة فيقول : « وتدرجت الأحوال لعلى بن نصر الملقب بمهذب الدولة فى افعاله الرضية الى الرتبة العلية حتى عظم قدره وسار ذكره ، واستجار به الخائف ، فاجاره بأمانة ، ولاذ به الملهوف فوطأ له كنف احسانه ، وسلك الناس طريقة جميلة فى العدل والانصاف ، وصارت البطيحة معقلا لكل من قصدها من الأطراف ،واتخذها الأكابر وطنا ، فبنوا فيها الدور ، وشيدوا فيها القصور، وقصدها المسترفدون والشعراء من كل صوب وفج الى بابه، فاوسعهم جودا ونوالا واكراما وافضالا وكاتب ملوك الأطراف ، وكاتبوه وقاربهم وقاربوه » (٢٢٩) . ويقول فى مدى ما بلغته قوة مهذب الدولة انه « خطب له بواسط والبصرة واعمالها ، وصرفت اليه الدنيا أعنة اقبالها » (٢٣٠) .

ووصل الحال ببهاء الدولة البويهى الى أن استعان بمهذب الدولة فى عدة أوقات « فأعانه ، واستدان منه فأدانه » (١٣١) ، فقد اقترض منه قرضين وطلب مساعدته فى محاربته لصمصام الدولة البويهى فوافقه مهذب الدولة على ذلك .

---

(٢٢٩) ابو شجاع : ذيل تجارب الأمم ص ١٣٥ ، ١٣٦ .
(٢٣٠) أبو شجاع : نفس المصدر ص ١٣٦ .
(٢٣١) أبو شجاع : نفس المصدر ص ١٣٦ .

وقد لجأ الخليفة القادر بالله العباسى نفســـه الى البطيحة حتى اســـتدعى منها ليتولى الخلافة خلفا للطائع المعزول ، وكان فراره الى البطيحة من بغداد اثر وشاية للطائع مفادها ان القـــادر يطلب الخلافة لنفسه فى اثناء مرض الطائع فى سنة ٣٧٩ هـ ، وأراد الطائع قتله .

واذا كان هذا هو وضع البطائح ووضع واليها ، وقد تعذر اخضاعها بقوة السيف ، فكان من الحكمة أن يتقرب الملوك البويهيون بطريقـــة اخرى تضمن لهم وصلة المصاهرة التى عقـــدت بين بهاء الدولة والملك البويهى وبين حاكم البطائح مهـــذب الدولة عـــلى بن نصر ؛ فكان ان تم زواج مهذب الدولة على بن نصر من ابنة بهاء الدولة بن بويه ، وفى نفس الوقت تم زواج ابى منصور بن بهاء الدولة من بنت مهذب الدولة ، وكان الصـــداق من كلا الجانبين مائة الف دينـــار (٢٣٢) ، وتم ذلك الزواج فى سنة ٣٨٤ هـ / ٩٩٤ م .

ولا شك ان جانب المصلحة من الجانبين فى هـــذا الزواج واضـــح لا يحتاج الى تفصيل .



---

(٢٣٢) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٤ ص ١٦٦ .

ثالثا : "المصاهرة بين البويهيين والسلاجقة"

وبادىء بدء فان زواجا يتم بين البويهيين المتسلطين على بنى العباس وبين السلاجقة الذين سيتلونهم فى السيطرة لا يمكن فهمه الا على انه زواج سياسى يهدف الأولون من ورائه الى اتقاء شر الآخرين ، ويهدف الآخرون منه الى ان يجدوا لهم موضع قدم لا يلبثون ان يمتدوا منه ويبسطوا نفوذهم ليحققوا من ورائه ما يطمحون اليه

اما تفصيل ذلك فيعود الى اواخر عهد البويهيين حيث كان النفوذ الفاطمى يزحف على العراق مستغلا المناخ الشيعى الذى تهيأ لهم بوجود البويهيين المتسلطين على مقدرات الخلافة العباسية ، ووصل دعاة الفاطميين الى بغداد فى عهد الخليفة القادر بالله الذى لجأ — امام تجلى نجاح الدعوة الفاطمية فى بلاد العراق — الى محاولة التشهير بهم بالطعن فى صحة نسبهم الى فاطمة الزهراء (٢٣٣) ؛ واستمر النشاط الفاطمى فى عهد الخليفة القائم بأمر الله (٢٣٤) الذى ظهر فى عهده الخطر السلجوقى على دولة البويهيين مؤذنا بقرب نهايتها .

وزاد النشاط الفاطمى فى أواخر عهد ابى كاليجار (٢٣٥) ٤١٥ — ٤٤٠ هـ / ١٠٢٤ — ١٠٤٨ م نتيجة لازدياد نشاط الشيعة الاسماعيلية فى العراق على يد الداعية الفاطمى هبة الله الشيرازى وتأييد ابى كاليجار

---

(٢٣٣) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٤ ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، جمال سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص ١٧ .

(٢٣٤) AMIR Ali, A short history of the saracenes, P. 306.

(٢٣٥) وهو المرزبان بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة فيروز بن عضد الدولة بن بويه بن ركن الدولة الحسن بن بويه بن فنا خسرو الديلمى ، ولد بالبصرة فى شوال سنة ٣٩٩ هـ وتوفى فى سنة ٤٤٠ هـ . ابو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ٤٦ .
وابن العماد : شذرات الذهب جـ ٣ ص ٢٦٣ .

لهذه الدعوة الى درجة تهديد الخليفة القائم بأمر الله باعلان دولة الفاطميين فى بغداد (٢٣٦) .

وكان هبة الله يلقن اصول الدعوة الفاطمية لابى كاليجار ، وفى ذلك يقول هبة الله : « كنت كل ليلة جمعة أمكث عنده الى ان يمضى هزيع من الليل وهو يسألنى عما يهجس فى نفسه ، وكنت أجيب عنه جوابا يظهر اكثر تباشير الفرح فى وجهه ، واسأله كيف هذا الجواب منك ؟ فربما حرك رأسه يعنى انه جيد ، فلا أرضى دون أن اقرره بلسانه انه ما دخل فى مسامعه مثله » (٢٣٧) .

وقد قال ابو كاليجار لهبة الله : « أنى سلمت نفسى ودينى اليك ، واننى راض بجملة ما انت عليه » (٢٣٨) .

ولم يخف ابو كاليجار اعجابه به أمام وزرائه حتى قال له وزيره بهرام بن ماقية : « سبحان الله ، بينما كنت تبغض هذا الرجل البغض الذى يضيق عنه جلدك حتى صرت تحبه هذه المحبة التى يقصر دونها وصفك » (٢٣٩) .

وكان من نتيجة قلق الخليفة القائم بأمر الله المتزايد نتيجة نشاط هبة الله الشيرازى ، وتأييد ابى كاليجار أن ارسل رسولا الى ابى كاليجار يهدده فيه بأنه سيتعين بالسلاجقة ان لم يسلم ابو كاليجار هبة الله اليه ، غير أن أبا كاليجار لم يهتم بهذا التهديد ، وظهر حرصه على هبة الله اليه ، وطلب من هبة الله عدم تعريض نفسه للخطر بالبقاء فى شيراز ، وارسل اليه يقول : « لا شك أن هذه الضجة التى كادت تخرق الأرض وتشق الجبال وقعت فى مسامعك ، وعلمت أن هذه الأمم لا يحصيها الا الله سبحانه — اعداؤك وخصماؤك ، وكانوا أعداءنا فيك أيام كنا نقربك

---

(٢٣٦) محمد حلمى أحمد : الخلافة والدولة فى العصر العباسى ص ١٨٢ .
(٢٣٧) هبة الله الشيرازى : مذكرات داعى دعاة الدولة الفاطمية ص ٦٧ ، ٦٧ .
(٢٣٨) هبة الله الشيرازى : نفس المصدر ص ٦٧ .
(٢٣٩) هبة الله الشيرازى : نفس المصدر ص ٦٨ .

وندنيك ، وينبغى الآن ان تاخذ لنفسك ، وتبتغى سبيل نجاتك ، وتفرغ هذه الممالك ، ثم تاخذ اى صوب شئت » (٢٤٠) ، وزاد ابو كاليجار فارسل وفدا من كبار رجاله الى هبة الله لايقافه على جلية الأمر ، وارسل معهم رسالة الخليفة القائم بامر الله التى يتهدده فيها بالاستعانة بطغرلبك السلجوقى ، وما كان من أمر الطعن فى نسب الفاطميين ، وكان مما جاء فى رسالة القائم بامر الله التى ارسلها الى ابى كاليجار ، وارسلها بدوره الى هبة الله الشيرازى: « والقول انه ان كانت دعوة تعزى اليهم فى الأيام المتقدمة فلقد كانت فى الخفاء والستر مثل خبيات الصدور ومكنونات القلوب ، وأن أحدا ما جسر على مثل ما جسر عليه هذا الرجل الفاعل الصانع من الوقوف فى بعض مواقف اظهاره واشهاره والتجرد لرفع معالم ذكرهم بالصلاة والخطبة وازالة اسامينا بالكلية ، ولذا سومح فى بابة واهمل الاستيثاق وتسليمة الى صاحبنا فقد أخرجتمونا من عهدة الايمان والعهود بيننا وبينكم واخرجتمونا الى استنصار من ينصرنا عليكم ».

وهكذا لوح الخليفة القائم بامر الله بقوة أخرى يستطيع ما يعجز هو عنه ، وكان الموقف يستدعى من ابى كاليجار أن يدفع عن نفسه الخطر ، وأن يدير الدفة الى صالحه مع طغرلبك السلجوقى الذى استولى على خراسان والرى فعقد معه الصلح فى سنة ٤٣٩ هـ ليقطع بذلك الطريق على تعاون سلجوقى عباسى ضده ، وكتب طغرلبك الى أخيه « ينال » يامره بالكف عما وراء ما بيده ، واستقر الحال بينهما على ان يتزوج طغرلبك بابنة ابى كاليجار ، ويتزوج الأمير ابو منصور فلاذستون ابن ابى كاليجار بابنة الملك داود أخي طغرلبك ، وعقد العقد فى شهر ربيع الآخر سنة ٤٣٩ هـ (٢٤١).

وهكذا نجح أبو كاليجار فى عقد الصلح مع طغرلبك السلجوقى واكده بذلك الزواج السياسى.

---

(٢٤٠) هبة الله الشيرازى : نفس المصدر ص ٨٩ ، جمال سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص ١٨١ .

(٢٤١) ابن الأثير : الكامل جـ ٨ ص ٤٤ .

الفصل الثالث
الزواج في العصر السلجوقي

« الزواج السياسى فى العهد السلجوقى

« ١ » المصاهرة بين السلاطين والخلفاء »

فى عهد الخليفة القائم بأمر الله (٤٢٢ ــ ٤٧٦ هـ/١٠٣١ ــ ١٠٣٥ م)

كانت الخلافة العباسية قبيل ظهور السلاجقة تعانى حالة خطيرة من الانتهاك والضعف ، وكادت تضمحل بين الشيعة فى مصر والشام والعراق وفارس وخراسان ، وكانت الخلافة الفاطمية قد نشرت سلطتها على غالبية المشرق ؛ وكان بنو بويه قد استبدوا بالسلطة فى بغداد ، وغلوا أيدى الخلفاء العباسيين الذين لم يعد لهم من الأمر شىء سوى ذكر أسمائهم فى الخطبة ونقشها على السكة (٢٤٢) .

وقد ساءت الأمور فى عهد الخليفة العباسى القائم بأمر الله ، واستبد به أبو الحارث الب أرسلان البساسيرى (٢٤٣) ، الذى كان القائم رفع قدره ، وقدمه على الأتراك ، وتلقب بالمظفر (٢٤٤) ، ولم يكن الخليفة ــ كما كان شأن الخلفاء العباسيين آنئذ ــ يقطع أمرا ، ولا يمضى رأيه الا بعد اذنه .

---

(٢٤٢) حافظ حمدى : الشرق الاسلامى قبيل قدوم الغزو المغولى ص ٣٨ وانظر :

Ency. BRITANICA. Vol 20, P. 308.

(٢٤٣) وهو مقدم الاتراك ببغداد ، يقال انه كان مملوك بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه ، ونسبته الى بلدة بفارس يقال لها « بسا » وبالعربية « فسا » كان منها سيده فنسب المملوك اليه ، واشتهر بالبساسيرى وهى نسبة شاذة على خلاف الأصل ، اذ ان النسبة اليها فى العربية « فسوى » .

(٢٤٤) المقريزى : اتعاظ الحنفا جـ ٣ ص ٢٣٢ .

ودبت الوحشـــة بينه وبين الخليفة القائم مما اضطر الخليفة الى الاستنجاد بطغرلبك السلجوقى (٢٤٥) الذى قدم بغداد فى سنة ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م (٢٤٦) ، وقد بث الخليفة القائم بأمر الله اليه بكثير من الأموال والهدايا القيمة ، وفى نفس الوقت توجه الملك الرحيـم البويهى ليكون فى استقباله عند النهروان ، فقبض عليه طغرلبك ، وارسـلـه مقيدا الى قلعة « طبرك » فى الرى ، وبهذا استراحت الرعية واكثروا من الدعاء لطغرلبك (٢٤٧) .

أما البساسيرى فتوجه الى الرحبة (٢٤٨) ، وراســل الخليفة الفاطمى المستنصر بالله ٤٢٧ — ٤٨٧ هـ / ١٠٣٥ — ١٠٩٤ م يسأله أن يرسل اليه النجدة ، ويلتزم بأخذ بغداد واقامة الخطبة بها للمستنصر ، وأمده بالأموال وكتب له بولاية الرحبة (٢٤٩) .

وتدبر البساسيرى الأمر لاخراج طغرلبك من بغداد ، فكاتب ابراهيم

---

(٢٤٥) أول سلاطين السلاجقة الذين ينتهى بدخولهم بغداد عصر نفوذ بنى بويه فى دولة العباسيين ، واســمه ركن الدين طغرلبك ابو طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق، وتوفى سنة ٤٥٥ هـ . وطغرلبك اســم تركى مركب من طغرل وهو بلغة الترك علم لطائر معروف عندهم ، وبه سمى الرجل ، و « بك » الأمير . ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب جـ ٣ ص ٢٤٦ ، حسن الباشا : الألقاب الاسلامية .

(٢٤٦) Camb. Mid. Hist. Vol IV, P. 302.

ومن الجدير بالذكر انه على الرغم من أن طغرلبك — فى هـذه المرة — امضى فى بغداد ثلاثة عشر شهرا ، فانه لم يقابل الخليفة شخصيا — وانما كانت الاتصالات بينهما تتم عن طريق وزيريهما .

(٢٤٧) معوض : طغرلبك ص ٦٤ — ٦٥ وانظر :
Ency. BRITANICA, Vol 20, P. 308.

(٢٤٨) الرحبة : هى رحبة مالك بن طوق على مسافة خمسة أميال من حلب .

(٢٤٩) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٨٧ وانظر :
Saunders, history of medieval Islam, P. 146.

ينال (٢٥٠) اخا طغرلبك يحرضه على عصيان اخيه ويطمعه فى الملك والتفرد به (٢٥١) ، فخرج ابراهيم ينال على اخيه طغرلبك وقصد الرى ، فاضطر طغرلبك الى التوجه لمحاربته ، فخلت بغداد ، وتمكن من دخول بغداد فى يوم الأحد ٨ من ذى القعدة سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م بالخلع المستنصرية والعصائب وخطب بها لصاحب مصر ، واحاط البساسيرى بدار الخلافة ونهبها (٢٥٢) ، واحرق الأسواق ، وشهر وزير القائم بأمر الله أبا القاسم بن المسلمة على جمل ، وصلبه حيا ، وقيد قاضى القضاة أبا عبد الله الدامغانى ثم اطلقته على مال قرره له (٢٥٣) ، أما الخليفة القائم بأمر الله نفسه فحمل الى الحديثة (٢٥٤) فى الفرات وكان الخليفة قد استجار بقريش بن بدران امير العرب فأجاره واخرجه الى مخيمه ، وارسله الى ابن عمه مهارش فى الحديثة فتولى خدمة الخليفة بنفسه (٢٥٥) .

---

(٢٥٠) يكتب اسم ينال فى كتب التواريخ بأشكال مختلفة منها ينال وبنال ونيال وانيال ، ولعل اصحها « ينال » الذى معناه فى التركية « الأقل » ويرى محمد اقبال أن معناه « رئيس القبيلة » . معوض : طغرلبك ص ٣٠ .

(٢٥١) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٨٨ وانظر :
Cam. Mid. History, Vol IV, P. 303.

(٢٥٢) البغدادى : عيون أخبار الأعيان ص ٨٨ ، الذهبى دول الاسلام ج ١ ص٢٦٤ .

(٢٥٣) البغدادى : نفس المصدر ص ٣٠٨ .

(٢٥٤) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٨٩ ، وفى المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٢٥٣ ، حمل الخليفة القائم الى مدينة عانة ، وعانة بلدة بين الرقة والفرات على فراسخ من الأنبار وتعد فى أعمال الجزيرة ، وتشرف على الفرات قريبا من حديثة النورة التى تعرف أيضا بحديثة عانة وحديثة الفرات ، وهى بدورها على فراسخ من الأنبار .

(٢٥٥) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٨٨ ، ومهارش هو أبو الحارث بن مجلى العقيلى ، كان احد وجوه بنى عقيل وتوفى سنة ٤٦٩ هـ . عيون أخبار الأعيان ص ٣٠٣ ، وفيات الأعيان ج ١ ص ١٧٧ .

ثم ان طغرلبك عاد من حربه مع اخيه ، وكاتب قريشا فى اطلاق الخليفة ، وظفر جند طغرلبك بالبساسيرى فقتلوه ، وحملوا راسه الى بغداد فطيف به (٢٥٦) ، واعاد طغرلبك الخليفة الى مقر الخلافة فى ذى الحجة سنة ٤٥١ هـ / ١٠٥٩ م (٢٥٧) ، وبذلك يكون البساسيرى قد تمكن من الخطبة للفاطميين على منابر بغداد نحوا من سنة (٢٥٨) .

ومن هذا يتبين أن الخليفة القائم بأمر الله مدين بعرشه الي السلاجقة ، ولذا فانه قبل وبكل سرور عرض السلطان طغرلبك عليه أن يزوجه خديجة المعروفة بارسلان خاتون ابنة أخيه داود (٢٥٩) ، وكان طغرلبك يريد تزويجها أولاً من الذخيرة ابن الخليفة القائم ، ولكن الذخيرة توفى فعدل عنه الى ابيه ، وكان قصد طغرلبك « أن يتجمل بتلك المصاهرة على الملوك » (٢٦٠) وقد عمد الى تزويج الخليفة من ابنةاخيه لأن طغرلبك نفسه كان عقيما (٢٦١) .

وهذا زواج سياسى فى واقعه هدف من ورائه طغرلبك الى السيطرة على الخلافة العباسية ، وأن يكون للسلاجقة فى ذات يوم خليفة لهم فيه

---

(٢٥٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ١٧٢ ، ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٣٢١ وانظر :
AMIR Ali, A short history of the saracenes, P. 310 & Cam. Mid. Hist. Vol IV P. 304.

(٢٥٧) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٨٩ — ٩٠ والراوندى : راحة الصدور ص ١٧٥ ، والمقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٢٥٢ .

(٢٥٨) حسن ابراهيم : النظم الاسلامية ص ٩٢ .

(٢٥٩) محمود شاكر : التاريخ الاسلامى (تاريخ الدولة العباسية) ص ٢٠١ .

(٢٦٠) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ج ٩ ص ٣٢ .

(٢٦١) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ٩٤ ، النويرى : نهاية الأرب ج ص ٢٩٨ .

نسب ، فى حين اراد القائم بأمر الله من ورائه الى التقوى بالسلاجقة ، كما كان فى نفس الوقت ردا عمليا معناه الاعتراف لهم بالجميل .

وقد جرت مراسم الزواج فى بغداد فى ٨ من المحرم سنة ٤٤٨ هـ / مارس ١٠٥٦ (٢٦٢) ، وذلك فى مجلس علم حضره عميد الملك الكندرى وزير طغرلبك ، وجماعة من الأمراء الاتراك من عسكر طغرلبك ، وتمت تلك المراسم بعد أن اقام عميد الملك وبيده دبوس ، ثم خطب رئيس الرؤساء وقبل الخليفة بنفسه ذلك الزواج ، وكان ممن حضر هذا العقد نقيب النقباء ابو على بن ابى تمام وعدنان بن الشريف الرضى نقيب العلويين والقاضى الماوردى (٢٦٣) .

وكان الصداق مائة الف دينار ، وذهبت أم الخليفة الى دار الملك لاستصحاب العروس ، ولما وصلت العروس الى حضرة الخليفة قبلت الأرض مرارا بين يديه ، وقد قربها الخليفة منه ، واجلسها بجواره ، واغدق عليها الهدايا ، فكان مما أعطاها « خلعا سنية وتاجا من جوهر ثمين ، كما أعطاها مائة ثوب ديباجة وقصبات من ذهب ، وطاسة ذهب قد نبت فيها الجوهر والياقوت والفيروزج كما اقطعها فى كل سنة من ضياعه ما غلته اثنا عشر الف دينار وغير ذلك » (٢٦٤) .

وكانت نتيجة هذا الزواج أن « تمكن القائم وعظمت الخلافة بسلطنة طغرلبك » (٢٦٥) .

ولم يكتف طغرلبك بتزويج الخليفة القائم بأمر الله من ابنة أخيه ، فتقدم بعد وفاة زوجته فى سنة ٤٥٣ هـ / ١٠٦١ م الى الخليفة يخطب

---

(٢٦٢) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان جـ ٩ ص ٣٢ .
(٢٦٣) ابن الأثير : الكامل جـ ٨ ص ٧٤ .
(٢٦٤) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢ ص ٦٧ ، ٦٨ .
(٢٦٥) ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب جـ ٣ ص ٢٧٧ .

ابنته لنفسه (٢٦٦) ، ولم يصدق الخليفة تطاول طغرلبك الى مثل ذلك الزواج ، وانزعج انزعاجا شديدا لأن « هذا شىء لم تجر المادة بمثله » (٢٦٧) ، فارسل الى السلطان رسولا يستعفية من ذلك ، ولكنه كان يتوقع اصرار طغرلبك على ذلك ، ومن ثم نقدا راح يضع فى وجهه العراقيل ، فطلب من رسولة اذا ما صمم طغرلبك على أن يتزوج من ابنته ان يكون مهرها ثلاثمائة الف دينار ، وأن يسلم — فى نفس الوقت — الى الخليفة « واسط وأعمالها » ، وكان يرمى من وراء ذلك أن يرفض طغرلبك ، فلا يتم الزواج ، وفسر ابن كثير تصرف الخليفة على هذا النحو مع السلطان بقوله : « ثم طلب منه شيئا كثيرا كهيئة الفرار » (٢٦٨) .

وكانت مهمة رسول الخليفة صعبة ، وظهر ذلك عندما تقابل مع عميد الملك الكندرى وزير السلطان الذى سفه ما طلبه الخليفة من السلطان على أساس أن طلب الاستعفاء أمر غير لائق لما فيه من اهانة للسلطان ، اما طلب الأموال والبلاد منه فى سبيل اتمام الزواج فهو أمر تبدو سخافته ، وكان مما قاله عميد الملك لرسول الخليفة : « لا يحسن أن يرد السلطان ، وقد سأل وتضرع ، ولا يجوز مقابلته أيضا بطلب الأموال والبلاد فهو يفعل أضعاف ما طلب منه » (٢٦٩) .

ولم يجد وزير الخليفة أمامه سوى الاقتناع بحجج وزير السلطان ، وأعلن أن الخليفة قبل زواج السلطان من ابنته . وعندما علم السلطان

(٢٦٦) وفى راحة الصدور : اخت الخليفة ، ص ١٦٧ وانظر :
Cam. Mid. Hist. Vol IV P. 305.

(٢٦٧) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٢ ص ٨٦ .

(٢٦٨) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٣ ص ٨٦ .

(٢٦٩) الأصفهانى : تاريخ دولة آل سلجوق ص ٢١ ، ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ٨٣ .

بذلك سر سرورا عظيما ، واعلن ذلك الخبر السعيد على الملأ .

وكانت خديجة ابنة داود آنذاك لدى عمها السلطان فطلب منها أن تستصحب معها وزيره عميد الدولة الكندرى ، وصحبها الكندرى الى بغداد وهو يحمل الهدايا معه الى السلطان فحمل معه الجواهر ومائة الف دينار ، وقد رافقه فى هذه الرحلة كذلك مجموعة من وجوه الأمراء واعيان الرى .

وقد رأى الخليفة فى الاقرار بهذا الأمر شيئا عظيما حتى انه امتنع من الاجابة بالايجاب بعد وصول زوجته والوفد المرافق لها ، وكان الخليفة يرى الخطر فى قبوله بذلك ، وقد عبر عن احساسه بالخطر من وراء ذلك الزواج حين قال : « ان اعقبنا والا خرجنا من بغداد » (٢٧٠) .

وتمسك عميد الملك الكندرى وزير السلطان بكلام الخليفة مع رسوله الى طغرلبك والذى اقترح فيه اتمام الزواج على مال وبلاد وقال : « كان الواجب الامتناع من غير اقتراح » (٢٧١) ، ثم عمد الكندرى الى التهديد الكلامى والعملى فقال انه بعد اجابة الخليفة السابقة على السلطان فان « الامتناع معى على دم » (٢٧٢) ، واردف ذلك باخراج خيامه الى النهروان

ووضح الخطر للبعض من صدام مرتقب بين الخليفة والسلطان بكل ما يحمله هذا الصدام من خطورة ، فحاولوا التوفيق بين الخليفة ورسول السلطان ، فاستوقفوا عميد الملك ، فى حين بينوا للخليفة مغبة الامر ،

---

(٢٧٠) الأصفهانى : نفس المصدر ص ٢١ ، ابن الأثير : نفس المصدر ج ٨ ص ٩٣ .

(٢٧١) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ٩٣ .

(٢٧٢) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ٩٣ .

واقام ابن دارست وزير الخليفة دعوة لعميد الملك وزير السلطان لاصلاح الامور .

وأراد الخليفة رأيا سديدا يعينه فى موقفه الحرج ، فراسل خمارتكين الطغرائى كاتب الانشاء ، فأشار عليه خمارتكين بالروية ، وأن يترفق بالامر ، فكتب الخليفة الى عميد الملك : « نحن نرد الأمر الى رايك ونعول على امانك ودينك » (٢٧٣) ، وكان الخليفة يأمل من وراء ذلك ان يقتنع رسول السلطان برفض الخليفة ، وأن يقنع به السلطان ، ولكن عميد الملك كان مصرا على تحقيق مطلب السلطان ، فقال للخليفة : « أيسأل مولانا امير المؤمنين التطول بذكر ما شرف به العبيد المخلص شاهنشاه ركن الدين فيما رغب فيه ليعرفه الجماعة » (٢٧٤) ؛ وحاول الخليفة مغالطته فى الأمر ، وقال : « قد سطر فى المعنى ما فيه الكفاية » (٢٧٥)، فانصرف عميد الملك مغيظا فى ٢٦ جمادى الآخرة سنة ٤٥٤ هـ/١٠٦٢ م .

وكانت النتيجة أن غضب السلطان طغرلبك غضبا شديدا ، وقد صب السلطان جام غضبه علي خمارتكين الطغرائى حيث قتله في بروجرد بتدبير عميد الملك حيث نسب اليه المخامرة مع السلطان في قطع حديث الوصلة (٢٧٦) .

وعبر السلطان عن غيظه من رفض الخليفة في رسالة ارسل بها الى قضاة بغداد وشيوخها يمن فيها ويعتب حيث قال : « هذا جزائي من الامام القائم قد قتلت أخى فى طاعته ، ووهبت عمرى لساعته ، وأنفقت

---

(٢٧٣) ابن الأثير : نفس المصدر جـ ٨ ص ٩٣ ، الأصفهانى : تاريخ دولة آل سلجوق ص ٢١ .
(٢٧٤) ابن الأثير : نفس المصدر جـ ٨ ص ٩٣ .
(٢٧٥) ابن الأثير : نفس المصدر جـ ٨ ص ٩٣ ، الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق ص ٢٢ .
(٢٧٦) العماد الأصفهانى : نفس المصدر ص ٢٢ .

اموالى فى خدمته ، وطلبت نثرى لثروته ، فما بالة ومالى برد قول ، وقال بردى ، وصد تصدى ، وقصد صدى » (٢٧٧) .

ولم تقف الامور عند هذا الحد من الضغط على الخليفة القائم بامر الله ، فارسل السلطان طغرلبك اليه يطلب منه اعادة ابنة اخيه (زوجة الخليفة) ، ومن ناحية اخرى كتب الى عميد الملك الكندرى بان يقبض الاقطاعات ، ولا يترك للخليفة الا ما كان باسم الخليفة القادر قديما « وان يكون لمعارضة اسبابه مستديما » (٢٧٨) ، وكان هذا يعنى ان الامور ستسير الى ما لا يحمد عقباه ، وفعلا بدأت الاحوال تئول الى ما يكاد « يفضى الى الفساد الكلى » (٢٧٩) .

وجاءت اجابة الخليفة القائم امام تجبر السلطان خافتة وصوته ضعيفا حيث قال : « ما رجونا من ركن الدين ما صنع ، ما توقعنا ما وقع ، وبين يديك الاقطاعات فاقطعها ، وقد ارتفعت الموانع لمانعها » (٢٨٠) .

وكان على الخليفة ان يراجع موقفه ، وان يرى كيف ستكون اموره اذا ما سحب السلاجقة تاييدهم له او تخلوا عنه او انقلبوا ضده ، ووجد نفسه مضطرا الى قبول ما لم يرض به طائعا ، فأذن فى تزويج ابنته من السلطان طغرلبك ، ووكل عميد الملك فى ابرام العقد ، فتم ابرامه فى شهر شعبان سنة ٤٥٤ هـ (٢٨١) ١٠٦١ م ، وقد عبر العينى عن مدى

---

(٢٧٧) العماد الاصفهانى : تاريخ دولة آل سلجوق ص ٢٢ ، ابن الاثير : الكامل جـ ٨ ص ٩٣ .

(٢٧٨) العماد الاصفهانى : نفس المصدر ص ٢٣ .

(٢٧٩) ابن الاثير : الكامل جـ ٨ ص ٩٣ .

(٢٨٠) العماد الاصفهانى : تاريخ دولة آل سلجوق ص ٢٣ .

(٢٨١) العينى : السيف المهند ص ١٧٢ .

قوة الضغط التى اضطرت الخليفة الى قبول زواج ابنته فقال : « فلم يجد من ذلك بدا وزوجه لها » (٢٨٢) .

ويدل ذلك على مدي تحكم السلاجقة فى الخلفاء العباسيين حتى فى أخص الأمور ، وكيف أن الخلفاء فى سبيل التقوى بهؤلاء السلاطين والخوف منهم قبلوا مرغمين بمثل ذلك الزواج الذين كانوا يعرفون أهدافه ومراميه (*) .

وقد صدم هذا الموقف الكثير من المؤرخين الاسلاميين فقال ابن الأثير : « وهذا لم يجر للخلفاء مثله ، فان بنى بويه مع تحكمهم ومخالفتهم لعقائد الخلفاء لم يطمحوا فى مثل هذا ولا ساموهم فعله » (٢٨٣) .

واستكثر صاحب الجوهر الثمين علي طغرلبك هذا الزواج حيث قال « ولم يسبقه أحد من الملوك الى زواج بنت خليفة قط » (٢٨٤) .

أما السيوطى فقال فى ذلك : « وفى سنة أربع وخمسين زوج الخليفة ابنته لطغرلبك بعد أن دافع بكل ممكن ، وانزعج واستعفى ، ثم لان لذلك برغم عنه ، وهذا أمر لم ينله احد من ملوك بني بويه مع قهرهم الخلفاء وتحكمهم فيهم » (٢٨٥) ، بل وزاد السيوطى فدعا على طغرلبك لزواجه هذا مما يدل على مبلغ عدم رضاه عن ذلك فقال : « فلا عفا الله عنه » (٢٨٦) ثم يجمع بين هذا وبين ما حدث فى عصره من مثل ذلك الزواج ويعتبره مصيبة فيقول : « والآن زوج خليفة عصرنا ابنته من

---

(٢٨٢) العينى : نفس المصدر ص ١٧٢ .
(٢٨٣) ابن الأثير : الكامل جـ ٨ ص ٩٣ وانظر :
Cam. Mid. Hist. Vol IV P. 305.
(٢٨٤) ابن دقماق : الجوهر الثمين ص ٦٢ .
(٢٨٥) السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٤٢٠ .
(٢٨٦) السيوطي : نفس المصدر ص ٤٢٠ .

واحد من مماليك السلطان ، فضلا عن السلطان ، فانا لله وانا اليـــه راجعــون » (٢٨٧) .

وقد فرح السلطان طغرلبك بقبول الخليفة تزويجه ابنته فرحــا شديدا ، وأرسل الى نوابه يلغي تعليماته السابقة ضد أملاك الخليفة ، وامر باطلاقها له « واتفقت الكلمة بعد أن كادت تتفرق » (٢٨٨) .

وقد تم توقيع عقد الزواج فى تبريز فى ١٣ شعبان سنة ٤٥٤ هـ / ١٠٦٢ م على صداق قدره ٤٠٠ الف دينار (٢٨٩) ، وقد وكل الســلطان طغرلبك عنه أحمد ابا النهاوندي رئيس العراقين ، بينما فوض الخليفــة ابا الغنائم بن المهلبان فى مهمة التوقيــع على عقد الزواج ، وتولى قاضى قضاة بغداد العقد (٢٩٠) .

وعبر الســـلطان عن فرحه بذلك علانية أمام الناس حيث قال : « انا أعبد الخليفة ما بقيت ، لا املك شــيئا ســوى ما عـلى من الثياب » (٢٩١) .

وقد عبر طغرلبك عن سروره فارسل الهدايا الثمينة الى الخليفــة والى عروسه ابنة الخليفة ، والى السيدة والدة الخليفة ، فارســل ثلاثين غلاما وجارية من الأتراك على ثلاثين فرس وخادمين ، وفرســا بمركب ذهب وسرجا مرصعا بالجواهرالثمينة ، وعشرة آلاف دينار، وارسل باسم عروسه عشرة آلاف دينار وتوقيعا بيعقوبا (٢٩٢) وما كان لخاتون

---

(٢٨٧) السيوطى : نفس المصدر ص ٤٢٠ .
(٢٨٨) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٨٨ .
(٢٨٩) ابن الأثير : الكامل جـ ٨ ص ٨٨ وانظر : حسن ابراهيم النظم الاســلامية ص ٥٥ .
(٢٩٠) معوض : طغرلبك ص ٧٠ .
(٢٩١) ابن الأثير : الكامل جـ ٨ ص ٨٥ .
(٢٩٢) قرية كبيرة كالمدينة ، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ من اعمال طريق خراسان . ياقوت : معجم البلدان ص ٤٥٣ .

المتوفاة بالعراق ، وعقدا فيه ثلاثون حبة ، كل لؤلؤة مثقال ، كما ارسل باسم السيدة أم عروسه ثلاثة آلاف دينار (٢٩٣) . ومن الغريب — كما قيل — ان يكون الغرض من وراء هذا الزواج هو « الشرف لا الاجتماع » (٢٩٤) .

وفى المحرم سنة ٤٥٥ هـ / يناير ١٠٦٣ م وصل طغرلبك الى بغداد الى عروسه حيث نزل فى الجانب الغربى من بغداد ، وارسل وزيره عميد الملك الكندرى الى الخليفة يطالبه بنقل العروس الى دار المملكة ؛ ولكن الخليفة ذكر عميد الملك بالشرط المكتوب بخطه والذى ينص على ان المقصود بهذا الزواج هو الشرف لا الاجتماع ، وانه ان كانت مشاهدة فلتكن فى دار الخلافة ، فشرط عميد الملك — فى هذه الحال — ان يفرد الخليفة الدور والمساكن لخواص السلطان وحجابه ومماليكه لأن السلطان لا يمكنه مفارقتهم ، فاضطر الخليفة الى الموافقة على أن تذهب العروس الى دار المملكة (٢٩٥) .

وقد تمثلت حفل زفاف العروس ابنة القائم إلى طغرلبك فى سرادقات ضخمة ضربت لها من دجلة الى الدار ، وضربت البوقات والدبادب عند دخولها الى الدار « فلما أدخلت أجلست على سرير مكلل بالذهب ، وعلى وجهها برقع ، ودخل الملك طغرلبك فوقف بين يديها ، فقبل الأرض ولم تقم له ولم تره ، ولم يجلس ، ثم انصرف الى صحن الدار ، والحجاب والأتراك يرقصون هناك فرحا وسرورا ، وبعث لها مع الخاتون

---

(٢٩٣) العماد الأصفهانى : تاريخ دولة آل سلجوق ص ٢٣ .

(٢٩٤) ابن كثير : الكامل جـ ٨ ص ٩٣ ولعل ثمة أسبابا طبية بين رضا السلطان بذلك ، وما عرف عنه من انه كان عقيما لا يعقب .

(٢٩٥) ابن الاثير : نفس المصدر جـ ٨ ص ٩٨ ؛ ابو الفدا : المختصر جـ ٢ ص ١٨٣ .

زوجة الخليفة عقدين فاخرين ، وقطعة ياقوت حمراء كبيرة هائلة ، ودخل من الغد فقبل الأرض ، وجلس على سرير مكلل بالفضة بازائها ساعة ، ثم خرج فارسل لها جواهر كثيرة ثمينة وفرجية نسج بالذهب مكلل بالحب ، وما زال كذلك كل يوم يدخل ويقبل الأرض ويجلس على سرير بازائها ، ثم يخرج عنها ، ويبعث بالتحف والهدايا ، ولم يكن منه اليها شيء مقدار سبعة ايام ، ويمد كل يوم من هذه الأيام السبعة سماطا هائلا ، وخلع فى اليوم السابع على جميع الأمراء » (٢٩٦) .

والى هنا ، والصورة كما تبدو لهذا الزواج هى « الشرف لا الاجتماع ! » ؛ ثم ان طغرلبك خرج من تبريز قاصدا الرى عاصمة ملكه ومعه عروسه ، ولكن وعكة بسيطة المت به عند « قصران بيرونى » بباب الرى ، فنزل فى قرنة « طجرشت » — تجريش الحالية — المشهورة بهوائها العليل ، ولكن الرعاف استولى عليه ، ولم يفلح معه دواء أو علاج فانهارت قواه ، وساءت صحته ، وتوفى فى رمضان سنة ٤٥٥ هـ / ١٠٦٧ م (٢٩٧) .

وهكذا انتهت قصة ذلك الزواج بين طغرلبك الرجل الذى نيف على السبعين عاما (٢٩٨) ، وعروسه الشابة ابنة الخليفة القائم « سيدة النساء » .

وقد أعيدت سيدة النساء ابنة القائم الى بغداد فى سنة ٤٥٦ هـ

(٢٩٦ العماد الأصفهانى : تاريخ دولة آل سلجوق ص ٢٦ ، وابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ وانظر :
Cam. Mid. Hist, Vol IV P. 303

(٢٩٧) الراوندى : راحة الصدور ص ١٧٧ ، معوض : طغرلبك ص ٧٠ ، ٧١ ، عبد النعيم : سلاجقة ايران ص ٤٣ وانظر :
Cam. Mid. Hist, Vol IV P. 305

(٢٩٨) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ١٨٤ .

١٠٦٤ م فى عهد السلطان « ألب ارسلان » ومعها مهرها (٢٩٩) ، بعد أن أعلمها السلطان الجديد انه بسبب ما ارتكبه عميد الملك فى حقها من نقلها من بغداد على غير رغبة الخليفة كان قبضه علية وقتله ، وأن كان السبب الحقيقى فى ذلك يرجع الى زيادة نفوذ الكندرى ، كما يعود السبب كذلك الى تحريض نظام الملك وزير السلطان الب ارسلان له مخوفا اياه من زيادة نفوذه ومن اتباعه (٣٠٠) .

ومما هو جدير بالذكر هنا ان اضطرار الخليفة الى تزويج ابنته سيدة النساء بالطريقة التى ذكرت ، كان له آثاره النفسية السيئة التى انعكست على علاقته بزوجته ارسلان خاتون ابنة أخى طغرلبك ، حتى ان السلطان طغرلبك اصطحبها معه عند حضوره الى بغداد بعد أن شكت اهمال الخليفة واطراحه لها (٣٠١) .

وهكذا انتهت قصة زواج طغرلبك من سيدة النساء (٣٠٢) ، التى كان شأنها شأن زواج خديجة ابنة داود تهدف الى غايات سياسية تبعد بها عن أن تكون خالصة لوجه الزواج .

---

(٢٩٩) الراوندى : راحة الصدور ص ١٧٧ .

(٣٠٠) ابن الأثير : الكامل جـ ٨ ص ٩٦ ، النويرى : نهاية الأرب جـ ٢٦ ص ٣٠٤ ، مرآة الزمان ص ٢٦٩ ، وكان قتل الكندرى سنة سيئة فى عصر السلاجقة حيث ادى العمل بها الى قتل عدد من وزراء السلاجقة ، واكتوى نظام الملك نفسه بنارها . عبد النعيم : سلاجقة ايران ص ٥٠ .
وقد قال الكندرى لنظام الملك : لقد ابتدعت بدعة سيئة ، ووضعت قاعدة خبيثة بقتل الوزراء ، انى لأرجو ان تنفذ هذه السنة فيك وفى اعقابك . الراوندى : راحة الصدور ص ١٨٧ ، وعبد النعيم : سلاجقة ايران ص ٥٠ .

(٣٠١) ابن الأثير : الكامل جـ ٨ ص ٩٤ ، العماد الأصفهانى : تاريخ دولة آل سلجوق ص ٢٧ .

(٣٠٢) وقد توفيت سيدة النساء ابنة الخليفة القائم زوجة السلطان طغرلبك فى سنة ٤٩٦ هـ ، وكانت موصوفة بالدين وكثرة الصدقة ، وكان الخليفة المستظهر بالله قد الزمها بيتها لأنه أبلغ عنها انها تسعى فى ازالة دولته . ابن الأثير : الكامل جـ ٨ ص ٢١٩ .

فى عهد الخليفة المقتدى بالله

٤٦٧ - ٤٨٧ - هـ / ١٠٧٤ - ١٠٩٤ م

فى شوال سنة ٤٧٤ هـ / ١٠٨٤ م ارسل الخليفة المقتدى بالله وزيره فخر الدولة ابا نصر بن جهير الى السلطان السلجوقى ملكشاه يخطب ابنته ، فطلب السلطان من وزيره نظام الملك أن يمضى مع وزير الخليفة الى تركان خاتون زوجة السلطان لمخاطبتها فى هذا الأمر ، وكانت شديدة التاثير فيه والتسلط عليه (٣٠٣) ، فتوجه وزير الخليفة ووزير السلطان اليها ، وخاطباها فى ذلك ، فأجابتهما اجابة خشنة حيث قالت لهما : « ان ملك غزنة ، وملوك الخاقانية ، قد ارسلوا فى خطبتها ، وبذل كل منهم عن ولده لها اربعمائة الف دينار ، فان بذلها الخليفة فانى اختار شرفه وهو أشرف مختار » (٣٠٤) .

وقد اقنعتها حينئذ السيدة ارسلان خاتون أرملة القائم والتى كانت تدرك قيمة الخليفة الروحية على الأقل بمقدار ما تحوزه من شرف وفخر بمصاهرة الخليفة وما يصير اليها من الجلال والجمال ، وان ملك غزنة وملوك الخاقانية وغيرهم ما هم الا عبيد الخليفة وخدمه ، وان مثل الخليفة لا يقابل بطلب المال (٣٠٥) ، فأجابت زوجة السلطان الى ذلك الزواج ، ولكنها وضعت له شروطا منها : أن يحمل الخليفة اليها خمسين الف دينار معجلا ، كما شرطت الا يبقى له سرية ولا زوجة غيرها ، ولا

---

(٣٠٣) الراوندى : راحة الصدور ص ٢٠٧ ، البندارى : اخبار الأمراء والملوك السلجوقية ص ١٥٠ ، العماد الأصفهانى : تاريخ آل سلجوق ص ٧٢ .

(٣٠٤) العماد الأصفهانى : نفس المصدر ص ٧٢ ، ابن الأثير : الكامل جـ ٨ ص ١٢٩ .

(٣٠٥) العماد الأصفهانى : نفس المصدر ص ٧٢ ، ٧٣ .

يكون مبيته الا عندها (٣٠٦) ، ووافق رســـول الخليفة عــلى شروط تركان خاتون .

وكان زفاف ابنة السلطان ملكشاه الى الخليفة المقتدى بالله فى سنة ٤٨٠ هـ (٣٠٧) / ١٠٨٧ م ، وقد جهز السلطان ملكشاه لابنته جهـــازا ضخما تم نقله الى دار الخلافة على مائة وثلاثين جملا مجللة بالديبـــاج الرومى « وكان غالبها أوانى الذهب والفضة ، وعلى أربع وثلاثين بغـــلة مجللة بأنواع الديباج الملكى ، واجراسها وقلائدها من الذهب والفضة ، وكان على ستة منها اثنا عشر صندوقا من الفضة منها انواع الجـــواهر والحلى ، وبين يدى البغال ثلاث وثلاثون فرســـا عليها مراكب الذهب ، مرصعة بالجواهر ، ومهد عظيم مجلل بالديباج الملكى عليه صفائح الذهب مرصع بالجواهر (٣٠٨) .

وقد احتفل الناس بهذا الموكب أثناء ســـيره احتفالا عظيما « نثر اهل معلى عليهم الدنانير والثياب » ، وقد ارسل الخليفة للقاء ذلك الموكب « نحو ثلاثمائة موكبية ومثلها مشاعل ، ولم يبق فى الحريم دكان الا وقد اشعل فيه الشمعة والاثنتان وأكثر من ذلك » ، كما أن الخليفة أرســـل كذلك مع خادمه « محفة لم ير مثلها حسنا » (٣٠٩) .

وقال وزير الخليفة لتركان خاتون زوجة السلطان التى كانت عــلى رأس الموكب القادم الى بغداد : سيدنا ومولانا أمير المؤمنين يقول : ان الله

(٣٠٦) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ١٣٠ .
(٣٠٧) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٨٨ ، ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ج ٣ ص ٣٧٦ .
(٣٠٨) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ١٤٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ١١ ص ١٣٢ ، ١٣٣ .
(٣٠٩) ابن الأثير : نفس المصـــدر ج ٨ ص ١٤٥ ، ابن كثير : نفس المصدر ج ١١ ص ١٣٣ .

يأمركم ان تؤدوا الأمانات الى اهلها » ، وقد اذن فى نقل الوديعة الى داره « فأجابته بالسمع والطاعة » .

ويضيف ابن الأثير ما كان بعد ذلك حيث يقول : « وحضر نظام الملك فمن دونه من أعيان دولة السلطان ، وكل منهم معه من الشمع والمشاعل الكثير ، وجاء نساء الأمراء الكبار ومن دونهم كل واحدة منهن منفردة فى جماعتها وتجملها ، وبين ايديهن الشمع الموكبيات والمشاعل يحمل ذلك جميعه الفرسان ، ثم جاءت الخاتون ابنة السلطان بعد الجميع فى محفة مجللة عليها من الذهب والجواهر شىء كثير ، وقد احاط بالمحفة سمائتا جارية بالمراكب العجيبة ، وسارت الى دار الخلافة » ثم اضاف : « وكانت ليلة مشهودة لم ير ببغداد مثلها » ، أما فى الغد فقد أحضر الخليفة أمراء السلطان لسماط امر باعداده لهم ، حكى « ان فيه اربعين الف منا من السكر ، وخلع عليهم ، كلهم ، وعلى كل من له فى العسكر ، وارسل الخلع الى الخاتون زوجة السلطان والى جميع الخواتين » (٣١٠).

ولم يكن يدور بخلد الخليفة المقتدى وهو يريد أن يتقوى بالسلطان ملكشاه انه جر بنفسه على نفسه اهانة ستلحق به ، ومذلة لم تلحق بمثله قبله ، ذلك أن الخليفة جعل ولاية العهد من بعده لولده أحمد المستنصر بالله لأنه الأكبر (٣١١) ، فلما ولدت زوجته ابنة ملكشاه ولدها جعفرا وذلك فى ذى القعدة من سنة ٤٨٠ هـ / ١٠٨٨ م (٣١٢) ، طلب ملكشاه منه تحويل ولاية العهد عن أحمد المستنصر بالله الى ولده من ابنته ، وهو يأمل من وراء ذلك ان تصير الخلافة الى ابن المقتدى من ابنته (٣١٣)،

(٣١٠) ابن الأثير : نفس المصدر جـ ٨ ص ١٥٠ ، ابن كثير : نفس المصدر جـ ١١ ص ١٣٣ .

(٣١١) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٥ ص ٢٨٨ .

(٣١٢) ابن خلكان : نفس المصدر جـ ٥ ص ٢٨٨ .

(٣١٣) Muir, The Caliphate, P. 582 .

وساءت العلاقات بين السلطان والخليفة بسبب ذلك ، وانعكس ذلك على علاقة الخليفة بزوجته ابنة ملكشاه ، فراسلت اباها تشكو اليه من الخليفة ، وتصف اعراضه عنها واهماله لها ، فأرسل السلطان الى الخليفة « يطلب ابنته طلبا لابد منه (٣١٤) ، وأجاب الخليفة طلب السلطان ، واذن لزوجته فى المسير الى أبيها ، فسارت ومعها ابنها أبو الفضل جعفر بن المقتدى بالله ، وشاء لها قدرها أن تتوفى بعد وصولها الى أصبهان ، واقيمت مراسم العزاء ، ورثاها الشعراء ببغداد وبعسكر السلطان (٣١٥) .

ويبدو أن ما حدث لابنة السلطان زاد من حقده على الخليفة ، بل لعله عده مسئولا عما حدث لابنته لكونه رفض جعل ولاية العهد فى ابنها منه ، ومن ثم اتخذ من الخليفة موقفا عدائيا عنيفا ، فطلب منه أن يخرج من بغداد ويتركها ، ويذهب الى أى بلد يشاء (٣١٦) ، فأرسل اليه الخليفة يحاول اصلاح ذات البين ، فاشتط السلطان فى مطلبه ، واصر على التحكم فى الخليفة وعامله بغلظة (٣١٧) ، ولم يكن فى وسع الخليفة غير الخضوع لأوامر السلطان ، ولكنه طلب منه امهالة شهرا

(٣١٤) ابن الأثير : الكامل جـ ٨ ص ١٥٠ .

(٣١٥) ابن الأثير : نفس المصدر جـ ٨ ص ١٤٥ ، وقد توفيت فى سنة ٤٨٢ هـ بعد عامين من زواجها ، وكانت خطبة الخليفة لها فى سنة ٤٧٤ هـ . محمود شاكر : تاريخ الخلافة العباسية جـ ٢ ص ٢٢٧ وانظر :
Muir, The Caliphate, P. 582 .

(٣١٦) ابن دقماق : الجوهر الثمين ص ٦٣ ، وفى وفيات الأعيان جـ ٥ ص٢٨٧ طلب منه ترك بغداد الى الرحبة وذكر موير انه طلب منه الرحيل الى البصرة . انظر :
Muir, The Caliphate, P. 582 .

(٣١٧) العصامى : سمط النجوم العوالى ص ٢٩ وانظر :
Mir, Ibid, P. 582 & AMIR Ali, A short history... P. 319.

فأبى السلطان وقال : « ولا ساعة » (٣١٨) ، وعندئذ لجأ الخليفة الى وزير السلطان تاج الملك ابى الغنائم الذى تمكن من أن يستمهل له السلطان مدة عشرة ايام وكان ابو الغنائم قد قال للسلطان : « لو أن بعض العوام اراد أن ينتقل من دار الى دار لم يقدر على النقلة فى عشرة ايام ، فكيف بالخليفة » ؟! « فأمر السلطان للخليفة بالمهلة عشرة ايام » (٣١٩) .

واتجه الخليفة المقتدى بأمر الله يشكو السلطان ملكشاه الى الله ويضع خده على التراب ويدعو عليه (٣٢٠) بل وكان — من اجل ذلك يصوم النهار ويقوم الليل ، فاستجاب الله دعاءه قبل مرور المهلة المقررة وكفاه شر ملكشاه اذ توفى السلطان ملكشاه فى ١٥ شوال سنة ٤٨٥ هـ/ ١٨ نوفمبر ١٠٩٢ م (٣٢١) . ودلت اقوال المؤرخين الاسلاميين على تعاطفهم مع الخليفة فقال صاحب شذرات الذهب فى وفاة ملكشاه : « وذهب الى حيث القت » (٣٢٢) ، وعدوا ما حدث من كرامات الخليفة المقتدى ، وعدوه عبرة لكل ظالم ومعتد (٣٢٣) .

وقيل ان السلطان ملكشاه قد سم فى خلال تخلل به بعد أن عاد الى

---

(٣١٨) العصامى : سمط النجوم العوالى ص ٢٩ ، ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب ج ٣ ص ٣٧٧ .

(٣١٩) العصامى : نفس المصدر ص ٢٩ ، ابن دقماق : الجوهر الثمين ص ٦٣ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٣٤ .

(٣٢٠) العصامى : نفس المصدر ص ٢٩ .

(٣٢١) ابن دقماق : الجوهر الثمين ص ٦٤ ، حافظ حمدى : الشرق الاسلامى قبيل الغزو المغولى ص وانظر :

AMIR Ali, A short history of the saracenes, P. 319.

(٣٢٢) ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ج ٣ ص ٣٧٧ .

(٣٢٣) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ج ٩ ص ٤٤٩ ، وحافظ حمدى : الشرق الاسلامى قبيل الغزو المغولى ص ٤٠ .

بغداد من رحلة صيد له فى دجيل (٣٢٤) ، وحمل تابوته الى أصبهان ودفن بها فى مدرسة عظيمة وذلك عن عمر يناهز تسعة وثلاثين عاما بعد حكم دام احدى وعشرين سنة (٣٢٥) .

وعلى صعيد آخر كان ملكشاه نفسه قد رتب لنفسه زواجا من ابنة امبراطور الروم الكسيوس كومنينوس ، وهو أيضا زواج سياسى لو تحقق لكان له نتائج متوقعة بين الشرق والغرب ، ولكن موته حال دون ذلك (٣٢٦) .

وعلى صعيد آخر تم فى عهد الخليفة المقتدى مصاهرة بين نظام الملك وزير السلطان ، وبين فخر الدولة بن جهير وزير الخليفة (٣٢٧) فزوجت صفية ابنة نظام الملك من محمد ابن الوزير ابن جهير ، وكان نظام الملك يرى فى ذلك تمكينا لمركزه اذ بمثل ذلك الزواج يكون قد حاز من السلطة درجة كبيرة فهو وزير السلاجقة وصهر وزير الخليفة ، فى حين كان ابن جهير يرى فى ذلك تعزيزا لمركزه حيث كان مركز وزير السلطان أقوى من مركز وزير الخليفة .

وقد آتى هذا الزواج ثماره بالنسبة لمحمد بن جهير ، فان الخليفة المقتدى بعد أن استوزره وفوض الأمور اليه عزله ؛ فتدخل نظام الملك لدى الخليفة المقتدى وأعاده الى الوزارة .

---

(٣٢٤) دجيل : اسم نهر مخرجه من أعلى بغداد بين تكريت وبينها مقابل القادسية دون سامرا . ياقوت : معجم البلدان جـ ٢ ص ٤٤٣ .

(٣٢٥) AMIR Ali, A short history of the saracenes, P. 319.

(٣٢٦) AMIR Ali, Ibid, P. 319.

(٣٢٧) وزير ابن جبير للقائم وعزل بسبب خلاف بينه وبين نظام الملك ، ثم أعيد الى الوزارة ، كما وزر للمقتدى ، وكانت وزارته للخليفتين القائم والمقتدى خمسة عشر سنة وشهرا ، ومات فى سنة ٤٨٣ هـ . ابن‌طباطبا : الفخرى جـ ٣ ص ٢٩٣ — ٢٩٥ .

وقد عد الشاعر ابن الهبارية أن السبب فى عودة محمد بن جهير الى الوزارة ثانية ويرجع الفضل فيه الى مصاهرته لنظام الملك وزواجه من ابنته صفية ، فقال ابن الهبارية :

لولا صفية ما استوزرت ثانية ...... (٣٢٨) .

وقد صرح ابن خلكان بأن عودة محمد بن جهير الى الوزارة كانت « بسبب المصاهرة » (٣٢٩) .

* * *

---

(٣٢٨) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٥ ص ١٣٢ ، واسم ابنة نظام الملك فى وفيات الأعيان « زبيدة » ورواية ابن خلكان فى شعر ابن الهبارية :

لولا ابنة الشيخ ما استوزرت ثانية ......

(٣٢٩) ابن خلكان : نفس المصدر جـ ٥ ص ١٣٢ .

فى عهد الخليفة المستنصر بالله (٣٣٠)

٤٨٧ — ٥١٢ هـ / ١٠٩٤ — ١١١٨ م

كان الخليفة المستنصر بالله على درجة كبيرة من الضعف (٣٣١) ، حتى انه فى أثناء الصراع الذى دار بين ورثة السلطان ملكشاه حيث دار الصراع بين بركياروق (٣٣٢) وبين عمه تتش وانتهى بقتل تتش ، كما دار الصراع بين بركياروق وأخيه لأبيه محمد بن ملكشاه ، وفى أثناء هذا الصراع بين الأخوين كان الخليفة يخطب لمن دخل منهما بغداد منتصرا ، حتى استقر الأمر بين الأخوين بالصلح فى سنة ٤٩٧ هـ / ١١٠٤ م خطب لبركياروق ، ثم آلت السلطنة من جديد الى محمد بن ملكشاه بعد وفاة بركياروق فى سنة ٤٩٨ هـ / ١١٠٥ م بعد صراع غير طويل مع ملكشاه الثانى بن بركياروق (٣٣٣) ، حيث قبض محمد علية ، وحكم بعد ذلك

---

(٣٣٠) هو أبو العباس أحمد بن عبد الله المقتدى بالله ، ولد فى شوال عام ٤٧٠ هـ ، وتوفى فى ١٦ ربيع الآخر سنة ٥١٢ هـ . مات بعد وفاة السلطان محمد . ومن العجب أنه لما مات السلطان ألب ارسلان مات بعده الخليفة القائم ، ثم لما مات ملكشاه مات بعده المقتدى ، ثم لما مات السلطان محمد مات بعده المستظهر .

محمود شاكر : تاريخ الخلافة العباسية جـ ٢ ص ٢٤٣ وانظر :

AMIR Ali, A short history of the saracenes, P. 320

(٣٣١) Muir, The Caliphate, P. 582 .

(٣٣٢) وكان السلطان محمد وسنجر اخوين لأب وام ، أمهما أم ولد ، بينما كان بركياروق ابنا لملكشاه من امراة أخرى هى زبيدة خاتون . ابن الأثير : الكامل جـ ٨ ص ١٩٠ ، ١٩١ وانظر

AMIR Ali, Ibid, P. 320.

(٣٣٣) لقبه الخليفة جلال الدولة ، وكان صغيرا لم يتجاوز الخامسة من عمره ، ولم يتم له الأمر سوى شهر ثم عزل وخلا الجو لمحمد بن ملكشاه فى السلطنة حتى عام ٥١١ هـ محمود شاكر : تاريخ الدولة العباسية جـ ٢ ص ٢٤٦ .

ثلاثة عشر عاما عمت الفوضى فيها جميع انحاء الدولة (٣٣٤) .

وقد تزوج الخليفة المستظهر بالله فى سنة ٥٠٢ هـ / ١١٠٨ — ١١٠٩ م من خاتون العصمة أخت محمد وبنت ملكشاه (٣٣٥) ، وكان الذى خطب خطبة الزواج القاضى أبو العلا صاعد بن محمد النيسابورى الحنفى ، والمتولى لقبولى العقد أحمد بن نظام الملك وزير السلطان بوكالة من الخليفة ، وكان الصداق مائة الف دينار ، ونثرت الجواهر والدنانير ، وكان توقيع عقد الزواج باصبهان .

والزواج هنا يمثل ارتباطا بين خليفة ضعيف وسلطان ضعيف ، وهو زواج فى مصلحة السلطان اكثر مما هو فى مصلحة الخليفة ، فهو يضفى عليه صفة من الشرعية أمام منافسيه الطامحين الى السلطان وعلى رأسهم أخوه سنجر الذى تبدت مطامحه فورا بعد وفاة السلطان محمد فى سنة ٥١١ هـ / ١١١٧ م حيث كرر ما فعله محمد مع بركياروق وذلك ان محمدا ولى ابنه محمودا كرسى السلطنة ، وهو صبى فى الرابعة عشرة من عمره ، وذلك فى حياته عندما شعر بدنو أجله وأمره بتدبير أمور الدولة (٣٣٦) .

وليس لنا أن ننساق فى حديث الصراع بين السلاجقة فى هذه الفترة ، وان جاز لنا أن ننوه — اتماما للفائدة — بأن الصراع بين محمود وسنجر انتهى بانتصار سنجر الذى اقطع ابن اخيه البلاد الممتدة من حدود خراسان الى بلاد الشام ، وشرط عليه أن يذكر اسمه فى الخطبة قبله مما كان يعنى تبعية السلطان محمود لعمه سنجر ، وان كانت هذه التبعية تبعية اسمية (٣٣٧) .

* * *

---

(٣٣٤) ابن الأثير : الكامل جـ ٨ ص ١٩٤ ، حافظ حمدى : الشرق الاسلامى قبيل الغزو المغولى ص ٥٩ .
(٣٣٥) حسن ابراهيم : النظم الاسلامية ص ٩٥ .
(٣٣٦) حافظ حمدى : الشرق الاسلامى قبيل الغزو المغولى ص ٥٩ .
(٣٣٧) حافظ حمدى : نفس المصدر ص ٦٠ .

فى عهد الخليفة المقتفى لأمر الله

٥٣٠ هـ ـ ٥٥٥ هـ / ١١٣٦ ـ ١١٦٠ م

كان التسلط السلجوقى على الخلفاء العباسيين مما تأباه طبائع بعض هؤلاء الخلفاء ، فحاولوا استغلال التفكك الذى اصاب البيت السلجوقى بعد وفاة السلطان ملكشاه فى نصف شوال سنة ٤٨٥ هـ (٣٣٨) ١٠٩٢ م.

وظهر ذلك واضحا جليا فى عهد رابع سلاطين السلاجقة مسعود بن محمد بن ملكشاه ٥٢٧ ـ ٥٤٧ هـ / ١٣٣ ـــ ١١٥٢ م (٣٣٩) ،وقد وقع الخلاف بينه وبين الخليفة المسترشد بالله العباسى بسبب موقفه منه بعد وفاة السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه فى سنة ٥٢٥ هـ /١١٣١ م حيث صارت السلطنة الى داود بن محمد بن ملكشاه ، ولكن عمه مسعودا نازعه الأمر ، وطلب من الخليفة أن يخطب له فى بغداد ، فارجع الخليفة الأمر فى ذلك الى السلطان سنجر (٣٤٠) ، وفى نفس الوقت أوصى الخليفة السلطان سنجر بألا يأذن له فى الخطبة ، واستعان السلطان مسعود بعماد الدين زنكى ، ولكن الخليفة تمكن من هزيمتهما فى سنة ٥٢٦ هـ / ١١٣٢ م ، وانتهى الأمر بالخطبة لداود ومسعود معا على منابر بغداد ، ولكن ما ان سار مسعود فى سنة ٥٢٩ / هـ ١١٣٤ م الى همذان للاستيلاء عليها بعد وفاة طغرل بن محمد ، حتى قطع المسترشد الخطبة لمسعود .

---

(٣٣٨) المقريزى : السلوك جـ ١ ص ٣٣ .

(٣٣٩) المقريزى : اتعاظ الحنفا جـ ٣ ص٣٠٥ حاشية رقم « ٥ » .

(٣٤٠) سنجر : آخر حكام سلاجقة خراسان ، ويعد سنجر من السلاطين العظام ، فقد اعترف به السلاجقة سلطانا وزعيما عليهم ، كما اعترف الخليفة العباسى له بهذه المنزلة ، فعد لذلك آخر سلاطين السلاجقة العظام الذين اعترف لهم جميع حكام السلاجقة بالزعامة والسلطنة : حسن احمد محمود : العالم الاسلامى فى العصر العباسى ص ٦١٩ .

وعزم مسعود على دخول بغداد بالقوة بقصد تخريبها والعيث فيها ، فسار الخليفة المسترشد لقتاله (٣٤١) ، ولكن الحرب لم تسر فى صالح الخليفة ، ووقع فى أسر مسعود حيث تم بعد ذلك التدبير عليه فى أسره وقتله فى يوم الخميس ١٨ من ذى القعدة سنة ٥٢٩ هـ (٣٤٢)/١١٣٤ م حيث اشترك فى قتله أربعة عشر من الباطنية الذين كان يسوؤهم أن تستقر الأمور لخليفة سنى قوى .

وقد أثار أسر الخليفة الرأى العام المسلم آنذاك فى بغداد فكسر العامة المنابر ، وخرجت نساء بغداد مولولات نائحات حاسرات يبكين على الخليفة الأسير ، مما اضطر السلطان سنجر أن يراسل مسعودا يطلب منه فك أسر الخليفة ؛ ولكن يبدو أن حكاية سنجر وصلت بعد أن سبق السيف العذل أو أن مسعودا صمم على التخلص من الخليفة رغم مراسلة سنجرله ، مما زاد الرأى العام الثائر حنقا ، وخرج الناس فى الشوارع يعبرون عن سخطهم ، وخرجت النساء حاسرات ينحن فى الطرقات على الخليفة القتيل « وأطلق الناس الألسنة بالدعاء والذم وثارت الدهماء » (٣٤٣) .

واستقر رأى السلطان مسعود على أن يتولى الراشد الخلافة خلفا لأبيه المسترشد ، ولكن بعد أن كتب الراشد على نفسه عهدا للسلطان مسعود جاء فيه قوله : « متى حشدت أو حاذيت أو جذبت سيفا فى وجه مسعود فقد خلعت نفسى » (٣٤٤) .

---

(٣٤١) المقريزى : السلوك ط ق ١ ص ٣٥ ــ ٣٦ .
(٣٤٢) المقريزى : السلوك جـ ١ ق ١ ص ٣٥ ــ ٣٦ .
(٣٤٣) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٥٠ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢ ص ٢٠٨ .
(٣٤٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ٢٥٨ .

واذا كان الولد ابن أبيه — كما يقال — فان الراشد — كابيه — أبى الخضوع لسيطرة مسعود الذى كان قد استبد بالأمور الى درجة لم يستطع الخليفة الجديد تحملها ، وتقوى الخليفة فى صراعه ضد مسعود بعماد الدين زنكى صاحب الموصل ، وفى نفس الوقت كان داود ابن محمود قد جاء الى بغداد فخطب له الخليفة الراشد دون مسعود « فتأكدت الوحشة بين السلطان والخليفة جدا » (٣٤٥) .

ووجد مسعود نفسه فى مواجهة الخليفة وزنكى وداود بن محمد ، فى نفس الوقت التفت العامة حول الخليفة ، ولكن مسعودا كان قد جمع جيشا كبيرا لمواجهة اعدائه وعندئذ عرض عماد الدين زنكى على الخليفة الراشد أن يذهب معه الى الموصل ، فذهب الخليفة الراشد معه (٣٤٦).

وتمكن مسعود من دخول بغداد ، واستولى على ما كان للخليفة ، ثم استغل العهد الذى كان الراشد كتبه على نفسه لدى توليه الخلافة ، وابرزه للفقهاء ، وأفتى الفقهاء بخلع الخليفة الذى اخل بعده ورفع السيف فى وجه مسعود ، وتم ذلك فى ١٦ ذى القعدة سنة ٥٣٠ هـ / ١١٣٦ م (بحكم الحاكم وفتيا الفقهاء) (٣٤٧) .

هذا ، وقد تم قتل الخليفة الراشد بعد ذلك بمؤامرة دبرت عليه فى سنة ٥٣٢ هـ / ١١٣٨ م قرب مدينة اصفهان ، وقام بتنفيذ المؤامرة جماعة من الباطنية (٣٤٨) .

وقد تم بعد عزل الراشد تولية عمه المقتفى بن المستظهر ، وقد تزوج

---

(٣٤٥) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢ ص ٢١٠ .
(٣٤٦) ابن الأثير : الكامل جـ ٨ ص ٣٥٦ .
(٣٤٧) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢ ص ٢١٠ ، العصامى : سمط النجوم ص ٣٤ .
(٣٤٨) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٦٧ .

الخليفة المقتفى اخت السلطان مســـعود الخاتون فاطمة بنت محمد بن ملكشاه ، وتم ذلك الزواج فى سنة ٥٣١ هـ / ١١٣٧ م على صداق قدره مائة الف دينار ، وحضر السلطان مسعود بنفسه مراسيم عقد الزواج ، كما حضره جماعة من اعيان الدولة والوزراء والأمراء « ونثر على الناس انواع النثار » (٣٤٩) ، وكان الوكيل فى قبول الزواج عن الخليفة وزيره على بن طراد الزينبى والوكيل عن السلطان وزيره الزركزينى .

ولعل السلطان مسعودا رمى من وراء هذا الزواج الى تطهير نفسه وعهده مما علق بهما من جراء ما اصاب الخليفتين المسترشد والراشد ، وليفتح بذلك صفحة لا تقوم على العنف مع الخلفاء العباســيين لا ســيما وهو يرى التفاف الراى العام المسلم حول الخليفة رمز السلطة الروحية فى البلاد ، كما رمى السلطان مسعود كذلك الى أن يكتسب بذلك قــوة تساعده على التصدى لمنافسيه من آل سلجوق ، كما انه يتمكن فى نفس الوقت من احكام السيطرة على الخليفة الجديد بطريقة تغاير طريقة العداء والعنف .

على اية حال فان السلطان مسعودا اطمأن من ناحية الخليفة الجديد الذى صار صهره (٣٥٠) ، كما أن السلطان مسعودا عقد صفقة زواج اخرى مع صدقة بن دبيس بن صدقة ليتقوى به فزوجه من ابنته (٣٥١).

وقد ظهرت قوة شخصية المقتفى اول ما ظهرت عندما ارســل اليه السلطان مسعود يطلب منه مائة الف دينار فقال المقتفى : « ما راينــا

---

(٣٤٩) ابن الأثير : الكامل جـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢ ص ٢١١ ، حسن ابراهيم : النظم الاسلامية ص ٩٥ .
(٣٥٠) ابن الأثير : نفس المصدر جـ ٨ ص ٣٥٦ ، وقد توفيت فاطمة خاتون بنت السلطان محمد زوجة المقتفى فى شــهر ربيع الآخر ســنة ٥٤٢ هـ . نفس المصدر جـ ٩ ص ١٧ .
(٣٥١) ابن الأثير : نفس المصدر جـ ٨ ص ٣٥٦

أعجب من أمرك ، انت تعلم أن المسترشد سار اليك بأموالة فجرى ما جرى ، وامد الراشد ولى ففعل ما فعل ، ورحل وأخذ ما تبقى ، ولم يبق الا الأثاث فأخذته كله ، وتصرفت فى دار الضرب ، واخذت التركات والجوالى فمن اى وجه نقيم لك هذا المال ؟ وما بقى الا أن نخرج من الدار ونسلمها ؟ فانى عاهدت الله الا آخذ من المسلمين حبة ظلما »(٣٥٢) ، فانصرف السلطان عن مطالبته ، وحاول جمع ما يحتاجه من أموال عن طريق الجباية والمصادرة مما اصاب الناس بالشدة (٣٥٣)، ودفع بهم الى التبرم والضيق (٣٥٤) .

وفى تلك الأثناء كان شأن الخليفة المقتفى يعلو ، والعامة تلتف حول الخلافة وتتعاون معها ، فى حين كان أمر السلطان مسعود يضعف نتيجة للحروب التى انهكته ، ونتيجة لتقدم السن به . وقد عبر السيوطى عن ذلك التغيير الذى حدث فى عهد المقتفى على جانبى الخليفة والسلطان حيث قال : « وعجز السلطان مسعود ، ولم يبق له الا الاسم ، وتضعضع أيضا أمر السلطان سنجر فسبحان مذل الجبابرة ، وتمكن الخليفة المقتفى وزادت حرمته ، وعلت كلمته ، وكان ذلك مبدأ صلاح الدولة العباسية ، فلله الحمد » (٣٥٥) .

وانتهى الأمر فى النهاية لصالح الخلافة العباسية بوفاة مسعود فى سنة ٥٤٧ هـ / ١١٥٢ حيث قوى نتيجة لذلك جانب الخليفة المقتفى واصبح هو السيد المطاع وصاحب الكلمة العليا فى دولته (٣٥٦) .

---

(٣٥٢) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٣٤٨ .
(٣٥٣) السيوطى : نفس المصدر ص ٣٤٨ .
(٣٥٤) أحمد ابراهيم الشريف : العالم الاسلامى ص ٦٣١ .
(٣٥٥) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٤٣٨ .
(٣٥٦) أحمد ابراهيم الشريف : العالم الإسلامي ص ٦٣١ .

(ب)

الزواج السياسى فى العهد الأتابكى

« زواج طغتكين من زمرد خاتون ام دقاق »

وفى سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م قتل تتش بن الب أرسلان فى صراعه مع بركياروق ، وورد الخبر الى فخر الملوك رضوان بن تتش الابن الاكبر فى حين كان متوجها لنجدة ابيه بناء على استدعاء أبيه له ، واضطرب فخر الملوك لدى سماعة بمقتل ابيه واسرع بالعودة الى حلب ليحميها ممن يقصدها .

ووصل الى حلب جند تتش المنهزمون ، وكان فيهم أخوه الصغير شمس الملوك دقاق ، ومعه جماعة من خواصه وعسكره (٣٥٧) .

واقام دقاق بحلب الى ان أرسل اليه الأمير ساوتكين الخادم نائب تتش بدمشق يطلب منه أن يتوجه سرا الى دمشق ليمكن له الأمور فيها ، فأطاعه دقاق ، وتوجه اليه فى دمشق حيث صارت أمورها اليه .

ولم يرض ذهاب دقاق الى دمشق اخاه الأكبر رضوان الذى كان يطمع فى ملك ابيه جميعه وفقا لوصية ابيه ، وأراد ان يحول بين دقاق وبين امتلاك دمشق ، فأرسل القوات على أثره ، ولكن القوات لم تتمكن من اللحاق به .

ولم يثن ذلك رضوان عن تصميمه على امتلاك دمشق ، وضرب فى سبيل امتلاكها عرض الحائط برابطة الأخوة التى تجمعه بدقاق ، وصمم على محاربته ، واستنجد بسقمان بن ارتق ليساعده فى حربه لأخيه ،

---

(٣٥٧) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٣٠ .

وهاجم دمشق فى وقت كان فيه دقاق خارجها ، ولكن الوزير زين الدولة محمد ابن الوزير ابى القاسم استطاع ان يدافع عن المدينة بما توفر له آنذاك من الأجناد ، وساعده اهل دمشق فى الذود عن مدينتهم ، حيث دافعوا عن مدينتهم بشجاعة وبسالة (٣٥٨) فلم يتمكن رضوان من تحقيق هدفه ، وعاد الى حلب فى ذى الحجة سنة ٤٨٩ هـ / ١٠٩٦ (٥٩)، وعاث فى اثناء عودته فسادا فى ناحية حوران (٣٦٠) . وعاد دقاق الى دمشق بعد ان ارتحل اخوه وكانت اخبار خروج رضوان الى دمشق قد سببت له ازعاجا كبيرا .

وفى سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م كان طغتكين معتقلا عند السلطان بركياروق على اثر هزيمة تاج الدولة تتش ، وقد اطلقه بركياروق من اسره كما اطلق كل من كان معتقلا من خواص تتش ؛ فاتجه طغتكين الى دمشق حيث دقاق ابن سيده الذى كان ابوه قد جعل طغتكين اتابكا له (٣٦١) .

وكان طغتكين يحظى بكثير من المواهب التى احلته مكانة عالية لدى سيده تتش ، وفى وصف طغتكين يقول ابن القلانسى : « وكان الأمير المذكور فى حداثة سنه ، ونضارة غصنه قد حظى عند السلطان الشهيد تاج الدولة ورشحه بحجره ، وقدمه على ابناء جنسه من خواصه وبطانته ، وسكن الى شهامته وصرامته ، وسداد طريقته ، ورد اليه بعد ذلك ما انس منه

---

(٣٥٨) ابن القلانسى : نفس المصدر ص ١٣٢ .
(٣٥٩) ابن القلانسى : نفس المصدر ص ١٣٢ .
(٣٦٠) حوران: كورة واسعة من اعمال دمشق ، تتبعها قرى كثيرة . ياقوت : معجم البلدان جـ ٢ ص ٣١٧ وانظر تقويم البلدان ص ٢٥٣ .
(٣٦١) الأتابك : يتألف من لفظين تركيبين وهما : « أطا » بمعنى أب ، و « بك » بمعنى أمير . حسن الباشا . الألقاب الاسلامية ص ١٢٢ ، البقلى : مصطلحات ص ١٤ ، البدراوى : فى علم اللغة التاريخي ص ٢٠٣ .

الرشيد وحسن التدبير فى الصدر والورد والاسفهلارية (٣٦٢) على عسكريته ، واستنابه فى أمر دمشق وحفظها ايام غيبته ، واحسن السيرة فيها ، وانصف الرعية من اهلها ، وبسط المعدلة فى كافة من بها ، فكثر الدعاء له والثناء عليه ؛ فعلت منزلته وامتثلت أوامره وامثلته ، ولم يلبث أن شاع ذكره بنجابته واشفقت النفوس من هيبته فولاه ميافارقين من ديار بكر وهى أول ولايته ، وسلم اليه ولده شمس الملوك دقاق ، واعتمد عليه فى تربيته وكفالته (٣٦٣) .

وكان تتش قد زوج طغتكين هذا من أم ولده دقاق ليضمن ولاءه له ويستفيد من جهوده فى تقوية سلطانه .

وقد استقبل طغتكين لدى وصولة دمشق استقبالا حافلا من الأمير دقاق وأرباب دولته ، وفوضه الأمير تدبير أمور امارته .

ورأى طغتكين أن الساحة خالية أمامه لتوطيد مركزه انطلاقا الى مطمح أكبر ، وكانت أولى خطواته التخلص من ساوتكين ، وقد أتاح له ذلك الثقة الكبيرة التى أولاها دقاق له باعتباره زوجا لأمه .

وقد توفى دقاق فى سنة ٤٩٧ هـ / ١١٠٤ م بعد مرض تطاول به ، واوصى لدى وفاته لطغتكين زوج أمه بولاية دمشق من بعده تاركا ابنه الصغير تتش فى حضانة طغتكين ، وكان لتتش الصغير من العمر سنة واحدة .

---

(٣٦٢) الاسفهلارية : اسفهلار من القاب الوظائف ، وهو مركب من لفظين فارسي وتركى ، اذ أن « اسفه » بالفارسية بمعنى المقدم ، وسلار بالتركية بمعنى العسكر : حسن الباشا : نفس المصدر ص ١٥٦ وانظر: البقلى : مصطلحات ص ٣٢ ، البدراوى : فى علم اللغة التاريخي ص ٧٣.

(٣٦٣) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٣١ .

ورأى طغتكين وزوجته الخاتون صفوة الملك التخلص من ارتاش ابن تاج الدولة تتش من زوجة اخرى ، فاستقدماه الى دمشق ، وذلك ليكون تحت الرقابة ليتخلصا منه فيما بعد ، وجعل طغتكين الحكم باسم ارتاش هذا ، وذلك فى ذى الحجة سنة ٤٩٧ هـ / سبتمبر ١١٠٤ م (٣٦٤) .

ادركت أم ارتاش أن ثمة خطرا يتهدد ابنها يوشك أن يقوده طغتكين وزوجته اليه ليتخلصا منه ليخلص الجو من منافس خطير فى ملك دمشق لتتش الصغير .

وقد خرج ارتاش من دمشق سرا فى صفر سنة ٤٩٨ هـ / اكتوبر ١١٠٤ م (٣٦٥) بالاتفاق مع ايتكين الحلبى صاحب بصرى (٣٦٦) ، واستنجد ببلدوين ملك الفرنج غير أن بلدوين لم يتحمس لمساعدتهما « فلم يحصلا منه على حاصل ولا ظفرا بطائل » (٣٦٧) .

وانتهى الأمر بهلاك أرتاش فى الطريق حين عودته من عند بلدوين ، ولم يلبث أن توفى تتش الصغير الذى كان طغتكين خطب باسمه لدى خروج عمه أرتاش من دمشق .

وهكذا آل الأمر فى دمشق الى طغتكين ، واستمر فى أولاده من بعده حتى سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م . وعرف العهد الذى حكم فيه طغتكين وأولاده من بعده دمشق كاتابكية مستقلة من سنة ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ م الى سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م بعهد الدولة البورية .

---

(٣٦٤) Gibb, The Damascus chronicle, P. 62.

(٣٦٥) Gibb, Ibid, P. 64.

(٣٦٦) ابن القلانسى : نيل تاريخ دمشق ص ١٤٤ .

(٣٦٧) ابن القلانسى : نفس المصدر ص ١٤٥ .

ولا شك ان زواج طغتكين من زمرد خاتون كان صفقة رابحة وصخرة صلدة اعتمد عليها فى الوصول الى الحكم .

وقد شهد ابن القلانسى بقيمة الدور الذى قامت به زمرد خاتون بالنسبة للتمكين لزوجها طغتكين عندما تحدث عن وفاتها حيث قال فى معرض عودة طغتكين من غزو الفرنج مع ايلغازى بن أرتق صاحب حلب « وعاد ظهير الدين أتابك منكفيا الى دمشق عقيب الظفر ، دخلها يوم السبت لليلة بقيت من جمادى الأولى سنة ٥١٣ هـ ، فصادف الخاتون صفوة الملك والدة شمس الملوك دقاق ابن السلطان تاج الدولة تتش بن السلطان الب ارسلان قد نهكها المرض وطال بها ، وقد اشفت على الموت ، وكانت لقدومه متوقعة والى مشاهدته متطلعة فادركها وشاهدها ، وسمع مقالها وقبل وصيتها واقامت القليل وتوفيت الى رحمة الله ومغفرته ورضوانه بين صلاتى الظهر والعصر من يوم الأحد آخر جمادى الأولى سنة ٥١٣ هـ ودفنت عند ولدها فى القبة التى بنتها على القلعة المطلة على الميدان الأخضر ، فلقد كانت من النساء المصونات المحبة للدين والتنزه عن الظلم بطلب الخيرات مع قوة النفس وشدة الهيبة ومعرفة التدبير فيما توخته فى حق ظهير الدين عند وفاة ولدها شمس الملوك الى أن استقام له الأمر ، واستقرت فى المملكة والدولة الحال ، وتسهلت له المطالب برايها وهيبتها وسياستها والآمال فقلق ظهير الدين لفقدها ، وتضاعف عليها حزنه واسفه وتسلم ما خلفته واستخرج ما ذخرته وأودعته وعمل بوصيتها » (٣٦٨) .

* * *

---

(٣٦٨) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٠١ .

« زواج عماد الدين زنكى من أم شهاب الدين محمود »

كان طموح عماد الدين زنكى منذ تولى اتابكية الموصل يمتد بطموحه الى انشـاء دولة كبيرة تحت اسـمه ، وكان يهدف منذ البداية الى أن يبسط سلطانه على بلاد الشام وبلاد الجزيرة (٣٦٩) ، وكان الفرنج قد استولوا على أكثرها ، وتمكنوا منها وقويت شوكتهم .

وكان البرسقى أحد زعماء الجهـاد — قبل أن يقتل — يكف بعض عاديتهم (٣٧٠) ، كما كان لهم من طغتكين شاغل ومانع يحول بينهم وبين أغراضهم ، وكان يتمكن من ارغامهم على الرحيـل اذا فكروا فى حصار حلب أو غيرها ، ولكن البلاد خلت بموته (٣٧١) ، وأصبحت الفرصة مواتية أمام زنكى للتدخل فى شئون الشام (٣٧٢) وذلك بهدف تجميع بلاد الشام والجزيرة وتوحيدها ليجعل من مسلميها جبهة واحدة قوية تستطيع مواجهة الفرنج ، وتكون عونا له عليهم ، وذلك ايمانا منه أن قوة الموصل وحدها تعجز عن انجاز هذه المهمة .

وقد سـلك زنكى للوصول الى أهدافه سـبيلين هما : الزواج السياسى ، والغدر والخداع السياسى ، وقد تمكن من الاستيلاء على حلب بعد أن تزوج ابنة رضوان صاحب حلب الأسبق التى ادعى أحقيتها فى ممتلكات والدها بحلب ، ومن ثم نجح فى الاستيلاء عليها باسم زوجته ، على أن تلك الركيزة لم يكتب لها النجاح دائما (٣٧٣) ، كما سيتضح من

---

(٣٦٩) Stevenson, The crusaders in the East, P. 123.

(٣٧٠) أبو شامة : الروضتين جـ ١ ق ١ ص ٧٥ .

(٣٧١) ابن الأثير : التاريخ الباهر ص ٣٨ .

(٣٧٢) Stevenson, The crusaders in the East, P. 123.

(٣٧٣) محمد حلمى أحمد : مصر والشام والصليبيون ص ٧٦ .

توالى الأحداث والذى سيتضح فيه أسلوب زنكى بمحوريه : الغدر السياسى والزواج السياسى رغبة فى التوصل الى امتلاك دمشق :

لجأ زنكى الى الغدر بتاج الملوك بورى بن طغتكين صاحب دمشق حين عبر الفرات الى الشام ، واظهر انه يريد جهاد الفرنج (٣٧٤) ، فارسل الى تاج الملوك بورى يطلب منه أن ينجده على محاربتهم ، واستوثق تاج الملوك منه ، واخذ عليه العهود ، ثم شرع فى تجهيز جيش دمشقى يذهب لمساعدته ، وأمر على هذا الجيش ابنه سونج الذى كان حينئذ يتولى أمر حماه .

وسار الجيش الدمشقى فعلا الى زنكى الذى تلقاه أولا بالترحيب والتكريم ثم ما لبث أن غدر به ، وذلك ليثبت قوته لدمشق ، وليبين لها ان فى استطاعته اصابتها بالأذى بطريقة او بأخرى ، وغدر زنكى بسونج ، وقبض عليه وعلى رؤساء جيشه ، ونهب خيامهم وثقالهم وكراعهم ، وان تمكن بعضهم من الهرب ، وقد فعل زنكى ذلك بعد وصول جيش سونج بثلاثة أيام (٣٧٥) . وأمر زنكى بنقل أسراه — الذين قدموا لنجدته وبناءعلىطلبه — الى حلب ، وضرب عرض الحائط بمواثيقه وعهوده مع تاج الملوك بورى ، وارتكب بذلك أمرا قبيحا أنكره الناس عليه ، وكما قال ابن واصل : « ولا شىء أقبح من الغدر » (٣٧٦) .

وتوجه زنكى بعد ذلك الى حماه الخالية من أميرها وجنودها، واستطاع أن يملكها بدون مقاومة سنة ٥٢٤ هـ / ١١٣٠ م (٣٧٧) .

---

(٣٧٤) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٤١ .

(٣٧٥) Stevenson, The crusaders in the East, P. 126 & Zoé oldenbourg, Les croisades PP. 287—279.

(٣٧٦) ابن واصل : مفرج القلوب جـ ١ ص ٤٢ .

(٣٧٧) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٢٨ .

وترددت المراسلات بين تاج الملوك بورى وبين زنكى من أجل اطلاق الأسرى ، فلم يفعل زنكى ، وطلب فى مقابل الافراج عنهم خمسين الف دينار ، فوافق بورى ، ولكن الافراج عنهم لم يتم حتى قادت الظروف دبيس بن صدقة الذى كان عدوا لزنكى ليقع أسيرا فى يد تاج الملوك بورى ، فساوم زنكى تاج الملوك على ان يسلمه دبيس بن صدقة فى مقابل تسليمه سونج ومن اعتقل معه ، فوافق بورى على هذا (٣٧٨) ؛ وتمت المبادلة على ان يتنازل زنكى كذلك عن مبلغ خمسين الف دينار كان زنكى قد طلبها فى مقابل الافراج عن سونج ، وتم التسليم والتسلم فى يوم الخميس ٨ من ذى القعدة سنة ٥٢٥ هـ / ١٢ أكتوبر سنة ١١٣١ م (٣٧٩) .

ويتجلى من مجرى هذه الأحداث ان زنكى كان يصدر فى تصرفاته عما يترتب على هذه التصرفات من مصالح خاصة تعود عليه لا تقيده العهود ولا تحكمه المواثيق وبعد وفاة تاج الملوك بورى متأثرا بجرح اصابه به الحشيشية فى شهر رجب سنة ٥٢٦ هـ / ٦ يونيو سنة دمشق بما فيها ، وكان اثم دم من بها فى رقبته)» (٣٨٣) — أى رقبة ١١٣٢ م (٣٨٠) .

وفى عهد شمس الملوك اسماعيل بن بورى كانت عين زنكى ما زالت تطمح الى تملك دمشق (٣٨١) مستغلا الأحداث التى دارت فى عهد هذا الأمير الشاب والتى انتهت بمعاهدة عقدها مع الفرنج استغلها زنكى فى تأليب الراى العام الدمشقى ضده ، ونجح فى ذلك كما نجح من ناحية اخرى فى تشكيك شمس الملوك فيمن يحيط به من القادة المحليين حتى

---

(٣٧٨) حسن حبشى : نور الدين والصليبيون ص ٢٥ .

(٣٧٩) Gibb,The Damascus chronicle, P. 205.

(٣٨٠) Gibb,The Damascus chronicle, P. 208.

(٣٨١) حسن حبشى : نور الدين والصليبيون ص ٢٧ .

فضطر شمس الملوك الى أن يستنجد بزنكى شخصيا ليسلم اليه دمشق (٣٨٢) ، وارسل اليه يطالبه بالحضور قائلا له : « وان اتفق لهذا اغفال أو اهمال أحوجت الى استدعاء الفرنج من بلادهم ، وسلمت دمشق بما فيها ، وكان اثتم دم من بها فى رقبته » (٣٨٣) — أى رقبة زنكى — ؛

ودفع ذلك الموقف أم شمس الملوك الى التخلص منه بقتله (٣٨٤) ، ولم يوفق زنكى فى الاستيلاء على دمشق ، التى أتاها مسرعا بعد استدعاء شمس الملوك له (٣٨٥) وذلك أن الدماشقة دافعوا عن بلدهم بقوة ظاهرة وشجاعة عظيمة ، كما ورد الى زنكى الأمر من الخليفة المسترشد بالله برفع الحصار والتوجه اليه نجدة له على السلطان مسعود السلجوقى (٣٨٦) ، فاضطر زنكى الى فك الحصار ، وصالح الدماشقة على أن يخطبوا بدمشق للملك الب ارسلان ابن السلطان محمود (٣٨٧).

وفى عهد شهاب الدين محمود الذى تلا شمس الملوك اسماعيل فى حكم دمشق أراد زنكى أن يحقق أمله فى امتلاك دمشق ، فتزوج من أم شهاب الدين محمود الأمير الصغير الذى كان تحت وصايتها ، وهى الخاتون صفوة الملك زمردة ابنة الأمير جاولى وارملة بورى (٣٨٨) .

---

(٣٨٢) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٤٦ .
(٣٨٣) ابن القلانسى : نفس المصدر ص ٢٤٦ .
(٣٨٤) ابن القلانسى : نفس المصدر ص ٢٤٦ .
(٣٨٥) Muir, The caliphata, P. 584.
(٣٨٦) Muir, Ibid, P. 584.
(٣٨٧) وكان فى رعاية زنكى ، وباسمه جمع زنكى كلمة أمراء البلاد القريبة منه ، كما استمد من مركزه هذا قوة فى حروبه ضد الأمراء المحليين. الروضتين جـ ١ ق ١ حاشية رقم ٢ ص ١٤٩ .
(٣٨٨) برجاوى : الحروب الصليبية فى الشرق ص ٢٧٥ .

وكانت المراسلات قد ترددت فى شأن هذا الزواج ، ووافقت عليه الخاتون صفوة الملك زمردة ، وتم العقد بحضور وكيل الخطيبة المنتدب منها لهذه الغاية ، وتم الزفاف فى يوم الاثنين ١٧ رمضان سنة ٥٣٢ هـ/ ١١٣٨ م (٣٨٩) ، وكان من شروط هذا الزواج أن تتنازل العروس عن مدينة حمص لزنكى ، وتم ذلك بالفعل ، وتسلم زنكى هذه المدينة مع قلعتها ، وكان على ولايتها معين الدين أنر وزير شهاب الدين الذى عوضه زنكى عنها بحصن بعرين وأقامه نائبا عنه فى حمص نفسها (٣٩٠)، وهكذا أثمر زواجه بالخاتون صفوة الملك بعض الثمار .

ولم تكن هذه كل آمال زنكى من وراء ذلك الزواج فهو يرنو بعينيه الى دمشق ، ولم يكن ذلك ليغيب عن فطنة معين الدين أنر ، ولذلك ما ان انتهت حياة شهاب الدين محمود فى ٢٣ شوال سنة ٥٣٣ هـ / ٢٣ يونيو سنة ١١٣٩ م (٣٩١) قتيلا على يد بعض خدمه ، وحامت الشكوك حول زنكى فى اشتراكه فى الجريمة ، حتى امسك معين الدين أنر بزمام الأمور فى دمشق وعمل على ضرب المخطط الزنكى فولى جمال الدين محمد الأخ غير الشقيق لشهاب الدين مكان اخيه ، بل وعمل على تقوية مركزه على غرار النهج الزنكى بأن تزوج من ام جمال الدين محمد ، ومنحه جمال الدين محمد بعلبك مكافأة له (٣٩٢) .

وهب عماد الدين زنكى تحت ستار الثأر لقتل زوجته وبناء على استنجاد الخاتون صفوة الملك وبتشجيع من بهرام شاه شقيق الأتابك محمد وهو عدو شخصى لأنر ليحقق أمله ، وتجهز لقصد دمشق ، وخافه

---

(٣٨٩) رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية جـ ٢ ص ٣٦٢ .
(٣٩٠) برجاوى : نفس المصدر ص ٢٧٥ .
(٣٩١) ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب جـ ٤ ص ١٠٣ وانظر :
Gibb,The Damascus chronicle, P. 203.
(٣٩٢) رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية جـ ٢ ص ٣٦٣ .

اهلها ، واستمدوا له ، ونزل زنكى على بعلبك واستولى عليها من يد نائب معين الدين انر (٣٩٣) ، وامن اهلها ، ولكنه ما لبث أن غدربهم ، وامر جنوده بالقتل والسلب ، فأعملوا الذبح فى سكان بعلبك بوحشية ، واسروا النساء وباعوهن (٣٩٤) ، واستقبح الراى العام المسلم ذلك منه، وكان زنكى قد تعمد فعل ذلك ليخيف اهل دمشق فزاد من مقاومتهم له ، واعتبروه خارجا عن حدود العقيدة (٣٩٥) .

وهكذا ابتعد أمل امتلاك دمشق عن زنكى بعد أن خطط له طويلا ، وظن أنه بات منة قاب قوسين أو ادنى بعد أن استنجدت به زوجته للثأر من قتلة ابنها ، وذلك لوجود أنر ذلك الخصم العنيد الذى كان يخطط من جهته للتسلط على مجريات الأمور فى دمشق ، والذى كان على يقظة تامة للتفكير الزنكى .

وقد تمكن انر هذا مرة اخرى من تجنيب دمشق من السقوط فى يد زنكى رغم وفاة جمال الدين محمد فى تلك الأثناء حيث توفى فى ٨ شعبان سنة ٥٣٤ هـ / ١١٤٠ م (٣٩٦) حيث احل مجير الدين ابق بن جمال الدين محمد فى حكم دمشق محل ابيه فى ذلك الظرف البالغ الدقة (٣٩٧) .

ولم يتورع انر — لانقاذ دمشق من الخطر الزنكى المحدق بها — من الالتجاء الى الفرنج ليكونوا عونا له فى الوقوف فى وجه زنكى سالكا بذلك مسلكا خيانيا ضد امانى المسلمين ومصالحهم ، ووافق الفرنج على

---

(٣٩٣) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٨٦ .

(٣٩٤) Runciman, A history of the crusades, Voll 2, P. 226.

(٣٩٥) Runciman, Ibid, Voll 2, P. 226.

(٣٩٦) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٧١ ، ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب جـ ٤ ص ١٠٥ .

(٣٩٧) Runciman, Ibid, Voll 2, P. 226.

مساعدته (٣٩٨) ، وعقدوا معه حلفا دمشقيا فرنجيا كان يمثل — بلا شك — خطرا على حركة الجهاد الاسلامية .

وقتل عماد الدين زنكى فى سنة ٥٤١ هـ / ١١٤٧ م دون أن يحقق امله فى الاستيلاء على دمشق ، ذلك الأمل الذى سعى اليه سعيا متصلا سالكا اليه سياسة « الغاية » تبرر الواسطة » وكان الزواج السياسى احدى وسائله الى ذلك .



(٣٩٨) Stevenson, The crusaders in the East, P. 144.

« زواج نور الدين محمود من ابنة معين الدين أنر »

بعد وفاة عماد الدين زنكى فى سنة ٥٤١ هـ / ١١٤٧ م خلفه ابنه نور الدين محمود فى الجزء الغربى من مملكته الذى كان مقره حلب ، فى حين خلفه ابنه الثانى سيف الدين غازى فى القسم الشرقى من المملكة الذى كان يشمل الموصل وما بين النهرين والخابور (٣٩٩) .

ونحا نور الدين منحى جديدا تجاه الدولة البورية فى دمشق تخالف السياسة التى سار عليها ابوه عماد الدين زنكى ، حيث جنح نور الدين الى التقرب منها (٤٠٠) .

وسار نور الدين فى ذلك على ثلاثة محاور هى : عدم مجابهة العنف بالعنف ، والتقرب الى الراى العام الدمشقى والزواج السياسى .

وقد ترددت المراسلات فى شوال سنة ٥٤١ هـ / ١١٤٧ م بين نور الدين محمود وبين معين الدين انر ، وذلك فى شأن زواج نور الدين من الخاتون عصمة الدين ابنة معين الدين انر ، وكتب العقد فى دمشق بمحضر من نور الدين فى يوم الخميس ٢٣ من شوال سنة ٥٤١ هـ / ٣٠ مارس ١١٤٧ م (٤٠١) ، وتوجهت الخاتون عصمة الدين فى صحبة الرسل الى حلب فى النصف من ذى القعدة (٤٠٢) .

ويتجلى من سير الأحداث ان موافقة انر على زواج ابنته من نورالدين لم يكن خالصا لوجه الزواج ، بل كان يهدف الى حفظ دمشق لتكون

---

(٣٩٩) BROKELMAN, History of Islamic people, P. 222.

(٤٠٠) حسن حبشى : نور الدين والصليبيون ص ٤٢ .

(٤٠١) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨٩ و
Gibb, The Damascus chronicle, P. 275.

(٤٠٢) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨٩ ، أبو شامة : الروضتين جـ ١ ق ١ ص ١٢٩ .

خالصة له خاضعة لسلطانه ونفوذه ، فهو يتخذ من نور الدين وسيلة لاخافة الفرنج فى الوقت الذى حافظ فيه على الحلف الدمشقى الفرنجى لمواجهة مخطط نور الدين الذى لم يكن خافيا على انر .

وفى ضوء هذا الفهم يمكننا ارجاع تصرفات انر الى اصولها : فنحن نرى انه يستعين بنور الدين محمود عندما اعلن التونتاش حاكم بصرى وصرخد (٤٠٣) تنازله عنهما للفرنج اذا هم جعلوه حاكما على حوران (٤٠٤) ، وقد ساعد الفرنج التونتاش لتحقيق ذلك رغم جهود انر للحيلولة دون ذلك ورغم ما يربط الفرنج به من حلف دمشقى فرنجى لم تنفصم عراه ، وصمم الفرنج على اعادة التونتاش الى بصرى بعد ان تمكن انر من اقصائه عنها ، ولم يستطع انر ان يثنى الملكة مليزاند الوصية على بلدوين الثالث بعد موت ابيه فولك (٤٠٥) عن رايها ، وصممت الملكة على اعادة التونتاش بالقوة ، ولكنها وعدته بانها لن تتخذ من ذلك ذريعة للعبث فى اعمال دمشق .

ولم يجد انر بدا من الاستغاثة بنور الدين محمود ليلوح للفرنج بخطر قوته ، ولم يخيب نور الدين طلبة ، فتوجه اليه مسرعا ، ووصل الى دمشق فى يوم الأربعاء ٢٧ من ذى القعدة سنة ٥٤١ هـ (٤٠٦) ١١٤٧ م.

وفى الوقت الذى اجتمع فيه جيش انر وجيش نور الدين فى حصار صرخد حيث كانت زوجة التونتاش بها تحفظها وتضيع الوقت حتى يصل

---

(٤٠٣) بصرى : من اعمال دمشق ، وهى قصبة حوران . الاصطخرى : المسالك والممالك ص٤٨ وصرخد : ولاية واسعة ملاصقة لحوران من اعمال دمشق وبها قلعة عظيمة . تقويم البلدان ص ٢٥٩ .

(٤٠٤) برجاوى : الحروب الصليبية فى الشرق ص ٢٩٠ و
Runciman, A history of the crusades, Voll 2, P. 241.

(٤٠٥) Calthrop, The crusades, P. 41.

(٤٠٦) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨٩ .

الفرنج لنجدتها ، واعادة زوجها ، كان الفرنج فى طريقهم جادين لاغاثة المحاصرين ، وتمكن المسلمون من قطع الطريق عليهم وحرمانهم من آبار المياه العذبة ، ولحقوا بهم هزيمة بالغة (٤٠٧) .

واضطر الفرنج الى الانسحاب بصعوبة بالغة بسبب حرمانهم من الكساء والماء (٤٠٨) ، وكانت رحلة العودة جهيدة اكثر من رحلة القدوم (٤٠٩) .

وسلمت بصرى الى معين الدين انر بعد تقرير الأمر مع اهلها ، وتوجه بعد ذلك الى صرخد حيث سلمت اليه كذلك على ما جرى عليه التسليم فى بصرى .

وعاد الجنود الظافرون بقيادة نور الدين وانر الى دمشق يوم الأحد ٢٧ المحرم سنة ٥٤٢ هـ (٤١٠) ٢٩ يونيو ١١٤٧ م ، وعاد نور الدين الى حلب يوم الاربعاء .

ونعتقد أن زواج نور الدين من ابنة معين الدين انر كان اولى ثمراته هذا التقارب — وان كان اضطراريا — بين نور الدين ومعين الدين حتى حاربا معا ولأول مرة جيشا واحدا فى مجابهة الفرنج .

ومع ذلك فان انر الذى لم يكن تخفى عليه اطماع نور الدين من وراء زواجه بابنته كان يعمل جاهدا للحفاظ على دمشق لتكون خالصة لسلطانه فكف جنوده عن تتبع الفرنج راميا من وراء ذلك الى افهام نور الدين من طرف خفى بأن الفرنج لا يزالون قوة لا يستهان بها (٤١١) ،

---

(٤٠٧) ابن القلانسى : نفس المصدر ص ٢٩٠ .

(٤٠٨) Stevenson, The crusaders in the East, P. 158.

(٤٠٩) Runciman, A history of the crusades, Voll 2, P. 242.

(٤١٠) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨٩ .

(٤١١) حسن حبشى : نور الدين والصليبيون ص ٤٧ .

لا ينفى ذلك هزيمتهم فى معركة وليوهمه أن له أصدقاء أقوياء يستطيع اللجوء اليهم عند الضرورة ليجدد حلفة معهم ، هذا اذا ما فكر نور الدين فى النيل من دمشق ، ولم ينجح الفرنج فى عقد هدنة يتمكنون خلالها من دفن قتلاهم مما عرضهم فى رحلة عودتهم الى الكثير من المخاطر : فالزاد فى أيديهم قليل والعصابات المتربصة بهم على طول الطريق ، وما ذلك الا بسبب عدم تقرير نور الدين لهذه الهدنة ، ولو ترك الأمر الى انر وحده لقرر ذلك حتى يفتح باب المصالحة مع الفرنج الذى كان يحرص عليه على الدوام .

وفى الحملة الصليبية الثانية سنة ٥٤٣ هـ / ١١٤٩ م (٤١٢) التى استقر رايها على التوجه الى دمشق حليفة الفرنج بدلا من الاتجاه الى حرب نور الدين كما اشار ريموندى بواتييه صاحب انطاكية على قادة الحملة ، لم كن امام انر غير نور الدين محمود وغير أخيه سيف الدين غازى وان كان قد مال الى الاستنجاد بسيف الدين غازى دون نور الدين محمود حيث لم يكن يحب أن يقترب منه نور الدين محمود بما يمثله من خطر عليه .

وجاءه سيف الدين غازى وبرفقته نور الدين محمود الذى لم يكن يجعل فرصة كهذه تفوته ، ووصلت رسالته الى انر : « قد حضرت ومعى كل من يحمل السلاح فى بلادى واريد أن يكون نوابى بمدينة دمشق لأحضر والقى الفرنج ، فان انهزمت دخلت أنا وعسكرى البلد واحتميت به ، وان ظفرنا فالبلد لكم لا ينازعكم فيه أحد » (٤١٣) .

---

(٤١٢) كان قادة هذه الحملة كونراد الثالث ملك المانيا Conrad III ولويس السابع Louis VII ملك فرنسا ، وروجر الثانى Roger II ملك صقلية .

(٤١٣) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ١١٣ .

وهكذا وضع نور الدين محمود معين الدين أنر أمام الأمر الواقع مع انه لم يكن يريد الدخول فى حرب مع الفرنج ، بل كان يقصد فقط التلويح لهم بقوة نور الدين محمود وأخيه سيف الدين غازى ، ولذلك فقد أرسل الى الفرنج يقول لهم : « ان ملك الشرق قد حضر ، فان رحلتم ، والا سلمت البلد اليه ، وحينئذ تندمون » (٤١٤) .

وليس هنا المجال للدخول فى تفاصيل الحملة الصليبية الثانية ، ولكن الذى يهمنا هو معرفة نتائجها ، وهى بالنظر الى ما أسفرت عنه قد فشلت فشلا ذريعا ، ولم تحقق هدفها بالاستيلاء على دمشق (٤١٥) .

هذا ، وقد أرسل نور الدين — فيما بعد — الى معين الدين أنر يطلب منه سرعة انجاده بجيش دمشقى حيث ان الفرنج بقيادة صاحب انطاكية راحوا يعيثون فسادا فى نواحى حلب ، فلم يجد معين الدين انر أمامه من سبيل غير ارسال ما طلبه منه نور الدين حيث سبق لنور الدين ان هب لنجدته من قبل ، واصبح الأمر الآن يمثل دينا فى عنق انر يجب عليه أن يؤديه (٤١٦) ، فأرسل أنر اليه جيشا دمشقيا بقيادة مجاهد الدين بزان بن مامين (٤١٧) فى العشر الأول من صفر سنة ٥٤٤ هـ (٤١٨)/ ١٠ — ١٩ يونيو ١١٤٩ م (٤١٩) .

واستطاع جيش نور الدين محمود ، ومن وصل اليه من جنود

---

(٤١٤) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ١١٣ .

(٤١٥) Cox : The crusades, P. 91.

(٤١٦) Stevenson, The crusaders in the East, P. 165.

(٤١٧) وهو الذى تولى صرخد من قبله سنة ٥٤٢ هـ . أبو شامة : الروضتين جـ ١ ق ١ ص ١٤٩ .

(٤١٨) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٣٠٤ .

(٤١٩) Gibb, The Damascus chronicle, P. 165.

دمشق تحقيق النصر على الفرنج ، وقتل الأمير ريموند صاحب انطاكيـة فى هذه المعركة (٤٢٠) ، وقد حملت راس ريموند هذا فى طبق من الفضة - هدية من نور الدين - الى الخليفة العباسى فى بغداد .

وتوفى بعد ذلك معين الدين انر فى ٢٣ ربيع الآخر سنة ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م ، وتوالت الأحداث بعد ذلك فسقطت دمشـق فى يد نور الدين محمود فى النهاية ، وذلك فى ١٠ صفر سنة ٥٤٩ هـ (٤٢١) / ٢٥ ابريل ١١٥٤ م (٤٢٢) .

والحق ، أن زواج نور الدين محمود من ابنة معين الدين انر مثـل عاملا هاما من عوامل اقترابه من دمشق - مطمحه الأكبر - وكانت اولى ثماره ذلك التقارب بين الرجلين : نور الدين ومعين الدين ، وهو ما لم يحدث من قبل ، مما عرف - عن كثب - الراى العام الدمشـقى على نور الدين ، وكان الراى العام الدمشـــقى - بحق - قوة مؤثرة كبيرة اثرت فى وصول نور الدين الى مبتغاه .

---

(٤٢٠) Stevenson, The crusaders in the East, P. 181.

(٤٢١) ابن الأثير : التاريخ الباهر ص ١٠٧ .

(٤٢٢) Grousset, L'Epoppé des croisades, P. 181.

الفصل الرابع
الزواج السياسي في عهد الدولة الأيوبية
وحتى قيام دولة المماليك

أولا : الزواج السياسى فى عهد الدولة الأيوبية

(أ) الزواج السياسى فى عهد صلاح الدين

اهتم صلاح الدين بعد وفاة نور الدين محمود بالرأى العام المصرى والشامى على حد سواء (٤٢٣) ، ففى الناحية الشامية حاول أن يظهر فى الصورة ، فخطب للملك الصالح اسماعيل بن نور الدين محمود فى مصر ، وضرب فيها السكة باسم الملك الصغير (٤٢٤) ؛ وأرسل الى الصالح اسماعيل برسائل التعزية التى تبين فداحة الخطب بوفاة والده ، ويرى أن تستمر سياسة نور الدين التى اتخذها تجاه الفرنج فقال : « والأهم شغل الكفار عن هذه الديار كما كان عازما عليه من قصدهم والنكاية فيهم على البدار » (٤٢٥) .

وكان خلفاء نور الدين كأنما اجتمعوا على تشتيت دولته ، وتفتيت وحدتها بعد أن أمضى حياته مجاهدا فى سبيل بناء تلك الدولة ، واستغل عمورى صاحب بيت المقدس ذلك لاسترداد بانياس (٤٢٦) ، وساوم خلفاء نور الدين الفرنج ، ووقعوا معهم هدنة .

واهتم صلاح الدين فى أثناء ذلك بمخاطبة الرأى العام فراسل جماعة من الأعيان ينكر ذلك ، وكان من تلك المخاطبات خطاب الى الشيخ شرف الدين بن أبى عصرون يبين فيه أنه — أى صلاح الدين — اهتم بقصد الفرنج بانياس وانه خرج لتأديبهم « ثم جاءه الخبر بالهدنة المؤذنة

---

(٤٢٣) انظر فى ذلك كتابنا : قيام الدولة الأيوبية فى مصر والشام .

(٤٢٤) أبو شامة : الروضتين جـ ١ ق ٢ ص ٥٨٨ وانظر :
BROKELMAN,History of Islamic people, P. 226.

(٤٢٥) أبو شامة : نفس المصدر جـ ١ ق ٢ ص ٥٨٦ .

(٤٢٦) Stevenson, The crusaders in the East, P.213.

بذل الاسلام من دفع العطب عنه ، واطلاق الأسارى » ثم قال له : « وسيدنا الشيخ أول من جرد لسانه الذى تغمد له السيوف وتجرد ، وقام فى سبيل الله قيام من يقظ عادية من تعدى وتمرد » (٤٢٧) .

كما ارسل خطابا الى الأوصياء على الملك الصالح اسماعيل باشارة القاضى الفاضل وكلماته جاء فيه : « ان الملك العادل « نور الدين » لو علم أن فيكم من يقوم مقامى أو يثق اليه مثل ثقتى به يسلم اليه مصر التى هى أعظم ممالكه وولاياته ، ولو لم يعمل عليه الموت لم يعهد الى احد بتربية ولده ، والقيام بخدمته سواى ، واراكم قد تفردتم بخدمة مولاى وابن مولاى دونى ، فسوف اصل الى خدمته ، واجازى انعام والده بخدمة يظهر اثرها ، واقابل كلا منكم على سوء صنيعه ، واهمال امر الملك الصالح ومصالحه حتى اخذت بلاده » (٤٢٨) .

وهكذا ظهر صلاح الدين بمظهر المدافع عن حوزة الاسلام ، وعن مولاه وابن مولاه لدى الأمراء والأوصياء والعلماء والفقهاء وأمام الرأى العام (٤٢٩) .

ولما راى اهل دمشق أن العدو قد استفحل شأنه ، وأن الصالح اسماعيل طفل لا ينهض بأعباء الملك كاتبوا صلاح الدين « فطار اليهم » ، فخرج اليه اهل الدولة وسلموا اليه المدينة .

ومنذ وطئت قدما صلاح الدين بدمشق عمل على اكتساب الرأى العام لتأييده ، وتأييد تحركاته ، وفى سبيل ذلك « نشر علم العدل والاحسان ، وعفى آثار الظلم والعدوان ، وابطل ما كان الولاة استجدوه

---

(٤٢٧) ابو شامة : نفس المصدر ج ١ ق ٢ ص ٥٨٩ .
(٤٢٨) ابو شامة : الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٥٨١ .
(٤٢٩) محمد حلمى أحمد : مصر والشام والصليبيون ، وانظر :
Lane – Poole, Saladin, p. 137.

بعد موت نور الدين من القبائح والمنكرات ، والمؤن والضرائب والمحرمات » (٤٣٠) .

وظل الأمر فى حلب يحتاج من صلاح الدين الى العمل على اسقاط الحكم القائم فيها ، فتوجه الى حلب فى جمادى الآخرة سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م ، وحصرها ثم رفع الحصار عنها (٤٣١) اكتسابا للراي العام الحلبى ؛ كما حاصر صلاح الدين حلب مرة أخرى فى منتصف ذى الحجة من هذه السنة ، وأوشك على الاستيلاء عليها ، فأخرج القائمون على أمر حلب ابنة صغيرة لنور الدين محمود تطلب منه الكف عن محاربة حلب ، وان يهبها قنعة اعزاز على بعد خمسة عشر ميلا من حلب فوافق صلاح الدين على طلبها .

ونجح صلاح الدين أمام الرأى العام الشامى مرة أخرى حينما رعى ما كان لنور الدين فى عنقه ، وأراد صلاح الدين أن يأخذ دور الوريث الشرعى لنور الدين محمود ، فتزوج من الخاتون عصمة الدين بنت الأمير معين الدين أنر وأرملة الملك العادل نور الدين محمود ، والتى كانت بقلعة دمشق (٤٣٢) ، وان ادعى أنه تزوجها لاعتبارات انسانية « حفظا لحرمتها ، وصيانتها وعصمتها » (٤٣٣) .

ولعل زواج صلاح الدين من هذه السيدة كان عاملا من العوامل التى قربت صلاح الدين الى الرأى العام الذى كان فعلا قد بدىء فى النظر اليه كوريث شرعى للملك العادل نور الدين محمود .

---

(٤٣٠) ابو شامة : الروضتين جـ ١ ق ٢ ص ٦٠٢ .
(٤٣١) ابن الأثير : الكامل جـ ٩ ص ١٣٧ ، أبو الفدا : المختصر جـ ٣ ص ٥٨ وانظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٧ ص ١٦٨
(٤٣٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ٧٦ .
(٤٣٣) أبو المحاسن : نفس المصدر جـ ٦ ص ٧٨ ، ابن الأثير : الكامل جـ ٩ ص ١٤٠ .

وقد وصفت هذه السيدة بأنها كانت من أعف الناس وأكرمهن (٤٣٤)، وتوفيت الخاتون عصمة الدين زوجة صلاح الدين فى شهر رجب سنة ٥٨١ هـ/١١٨٥ م ، وكان صلاح الدين آنذاك مريضا فى حران فحزن عليها ، وتزايد مرضه لموتها .

وقد تولد عن زواج صلاح الدين من الخاتون عصمة الدين زواج آخر هو زواج سعد الدين مسعود بن أنر أخى الخاتون عصمة الدين ، والذى كان من أكابر الأمراء من ربيعة خاتون أخت صلاح الدين (٤٣٥).

وتزوجت ربيعة خاتون بعد وفاة سعد الدين مسعود فى سنة ٥٨١ هـ/١١٨٥ م (٤٣٦) من مظفر الدين كوكبورى ابن زين الدين صاحب اربل الذى ناصر صلاح الدين فى حربه ضد الصليبيين ، وكان يرافق صلاح الدين فى كل حملة ، ويشترك معه فى كل معركة ، اثناء محاولات صلاح الدين لتصفية الساحل الشامى من الصليبيين (٤٧٣) ، كما شارك بجحافله وعسكره فى اثناء المصاف على عكا مع غيره من الأمراء سنة ٥٨٥ هـ/١١٨٩ م .

وكان صلاح الدين يعرف قيمة هذا الأمير كما جاء ذلك فى منشور توليته اربل بعد وفاة اخيه زين الدين سنة ٥٨٦ هـ/١١٩٠ م حيث جاء فى

---

(٤٣٤) أبو المحاسن : نفس المصدر جـ ٦ ص٩٩ .

(٤٣٥) ابو المحاسن : نفس المصدر جـ ٦ ص٩٩ .

(٤٣٦) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٥ ص ٥٤ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك مجلد ٥ جـ ١ ص ٢٥٥ ، وقد توفيت ربيعة خاتون فى شعبان سنة ٦٤٣ هـ ، وقد جاوزت الثمانين عاما ، وأدركت من محارمها الملوك من اخوتها واولادهم واولاد أولادهم اكثر من الخمسين ملكا غير محارمها من الملوك ، كانت اربل لزوجها المذكور والموصل لولدى بنتها اللذين تغلب عليهما بدر الدين لؤلؤ .... الخ . انظر مفرج الكروب جـ ٥ ص ٦٢ .

(٤٣٧) عبد القادر طليمات : مظفر الدين كوكبورى ص ١٥٩ .

هذا المنشور : « وهذه اربل من انعام البيت الأتابكى على البيت الزينبى منذ سبعين عاما ، لم يحلوا لعقد انعامهم بها نظاما ، ولم يزيدوا احكامه الا احكاما وابراما ، وما راى أن يخرج هذا الموضوع منهم ، وأن يصدف به عنهم ، والأمير الأجل مظفر الدين كبين البيت وحاميه ، والمقدم فى الولاية بمقتضى وصية ابيه ، وقد آن ان ينهض ليسد مسد أخيه » وقد اذاع المنشور فى كافة البلاد الاسلامية ، ليعلم المجاورون لاربل أن مظفر الدين هو من أمرائه ، وان اربل ما زالت جزءا من دولته (٤٣٨) .

وقد ولدت ربيعة خاتون لمظفر الدين ابنتين تزوج احداهما الملك القاهر عز الدين مسعود بن الب ارسلان شاه صاحب الموصل فولدت له ابنين ؛ والأخرى تزوجها اخوه عماد الدين زنكى .

هذا ، وكان مظفر الدين كوكبورى يلقب بالملك المعظم ، ولما مات لم يكن له ولد يخلفه فى الملك ، فأوصى بتسليم البلاد الى الخليفة المستنصر بالله أمير المؤمنين (٤٣٩) .

وقد تم زواج آخر فى عهد صلاح الدين وهو زواج محمد بن أسد الدين شيركوه ابن عم السلطان صلاح الدين والذى كان يدعى انه احق بالملك من صلاح الدين ، وقد زوجه صلاح الدين من اخته ست الشام بنت أيوب ، وربما كان من دوافع صلاح الدين لتزويجه اياها ، اتقاء شره حيث قيل ان السلطان صلاح الدين كان يخاف (٤٤٠) . ويبدو أن ذلك الزواج لم يكن كافيا للقضاء على طموحات محمد بن شيركوه الى

---

(٤٣٨) عبد القادر طليمات : نفس المصدر ص ٩٠ ، ٩١ ولمعرفة دور أمير اربل هذا مع صلاح الدين انظر كتابنا : قيام الدولة الأيوبية فى مصر والشام .

(٤٣٩) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٥ ص ٤٩ ، ٥٠ .

(٤٤٠) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ٩٩ ، ١٠٠ .

ان انتهى الأمر بموته فى حمص ســـنة ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م فى يوم عرفة ، وتناثر لحمة وقيل انه مات مسموما ؛ وقد ابقى صلاح الدين على ابن محمد ابن أسد الدين شيركوه والمسمى بشــيركوه ما كان بيد والده : ين‌مص وتدمر والرحبة وسلمية ، وخلع عليه ، وكتب منشـــورا بذلك ، كما امر صلاح الدين بتوزيع تركة محمد بن شيركوه التى بلغت مليونا من الدنانير بين ابنه شيركوه واخته سفرى خاتون وزوجته ســـت الشام (اخت صلاح الدين) (٤٤١) .

وهكذا رأينا عصر صلاح الدين حافلا بالكثير من الزيجات السياسية التى كان من أهم اهدافها توطيد اقدام صلاح الدين وتأمين دولته .

* * *

(٤٤١) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ١٠١ .

« مشروع زواج إسلامى صليبى »

دارت محادثات الصلح بين المسلمين والصليبيين الذين جاءوا فى الحملة الصليبية الثالثة (٤٤٢) بغية استرداد بيت المقدس من المسلمين (٤٤٣) ؛ وكان اجراء الصلح فى حد ذاته يعتبر اعلانا صريحا لفشل الحملة الثالثة فى تحقيق أهدافها الرئيسية (٤٤٤) ، كما كان يعتبر انتصارا لصلاح الدين ، وذلك فى ظل المتغيرات التى حدثت فى انجلترا والتى باتت تهدد مستقبل ريتشارد ملك الانجليز .

وكانت تلك الفترة التى تلت استيلاء الصليبيين على عكا (٤٤٥) مباراة فى فن القيادة وفنون الحرب بين ريتشارد وبين صلاح الدين ، فقد وجه صلاح الدين جل همه لتحصين بيت المقدس الذى كان استيلاؤه عليه يعتبر أكبر ما حققه من انتصار مجيد (٤٤٦) ، وهيأ صلاح الدين نفسه

---

(٤٤٢) قاد هذه الحملة ريتشارد قلب الأسد ، وفيليب أغسطس وفردريك بارباروسا

Documents of Medieval history, P. 144 . BARKER, The crusades. P. 66.

(٤٤٣) وكان صلاح الدين قد استرد مدينة بيت المقدس من الفرنج فى ٢٧ رجب سنة ٥٨٣ هـ/١١٨٧م . انظر كتابنا : قيام الدولة الأيوبية فى مصر والشام ص ١٤٠ .

(٤٤٤) BARKER, The crusades, P. 66 & H. IBRAHIM, History of Islamic cluture.

(٤٤٥) سلمت عكا للصليبيين بعد مقاومة عنيفة فى يوم الجمعة ١٧ جمادى الآخرة ٥٨٧ هـ/١١٩١ م ، وقد انتقم ريتشارد من الحامية التى استماتت فى الدفاع عنها ، فقتل من أسراها ثلاثة آلاف . ماجد / العلاقات بين الشرق والغرب ص ١٨٠ .

(٤٤٦) وكان من المناظر المؤثرة اشتراك السلطان واولاده والأمراء والقضاة والصوفية والزهاد فى حمل الحجارة فى القطائف على الخيول . ماجد / العلاقات بين الشرق والغرب ص ١٨٢ .

— فى حالة سير ريتشارد الى بيت المقدس — الى قطع طريق اتصاله بالبحر لتنقطع الصلة بذلك بينه وبين أسطوله الذى كان يؤازره ، وهذا — فى حد ذاته — كان يمثل خطرا كبيرا على قوات ريتشارد ، وكان ريتشارد على الجانب الآخر يدرك ذلك ويعمل على أن تكون له قاعدة قوية على الساحل .

وقد لجأ صلاح الدين كذلك الى السير بجزء من جيشه من الرماة الى عسقلان ، حيث قام بتدميرها عن آخرها برغم رخائها وسعة ثرواتها وذلك حتى يضمن الا يتحرك اليها ريتشارد ويقيم بها قاعدة تقطع عليه طريق اتصاله بمصر التى تعتبر المصدر الرئيسى لقوته الضاربة .

واحاطت الظروف السيئة بريتشارد آنذاك : من جيش ملّ الحرب (٤٤٧) ، وانشقاق من كونراد دى مونتفرات ، واضطراب فى جزيرة قبرس بعد وفاة ريتشارد كامفيل مما اضطره الى أن يبيع جزيرة قبرس للداويه (٤٤٨) .

فاذا أضيف الى ذلك غيبته التى طالت عن بلاده ، ووصول أنباء سيئة اليه بأن اخاه يحاول اغتصاب ملكه ، كما انه فى فتوحه بالشام لم يفتح الا مدن الساحل ، وكان من الصعوبة عليه بمكان اختراق خط دفاع صلاح الدين الى القدس (٤٤٩) .

---

(٤٤٧) فقد التمس عدد كبير من عساكره طريقهم راجعين الى عكا من يافا حيث كان يعسكر صلاح الدين ورفضوا أن يعودوا الى المعسكر ، مما اقتضى من ريتشارد نفسه أن يتوجه الى عكا وأن يجمعهم ويرجعهم الى معسكرهم . رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ج ٣ ص ١١٤ و Kerr, The crusades, P. 85,

(٤٤٨) رنسيمان : نفس المصدر ج ٣ ص ١١٥ .

(٤٤٩) ماجد : العلاقات بين الشرق والغرب ص ١٨٣ .

لكل ذلك ، لم يجد ريتشارد امامه من حل لكل تلك المشاكل الا بالدخول فى مفاوضات للصلح مع المسلمين فارسل همفرى سيدتبنين (٤٥٠) رسولا الى اللد الى الملك العادل اخى السلطان صلاح الدين يتحدث معه فى شان هدنة بين الصليبيين والمسلمين ، وان اشترط حصوله على بيت المقدس والاقليم الواقع غربى نهر الأردن واستعادة صليب الصلبوت.

وارسل الملك العادل الى اخيه السلطان يخبره بما عرضه ريتشارد، فرد صلاح الدين بحزم أن بيت المقدس مدينة مقدسة عند المسلمين كما هى عند المسيحيين ، وبعدم قبوله باعادة صليب الصلبوت الا بعد الحصول على بعض الامتيازات .

وراسل ريتشارد الملك العادل بعد أن وصلته اجابات صلاح الدين يبدى اعجابه بالعادل ، ويقترح عليه أن يزوجه اخته جوانا (٤٥١) ارملة ملك صقلية السابق غليوم على ان يخصها ريتشارد بكل ما فتحه من المدن الساحلية بما فيه مدينة عسقلان ، وعلى انه ينبغى للعروسين أن يقيما فى بيت المقدس التى لابد أن يتيسر للمسيحيين التردد عليها ، كما انه لابد من اعادة صليب الصلبوت ، واطلاق الأسرى من الجانبين ، وان ترد للداوية والاسبتارية ممتلكاتهم بفلسطين (٤٢٥) .

وارسل الملك العادل الذى اخذ الأمر مأخذ الجد وكان شخصيا راغبا

---

(٤٥٠) وكان خير من يجيد التحدث بالعربية من الصليبيين .

(٤٥١) BARKER, The crusades, P. 65 & Stevenson, The crusaders in the East,

وانظر ماجد : تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب ص ١٨٣ .

(٤٥٢) حتى : سوريا ولبنان وفلسطين ص ٢٤٠ و

AMIR Ali, A short history of the saracenes, P. 369, Stevenson, The crusaders... P. 278.

فيه (٤٥٣) ربما بسبب عامل الصداقة الحميمة التى كانت متبادلة بينه وبين ريتشارد (٤٥٤) ، أرسل الى اخيه السلطان يخبره بتلك المقترحات الصليبية الجديدة ، وقد وصف ابن شداد قصة ذلك حيث كان هو - اى ابن شداد - رسول العادل الى صلاح الدين فقال : « استدعانى الملك العادل فى صحبته ، واحضر جماعة من الأمراء : علم الدين سليمان ، وسابق نور الدين ، وعز الدين بن المقدم ، وحسام الدين بشارة ، وشرح لنا ما عاد به الرسول من الانكتار ، من الرسالة والكلام ، وذكر انه قد اراد ان يتزوج الملك العادل باخت الانكتار ، وكان قد اصطحبها معه من صقلية ، فانها كانت زوجة صاحبها ومات ، فأخذها أخوها لما اجتاز بصقلية ، فاستقرت القاعدة على أن يكون مستقر ملكها « القدس » وأن أخاها يعطيها بلاد الساحل التى بيده من عكا الى يافا وعسقلان ، الى غير ذلك كمهر لها ، ويجعلها ملكة الساحل ، ويجعله ملك الساحل ، ويكون ذلك مضافا الى ما فى يده من البلاد والاقطاع ، وان يسلم اليه صليب الصلبوت ، وتكون القرى للداوية والاسبتار والحصون لهما ، واسرانا تفك أسراهم وكذلك أسراهم ، وأن الصلح يستقر على هذه القاعدة ، ويرحل الانكتار طالبا بلاده فى البحر ، وينفصل الأمر . هكذا ذكر رسول العادل عن الانكتار ، ولما عرف ذلك العادل بنى عليه ان استحضرناعنده ،وحملنا هذه الرسالة الى السلطان ، وجعلنى المتكلم فيها ، والجماعة يسمعون ، ونعرض عليه هذا الحديث ، فان استصوبه ورآه مصلحة للمسلمين شهدنا عليه بالاذن فى ذلك والرضا به ، وان اباه شهدنا عليه أن الحال فى الصلح قد انتهى الى هذه الغاية ، وانه هو الذى راى ابطاله » (٤٥٥) .

---

(٤٥٣) Stevenson, The crusaders in the East, P. 278.

(٤٥٤) Lane - Poole, Saladin, P. 329.

(٤٥٥) ابن شداد : النوادر السلطانية ص ٣١٦ ، ٣١٧ .

ويتبين من ذلك أن الملك العادل كان لا يرى بأسا فى ذلك الحل وأنه كان موافقا عليه — لما اسلفنا — ولأنه ومن وجهة نظره يمثل مصلحة للمسلمين ، حيث فيه ضمان لتوحيد المسلمين والصليبيين فى بلاد الشام تحت لواء واحد ، واقرار للأمور فى تلك البلاد على اساس من المحبة والمودة المتبادلة بين الطرفين (٤٥٦) ./

وقد وافق صلاح الدين على ذلك العرض حيث كان يعنى استعادة الأملاك الاسلامية وعودة ريتشارد الى بلاده ، ومعنى ذلك ببساطة شديدة الفشل التام لحملة الصليبيين الثالثة ؛ أما مسألة الداوية والاسبتارية فهذا امر يمكن تدبيره فى المستقبل القريب .

ويبدو أن العرض الصليبى بالنسبة لصلاح الدين قد ادهشه الى درجة انه لم يصدقه ، واعتقد انه مزيج « من المكر والهزل » ، ولكنه وافق عليه ، قال ابن شداد — رسول العادل الى صلاح الدين — : « فبادر الى الرضا بهذه القاعدة معتقدا أن الانكتار لا يوافق على ذلك أصلا ، فان هذا منه مكر وهزل » (٤٥٧) .

ويصف فيليب حتى ريتشارد فى عرضه هذا بأنه « وجدانى » (٣٥٨)، أما رنسيمان فيرى أن ريتشارد « ربما كان جادا فيما عرض » (٤٥٩) .

على اية حال ، فان جوانا ملكة صقلية السابقة رفضت ذلك الزواج على اساس انها لا ترضى بمسلم زوجا لها « وأنكرت ذلك انكارا عظيما،

---

(٤٥٦) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ٨٨٢ ، اضواء جديدة على الحروب الصليبية ص ٩٢ .

(٤٥٧) ابن شداد : النوادر السلطانية ص ٣١٧ ، ٣١٨ وانظر :
Stevenson, The crusaders in the East, P. 278.

(٤٥٨) حتى : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ص ٢٤٠ .

(٤٥٩) رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ج ٣ ص ١١٦ .

وحلفت بدينها المغلظ من يمينها انها لا تفعل ذلك » (٤٦٠) ؛ كما انكرته البابوية ، واعترض عليه القساوسة اعتراضا شديدا (٤٦١) .

ورأى ريتشارد انه اذا كان الاختلاف فى الدين هو السبب فى عدم اتمام ذلك الزواج ، فلا بأس اذا قبل الملك العادل أن يتنصر حتى يتم مثل هذا الزواج (٤٦٢) ؛ وما كان الملك العادل ليقبل مثل هذا الحل او يقبله صلاح الدين أو يرتضيه الرأى العام المسلم .

ورأى صلاح الدين من جهته القيام بمناورة سياسية فاستقبل كونراد الذى عرض على صلاح الدين ان يحصل على صيدا وبيروت وان ينشق على سائر الصليبيين وان تعود عكا الى المسلمين ، وان لم يبد استعداده لأن يشهر السلاح فى وجه ريتشارد (٤٦٣) .

على أن مشروع الزواج السياسى الذى كان يتبناه ريتشارد كان ما زال قائما اذا ما نجح ريتشارد فى اقناع البابا باجازة هذا الزواج ؛ واذا لم تقبل جوانا بعد ذلك بهذا الزواج فانه يمكنه تزويج العادل من البانور كونتيسه بريتانى ابنة أخت ريتشارد (٤٦٤) .

وفى النهاية ، فان موضوع ذلك الزواج السياسى الذى كانت اهدافه واضحة من الجانبين الصليبى والاسلامى أخفق ولم يتم (٤٦٥) .

---

(٤٦٠) ابن شداد : النوادر السلطانية ص ٣١٨ .
(٤٦١) أبو الفدا : المختصر ج ٣ ص ٨٠ .
(٤٦٢) Stevenson, The crusaders in the East, P. 278.
(٤٦٣) رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ج ٣ ص ١١٧ .
(٤٦٤) رنسيمان : نفس المصدر ج ٣ ص ١١٧ .
(٤٦٥) أبو الفدا : المختصر ج ٣ ص ٨٠ و
AMIR Ali, A short history of the saracenes, P. 369.

ولكن المفاوضات التى دارت بين الطرفين اسفرت عن صلح الرملة الشهير فى ٢٢ شعبان سنة ٥٨٨ هـ/١١٩٢ م (٤٦٦) الذى تقرر بمقتضاه ان تقسم مدينتى اللد والرملة بالتساوى ، وأن تخرب مدينة عسقلان ، التى كان ريتشـارد قد حصـنها وتصـبح منطقة منزوعة السـلاح No man's Land ، والسـماح لأعداد قليلة من النصارى بزيارة بيت المقـدس (٤٦٧) ./

* * *

(٤٦٦) محمد حلمى أحمد : مصر والشام والصليبيون ص ١٤٩ و
AMIR Ali, Ibid, P. 371 & BARKER, The crusades, P. 65.
Stevenson, The crusaders in the East, P. 286.

(٤٦٧) ماجد / العلاقات بين الشرق والغرب ص ١٨٣ — ١٨٤ و
BARKER, The crusades, P. 65,

(ب) الزواج السياسى بعد وفاة صلاح الدين

توفى صلاح الدين فى سنة ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م (٤٦٨) تاركا وراءه امبراطورية مترامية الأطراف تمتد من حدود تونس الى جبال ارمينيا (٤٦٩)، واختص ثلاثة من ابنائه الكبار بأهم أجزائها (٤٧٠) : العزيز عماد الدين عثمان فى الديار المصرية وما ينسب اليها ، والملك الأفضل نور الدين فى دمشق وما ينسب اليها ، والظاهر غياث الدين غازى فى حلب وبلادها ، وتركزت القوة لدى كل من الأفضل — الذى كان اكبر أولاد صلاح الدين — والملك العزيز بمصر (٤٧١) ، حيث كان لدى الأول جماعة كثيرة من أمراء الدولة ، ولدى الثانى جمهور العساكر من الصلاحية والأسدية والأكراد ، وان كان الملك العزيز أفضل من الأفضل لعظم الديار المصرية وكثرة غلاتها (٤٧٢) .

أما الملك العادل اخو صلاح الدين فكان نصيبه الكرك والشوبك والبلاد الشرقية ، ولم يكن ذلك الذى اختص به الملك العادل يتناسب مع قيمته ودوره الذى لعبه فى حياة أخيه صلاح الدين حيث كان اليد اليمنى له فى معاركه التى خاضها ، وكانت له مواقفه القوية التى تحققت

---

(٤٦٨) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ١٢٠ ، وكانت وفاته فى صفر ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م و

AMIR Ali, A short history of the saracenes, P. 372 &
BARKER, The crucades, P. 67.

(٤٦٩) Saunders, A history of Medieval Islam, P. 165.

(٤٧٠) AMIR Ali, A short history of the saracenes P. 374.

(٤٧١) وكان الملك العزيز أصغر من أخيه الملك غازى صاحب حلب واصغر من أخيه الأفضل صاحب دمشق ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ١٢١ .

(٤٧٢) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٣ ص ٥٠ و
AMIR Ali, Ibid, P. 374.

بها الانتصارات ، فقد أنتصر على السـودانيين الذين قاموا بحركة تمردية ضد صلاح الدين ، وتتبعهم الى النوبة ، كما حقق له النصر على ريموند دى شاتيون صاحب حصنى الكرك والشـوبك والذى اثار الكثير من المتاعب للمسلمين ، وهدد حتى بلاد الحجاز (٤٧٣) ، كمـا كان له دوره الكبير ضد الصليبيين فى الحملة الصليبية الثالثة ووقع عليه العبء الأكبر فى اجراء مفاوضات السلام التى انتهت بتوقيع صلح الرملة الشـهير ، تلك المفاوضات التى اقترح فيها ريتشـارد تزويج الملك العـادل من أميرة صليبية وان يكون ملكا على بيت المقدس وان لم يوضع هذا الاقتراح موضع التنفيـذ .

واذا اضيف الى ذلك ان أملاك الملك العادل كانت تكتنفها الأخطار من كل جانب ، فالأجزاء الشرقيـة تتهددها اخطار الأرمن وبعض الحركات المضادة فى بعض مناطق الجزيرة العراقيـة ، وعزلة حصـن الكرك الذى تحيط به الصحراء من كل جانب تقريبا ، مما يفصـلة عن كل ممتلكات العزيز والأفضل ، بالاضافة الى انه مقطوع الصلة عن ممتلكاته هو عند الطرف الشمالى لدجلة (٤٧٤) ، ادركنا الى اى مدى غمط صلاح الدين قدر أخيه ولم يكافئه بما يتناسب مع مكانته .

ولا غرو والحال كذلك أن العادل لم ينعم بالقناعة بنصيبه ، ومن ثم راح يتطلع الى ما فى ايدى ابناء اخيه .

والحق أن العادل كان فطنا ويتميز بقـدر كبير من الذكاء ، وكان يدرك بثاقب نظره — حتى فى حياة اخيه — مصير الامبراطورية الصلاحية، ومن ثم فقد بدأ للأمر سعيه بالعمل على نصب شباكه على ابناء اخيه ،

---

(٤٧٣) Grousset, Histoire des croisades, P. 307.

(٤٧٤) محمد حلمى احمد : مصر والشام والصليبيون ص ١٥٨ .

فزوج الظاهر بن صلاح الدين احدى بناته المعروفة بغازية خاتون وذلك فى سنة ٥٨٢ هـ (٤٧٥) /١١٨٥ م ، وقد عاشت غازية خاتون مع الظاهر حتى وفاتها فى سنة ٦٠١ هـ (٤٧٦) ./

وقد أتاحت الخلافات التى وقعت بعد وفاة صلاح الدين بين ولديه العزيز صاحب مصر والأفضل صاحب الشام (٤٧٨) فرصة التدخل العادل لصالحه هو ، وقد عرض الملك العادل على الملك العزيز انيزوجهابنته ، وكان هذا العرض فى هذا الوقت بالذات يمثل فرصة للعزيز ليتقوى بعمه ضد اخيه / وهكذا حظى العزيز بتاييد عمه ورعايته القوية له ، وفى نفس الوقت صار الملك العادل - بابرام ذلك الزواج - مسيطرا على ولدين من اولا أخيه هما العزيز صاحب مصر والظاهر غازى صاحب حلب .

وقد ندب الملك العزيز القاضى المرتضى محمد بن القاضى الحليس عبد العزيز السعدى وكيلا عنه فى تزويجه من ابنة عمه ، كما وكل الملك العادل القاضى محيى الدين ابا حامد ابن الشيخ شرف الدين بن ابى عصرون فى تزويج ابنته من ابن عمها الملك العزيز ، وكتب عماد الدين الكاتب الكتاب فى ثوب أطلس . وتم عقد الزواج فى حضور الملك الظاهر صاحب حلب (٤٧٩) . ومن واقع هذه الصلة تدخل العادل لاصلاح ذات البين بين الاخوة الثلاثة حيث كان الظاهر طرفا فى هذا النزاع بين اخويه

(٤٧٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٧ ص ١٧٤ .
(٤٧٦) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٣ ص ١٦٦ ، وقد انجبت من الظاهر ولدا سماه يوسف مات صغيرا ، ثم لم تلبث امه أن لحقت به .
(٤٧٧) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ١٢٠ .
(٤٧٨) أبو المحاسن : نفس المصدر جـ ٦ ص ١٢٠ و
AMIR Ali, A short history of the Saracenes, P. 375.
(٤٧٩) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٣ ص ٣٤ ، ٣٥ .

حينا ينحاز الى هذا وآنا ينحاز الى ذاك ، وكان تدخل العادل — كما دلت عليه النتائج — فى صالح ولدى أخيه صهريه حيث تنازل الأفضل عن القدس وبعض المناطق الفلسطينية التى تتصل بها للعزيز ، كما حمل الأفضل كذلك على أن يتنازل للظاهر عن اللاذقية وجبلة (٤٨٠) .

ولا شك أن العادل فى كل ذاك كان يعمل أولا لما فيه مصلحته هو ، حيث كان كل جهده لتصير اليه الأمور ويصبح هو صاحب السلطة .

ولم يكن غائبا عن فطنة بعض أولاد صلاح الدين ما يرمى اليه العادل من وراء التدخل بينهم ، فقد فطن الملك الظاهر غازى صاحب حلب بعد أن جبر الأفضل على الخروج من دمشق ليمتلكها عمه الملك العادل بمساعدة العزيز ، وتم منح الأفضل مدينة صرخد وقلعتها ليكون تحت رقابة العادل (٤٨١) ، فقال الظاهر غازى — صهر العادل — للأفضل : « أخرج عمنا من بيننا فانه لا يجىء علينا منه خير ، ونحن ندخل لك كل ما تريد ، وأنا أعرف به منك ، وأقرب اليه فانه عمى كما هو عمك ، وأنا زوج ابنته ، ولو علمت أنه يريد لنا خيرا لكنت أولى به منك » ، وبهذا يبدو أن الظاهر كان أكثر من أخويه فهما لما يقصده عمه (٤٨٢) . وقد فطن الأفضل الى ذلك ولكن بعد فوات الأوان ، فكتب الى الخليفة كتابا يشكو فيه اليه اغتصاب عمه وأخيه ميراثه من أبيه قال فيه :

مولاى ان أبا بكر وصاحبه
عثمان قد أخذا بالسيف ارث على (٤٨٣)
فانظر الى حظ هذا الاسم كيف لقى
من الأواخر ما لاقى من الأول

---

(٤٨٠) محمد حلمى أحمد : مصر والشام والصليبيون ص ١٦٢ .
(٤٨١) محمد حلمى أحمد : نفس المصدر ص ١٦٢ .
(٤٨٢) محمد حلمى أحمد : نفس المصدر ص ١٦٤ و
AMIR Ali, A short history of the Saracenes, P. 375.
(٤٨٣) أبو بكر هو الملك العادل ، والعزيز : عثمان ، والأفضل : على ، وفيه تلميح الى أول أمر الخلافة الاسلامية ، وان بدا هذا غريبا من ملك ينحدر من أسرة سنية متعصبة .

وقد أجابه الخليفة العباسى الناصر لدين الله يقول :

وافى كتابك يا ابن يوسف معلنا بالصدق ، يخبر أن أصلك طاهر
غصبوا عليا حقه اذ لم يكن بعد النبى له بيثرب ناصر
فاصبر ، فان غدا عليه حسابهم وابشر ، فناصرك الامام الناصر (٤٨٤)

ولعل موقف الظاهر غازى هذا كان سببا فى رفض الملك العادل تزويجه من ابنته ضيفة خاتون (٤٨٥) بعد وفاة غازية خاتون ابنته الأخرى — وزوجة الظاهر غازى — ولكنه وافق بعد ذلك فى سنة ٦٠٨ هـ / ١٢١١ — ١٢١٢ م على تزويجه اياها بعد أن استعطفه الظاهر واسترضاه وطلب منه أن يجدد له اليمين على بلاده ، وتوسط فى ذلك بهاء الدين ابن شداد عالم حلب والوزير السابق لصلاح الدين .

وكانت ضيفة خاتون أعز بنات العادل عليه ، وكان يضن بتزويجها على الكثير من الملوك ، وتم توقيع عقد الزواج فى الحادى عشر من المحرم سنة ٦٠٩ هـ / ١٢١٢ م فى دمشق ، وناب عن الملك العادل فى توقيع العقد شمس الدين بن التنبى ، بينما كان القاضى بهاء الدين هو وكيل الملك الظاهر ، وتم الزواج على صداق قدره خمسون الف دينار .

وكان وصول ضيفة خاتون الى حلب يوما مشهودا التقاها فيه الملك الظاهر فى أمراء حلب ومشايخها وأكابرها ، وقد وصف ابن واصل قدوم ضيفة خاتون فقال : « وقدم معها من الآلات وأنواع المصاغ ما يحمله

---

(٤٨٤) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٣ ص ٦٩ .

(٤٨٥) ضيفة خاتون بنت الملك العادل ولدت فى سنة ٥٨١ هـ ، أو ٥٨٢ هـ بقلعة حلب حيث كان أبوها ملكا لحلب ، وكان عند أبيها ضيف فسماها أبوها ضيفة ، وقد عمرت حتى سنة ٦٤١ هـ / ١٢٤٣ م بعد وفاة ابنها الملك العزيز الصغير ابن الظاهر . العينى : السيف المهند ص ١٩٩ ، ومصر والشام والصليبيون ص ١٦٧ .

(٤٨٦) أبو الفدا : المختصر جـ ٣ ص ١١٤ .

خمسون بغلا ، ومائة بختى ، وثلاثمائة جمل ، ومن الجوارى والوصائف والاماء والحرائر فى المحاير والكجاوات ما يحملهن مائة جمل ، وذكر انه كان فى خدمتها « مائة جارية ، كلهن مطربات يلعبن بأنواع الملاهى ، ومائة جارية اخرى كلهن يعملن انواع الصنائع البديعة » (٤٨٧) .

وكان الملك الظاهر غازى يعرف قيمة هذا الزواج بالنسبة له ، ويعرف ما لزوجته من قدر ، فقام ومشى اليها عدة خطوات ، واحترمها احتراما عظيما ، وقدم لها خمسة عقود جوهر تقدر بمائة وخمسين الف درهم ، وعصابة مجوهرة ليس لها نظير ، وعشر قلائد من العنبر المذهب، وخمسا غير مذهبة ، ومائة وسبعين قطعة من الذهب والفضة ، وعشرين تختا من الثياب المختلفة الألوان ، وعشرين جارية ، وعشر خدم ، وقد انجب الظاهر من هذه السيدة ابنه محمدا ولقبه بالملك العزيز غياث الدين فى ٥ ذى الحجة سنة ٦١٠ هـ / ١٢١٤ م ، وقد عرف الناس كذلك قيمة هذا الزواج ، وأدركوا بحسهم أنه زواج سياسى فقال شرف الدين راجح الحلى يهنىء الملك الظاهر :

نعم هى نعمى بشرها أوضح البشرى فما عذر من لم يخترع مدحه عذرا
سما قدر هذا اليوم عن موقف به نصوغ حلى النظم أو ننظم النثرا

ويقول :

هى الآية الكبرى فياعى مادح ولو نظم الشعرى لأمثالها شعرا
ومذ نشر اليوم الأغر رداءه نشرنا على أعطافه المدح الغرا

ثم يقول موجها الحديث الى الملك الظاهر موضحا فيه مدى المنفعة المتبادلة :

فقم دون ملك عادلى حميته مواقع كيد القوم ، واشدد به أزرا

---

(٤٨٧) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٣ ص ٢١٤ .

فبالأمس قد أوليتـــه ما كفيتـــه بة الخطب اذ اصليت أفئدة جمرا
ولاســـيما اضـــفى ظـــلال ولاية واصفى كما أصفيته السر والجهرا
وما زال يدعوه الى الرشد سـعده الى أن اقر الملك وانتخب الصهرا
فلو رمت مصرا لاصطفاك بملكها لأنك لما شئت أخلى لك القصرا (٤٨٨)

ورغم أن الملك الظاهر غازى صاحب حلب ظل طـول فترة امارته لحلب قلقا مترقبا ما قد يصيبه من جهة عمـــه رغم مصاهرته اياه فى ابنتين من بناته (٤٨٩) ، فقد كان يدرك رغم ذلك ما عنته تلك المصاهرة بالنسبة لاستقرار ملكه ، ولذلك كان حريصا قبل وفاته ان يأخذ موافقة عمه على أن يكون الملك العزيز محمد ولى العهد بعده قائما بملك حلب وبلادها بعده على أن يتزوج من فاطمة خاتون ابنة الملك الكامل بن العادل.

ووسط لذلك ايضا القاضى بهاء الدين بن شداد ، وسيره الى مصر من اجل انجاز هذه المهمة . فوافق العادل على أن يئول ملك حلب الى العزيز محمد بعد أبيه الملك الظاهر (٤٩٠) ، أما فيما يتعلق بالزواج فقال للقاضى بهاء الدين : « فاجتمعت بالسلطان الملك الكامل وخاطبته فيـه ، فأجابنى اليه ، وأخذت يده على ذلك » (٤٩١) .

وتم هذا الزواج فعلا فى عهد الملك الكامل فى سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩م

---

(٤٨٨) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٣ ص ٢١٤ ، ٢١٥ .
(٤٨٩) محمد حلمى أحمد : مصر والشام والصليبيون ص ١٦٨ ، ١٦٩ .
(٤٩٠) وقد توفى الملك الظاهر فى ٢٣ جمادى الآخرة سنة ٦١٣ هـ ، وقد آل ملك حلب بعد وفاة العزيز محمد الى ضيفة خاتون التى تصرفت فى الملك تصرف السلاطين وقامت بالملك أحسن قيام وتملكت ست سنين ، وتوفيت عن عمر يناهز تسع وخمسـين سـنة وآل ملك حلب بعدها الى حفيدها الملك الناصر يوسف بن الملك العزيز . ابو الفدا : المختصر جـ ٣ ص ١٧١ ، ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٩ ص ٣١٣ .
(٤٩١) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٣ ص ٢٣٧ .

عندما كان الملك لدمشق لأخذها من الناصر داود بن المعظم حيث ارسل الملك العزيز من حلب - لاتمام تلك الوصلة بينه وبين الكامل - القاضى بهاء الدين بن شداد وفى ركابه اكابر حلب وعدولها ، وتم عقد الزواج فى مسجدخاتون بظاهر دمشق على صداق قدره خمسون الف دينار ، وناب عن الكامل فى كتابة العقد الأمير عماد الدين بن شيخ الشيوخ فى حين ناب القاضى بهاء الدين بن شداد عن الملك العزيز ، وقد حمل الى الملك الكامل - لتوثيق هذه الصلة - بالاضافة الى المهر « الجوارى والخدم والدراهم والمتاع » (٤٩٢) .

هذا ، وقد تم فى عهد الملك الكامل كذلك زواج الملك المنصور صاحب حماه من ابنة العادل ملكة خاتون ، وتم ذلك فى سنة ٥٩٦ هـ / ١٢٠٠ م بعد أن كان المنصور صاحب حماه انحاز الى جانب أخويه الظاهر والأفضل فى صراعهما مع عمهما الملك العادل ، ذلك الصراع الذى انتهى بانتصار العادل حتى غدا صاحب الديار المصرية ودمشق والشرق (٤٩٣) ، حيث أرسل الملك المنصور الى عمه رسولا هو زين الدين المعروف بالهيطلية يحمل اليه كتابا ، فتلقى العادل رسول المنصور بالترحيب ، وأمر كاتب انشائه أن يكتب الى الملك المنصور جواب كتابه ، فكتب الكاتب اليه كتابا فيه عتاب وجفاء ، فلم يقبل العادل ذلك وقال : « ما يحسن أن يخاطب المولى المنصور بمثل هذا الخطاب اكتب اليه :

اتظنني من جفوة اتعتب	قلبى عليك أرق مما تحسب
لا يوحشنك ما جنيت فتنثنى	متجنبا وهواك لا يتجنب
ما أنت الا مهجتى وهى التى	أحيا بها ، فترى عليها اغضب
أنت البرىء من الاساءة كلها	ولك الرضا وانا المسىء المذنب

---

(٤٩٢) ابن واصل : نفس المرجع جـ ٣ ص ٢٥٥ وابو الفدا : المختصر جـ ٣ ص ١٤٢ .

(٤٩٣) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك مجلد ٤ جـ ٣ ص ١٧٩ .

ولعل موقف العادل هذا من المنصور لأنه اعتبر أن ما أتاه المنصور كان الزلة الوحيدة التى ارتكبها وأنه كان له من المواقف ما يمحو أثر تلك الزلة ، وقد قيل أن العادل قال : هذا المولى الولد الملك المنصور ، ان كانت قد صدرت منه هذه الزلة الواحدة ، فله من الحسنات الكثيرة ما تمحوها وتمحضها .

واذا الحبيب اتى بذنب واحد جاءت محاسنه بألف شفيع (٤٩٤)

ولا شك أن هذا الزواج كان له أهدافه السياسية الظاهرة على الناحيتين من كل من الملك المنصور والملك العادل ، فالعادل يستقطبه بعيدا عن محور المعادين له « الأفضل والظاهر » ، ولتكون حماه نقطة انطلاق له الى حلب المجاورة ، والمنصور يحاول تأمين ممتلكاته من أطماع العادل . وقد آتت سياسة العادل - فى هذا الصدد - ثمارها فى سنة ٥٩٨ هـ / ١٢٠٢ م حين توجه العادل بعساكره الى حماه حيث تلقاه الملك المنصور بالترحيب وقام « بجميع وظائفه وكلفه وما يحتاج اليه » (٤٩٥) ، واستشعر الظاهر صاحب حلب الخطر من وجود العادل فى حماه ، رغم انه عمل على تجميع قواه فى حلب لمواجهة الخطر العادلى، الا انه راسل عمه وعمل على مصالحته ، وكان هذا ما يريده الملك العادل فتم الصلح بينهما ، واستقر الأمر على أن قررت منبج (٤٩٦) وأفامية (٤٩٧)

---

(٤٩٤) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٣ ص ١١٣ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك مجلد ٤ جـ ٢ ص ١٧٩ .

(٤٩٥) ابن واصل : نفس المرجع جـ ٣ ص ١٣٢ ، ابن الفرات : نفس المصدر مجلد ٤ جـ ٢ ص ٢٢٦ .

(٤٩٦) منبج : احدى بلاد الشام بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ وبينها وبين حلب عشرة فراسخ . ياقوت : معجم البلدان جـ ٥ ص ٢٠٦ ، أبو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٧١ .

(٤٩٧) افامية : مدينة وكورة من سواحل حمص ، ويقال لها فامية . ياقوت : المشترك ص ٣٢٩ ، أبو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٦٣ .

وكفر طاب (٤٩٨) فى يد الملك الظاهر ، وانتزعت منه من هذا الاقطاع مفردات المعرة وهى خمس وعشرون ضيعة ، وسلمت الى الملك المنصور صاحب حماه .

وهكذا أثمر التقارب بين الملك العادل والملك المنصور الفائدة المتبادلة، وكان هذا أيذانا فى نفس الوقت باستقرار الأمور بين الملوك الأيوبيين (٤٩٩) .

ولم تغب عن فطنة الشعب أهداف العادل فى دولة صلاح الدين ، ولم ترض تصرفاته تلك الراى العام الذى حنق عليه ، وفى ذلك يقول أبو المحاسن : « وكان العادل قد اوقع الله تعالى بغضته فى قلوب رعاياه ، والمخامرة عليه فى قلوب جنده ، وعملوا فى قتله أصنافا من الحيل الدقيقة مرات كثيرة ، وعندما يقال ان الحيلة تمت تنفسخ وتنكشف وتحسم موادها ، ولولا أولاده يتولون بلاده لما ثبت ملكه ، بخلاف أخيه صلاح الدين فانه انما حفظ ملكه بالمحبة له وحسن الطاعة ، ولم يكن ـ رحمه الله ـ بالمنزلة المكروهة ، وانما كان الناس قد لفوا دولة صلاح الدين وأولاده ، فتغيرت عليهم العادة دفعة واحدة » (٥٠٠) .

ويتحدث العينى عن مبلغ نجاح سياسة الملك العادل حيث يقول : « وقد كانت ممالكه ممهدة من أقصى بلاد مصر واليمن والشام والجزيرة الى همذان ، أخذها كلها بعد أخيه السلطان صلاح الدين ، سوى حلب فانه

---

(٤٩٨) كفرطاب : بلدة صغيرة كالقرية قليلة الماء ، وهى قاعدة ذات ولاية ولها عمل على الطريق بين المعرة وشيزر . أبو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٦٣ .

(٤٩٩) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك مجلد ٤ جـ ٢ ص ٢٢٧ .

(٥٠٠) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ١٩٩ .

امرها بيد ابن اخيه الظاهر غازى بن صلاح الدين كان زوج ابنته الست صفية خاتون » (٥٠١) .

وعلى الجملة كان للزواج السياسى شـــانه فى تقرير الأمور لبعض أولاد صـــلاح الدين ليئول تقرير الأمور جميعهـــا فى النهاية للملك العادل ليصبح سلطانا لدولة الأيوبيين (٥٠٢) .

أما فى عهد السلطان الملك الكامل فانه فى سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣١ م زوج ابنته عاشوراء خاتون من الملك الناصر داود بن الملك المعظم عيسى ، وكان الناصر داود صاحب الكرك آنئذ وقد سار مع الكامل الى دمشـــق لمحـــاربة الملك الأشرف ، وفى فائدة مثل هذا الزواج قال ابن واصل : « ولو كان الملك الناصر قد التجأ الى الملك الكامل فى أول عهده لم تخرج بلاد أبيه من يده » (٥٠٣) .

وكان قد تم كذلك فى سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م تزويج الملك المظفـــر محمود صاحب حماة من الصاحبة سيدة الخواتين غازية خاتون بنت الملك الكامل ، ونال بذلك الملك المظفر ما تمناه فقد « قضيت لبانته باستقراره فى ملك والده ، ووصلته بخاله » (٥٠٤) .

وفى فترة من فترات الصراع بين الأيوبيين كان الملك الصـــالح نجم الدين ايوب احـــد أطراف هذا الصراع ـــ طموحا الى الحكم ـ وتحالف

---

(٥٠١) العيني : السيف المهند ص ١٩٩ .

(٥٠٢) AMIR Ali, A short history of the saracenes, P. 375.

(٥٠٣) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٥ ص ١٦ ، وكان الملك الـكامل بعد أن اقر الناصر داود على ملك أبيه طلب منه تسليمه قلعة الشـــوبك ليجعلها خزانة ، فرفض الناصر ، فاستولى الكامل منه على دمشق .

(٥٠٤) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٤ ص ٢٧٧ ، أبو الفدا : المختصر جـ ٣ ص ١٤٥ .

الملك الصالح مع الخوارزمية وتقوى بهم ، وفى سبيل احكام الصلة بينه وبين الخوارزمية زوج الملك الصالح اخته من امه لمقدم الخوارزمية حسام الدين بركة خان (٥٠٥) ، وهذا زواج سياسى — كما هو واضح — لا تخفى مقاصده من كلا الطرفين .

ومن ناحية اخرى كان بعض الأيوبيين يتقوون بالروم ضد الخطر الخوارزمى ، وفى سبيل تقوية آصرتهم بالروم تم كذلك نوع من الزواج السياسى حيث تزوجت غازية خاتون ابنة العزيز من السلطان غياث الدين الدين كيخسرو ملك الروم ، وتزوج الملك الناصر صاحب حلب من ملكة خاتون اخت السلطان غيا ثالدين ، وبعث غياث الدين رسولا الى حلب فأقيمت له بها الخطبة .

وقد تولى كتابة عقدى الزواج كمال الدين بن ابى جرادة بن العديم المؤرخ الشهير (٥٠٦) وهكذا — وكما راينا — حفل العصر الأيوبى بطوله وعرضه بالكثير من الزيجات السياسية التى كان يهدف من ورائها الى مصالح ومنافع لا تخفى .

* * *

---

(٥٠٥) المقريزى : السلوك ج ١ ق ٢ ص ٢٨٠ .

(٥٠٦) المقريزى : نفس المصدر ج ١ ق ٢ ص ٢٧٢ .

ثانيا : الزواج السياسى فى نهاية عصر الايوبيين وبداية دولة المماليك

زواج شجر الدر

توفى الملك الصالح نجم الدين ايوب فى ليلة الاثنين نصف شعبان سنة ٦٤٦ هـ (٥٠٧) / ١٢٤٨ م فى ظروف بالغة الدقة والحرج اثناء الحملة الصليبية السابعة على مصر بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا (٥٠٨) ملقيا على عاتق زوجته شجر الدر عبئا ثقيلا ، وكانت شجر الدر امرأة عالية الهمة وعلى مستوى المسئولية ، فأخفت وفاة زوجها حرصا على الروح المعنوية لجندها وشعبها (٥٠٩) ، ولم يكن ذلك غريبا عليها ، فقد كان اليها ـ فى حياة زوجها الملك الصالح ـ غالب تدبير الديار المصرية ، وكذلك فى مرضه وبعد موته ، والأمور تدبر على اكمل وجه (٥١٠) .

وقد استقدمت شجر الدر تورانشاه بن الملك الصالح أيوب ليتولى الأمر بعد ابيه ، غير ان تورانشاه ما لبث أن قلب ظهر المجن لزوجة أبيه ، ووقف منها موقفا غير حسن ، واعرض عن مماليك ابيه ، وجعل امر البلاد الى أصحابه الذين قدموا معه ، والذين كانوا « أطرافا ارذالا » (٥١١) ، وارسل الى شجر الدر يتهددها ، ويطالبها بأموال ابيه

---

(٥٠٧) المقريزى : السلوك جـ ١ ق ١ ص ٣٣١ ، وذلك بعد سلطنة على مصر دامت عشر سنين الا خمسين يوما .

(٥٠٨) BARKER : The crusades, P. 78.

(٥٠٩) المقريزى : السلوك جـ ١ ق ١ ص ٣٣٩ ، ٣٤٦ ، وامكن اخفاء الخبر قرابة عشرة أيام .

(٥١٠) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ٣٧٣ .

(٥١١) ابو الفدا : المختصر جـ ٣ ص ١٨١ .

مما دفع شجر الدر الى التدبير عليه لينتهى الأمر بقتله على أيدى المماليك البحرية (٥١٢) .

وانتهى الأمر بأن صارت شجر الدر أول سلطانة لمصر ، وصار عز الدين أيبك قائدا عاما ووصيا على العرش (٥١٣) .

وقد أخذت شجر الدر السلطانة تتقرب الى الخاصة والعامة لتنال بذلك رضاهم ، ولكن توليتها سلطانة على مصر لم يلق تأييدا من الأمراء الأيوبيين بالشام الذين كانوا (٥٠٤) يعتقدون أنهم أصحاب الحق الشرعى فى حكم مصر والشام بوصفهم من سلالة صلاح الدين الأيوبى .

وكان على رأس هؤلاء الأمراء الناصر يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر غازى بن صلاح الدين ، بل ان الخلافة العباسية نفسها (٥١٥) اعترضت على ذلك ، وجاء اعتراض الخلافة متمثلا فى خطاب الخليفة العباسى المستعصم بالله الى المماليك حيث جاء فيه « ان كانت الرجال قد عدمت عندكم ، فأعلمونا حتى نسير اليكم رجلا » (٥١٦) .

وكذلك لم يقبل الراى العام المصرى أن يتولى أمره امراة ، وانف من قيام امراة سلطانة على مصر ، فقام بمظاهرات واضطرابات عديدة فى القاهرة ، وقد اغلقت مدينة القاهرة حتى لا تتسرب أنباء تلك الاضطرابات الى سائر أرجاء البلاد ، وكان رجال الدين يتزعمون فيما يبدو

---

(٥١٢) موير : تاريخ دولة المماليك فى مصر ص ٣٧ ، وكان ممن اشترك فى قتله بيبرس البندقدارى .

(٥١٣) سعيد عاشور : العصر المماليكى ص ١٢٢ .

(٥١٤) سعيد عاشور : مصر فى العصور الوسطى ص ٤٣٣ .

(٥١٥) موير : تاريخ دولة المماليك فى مصر ص ٣٧ .

(٥١٦) الدواداري : كنز الدرر جـ ٨ ص ١٣ ، ستانلي لين بول : سيرة القاهرة ص ١٧٥ .

تلك الحركة المعارضة لسلطنة شجر الدر ، حتى ان بعضهم كتب كتابا يبين فيه ما قد يبتلى به المسلمون بولاية امراة .

وتمثل الحل لدى المماليك فى زواج سياسى يتم بين شجر الدر وقائد جيشها عز الدين أيبك الذى اكتفى فى بادىء الأمر ان يحكم باسم زوج سيدة الصالح أيوب (٥١٧) ، وقد أوضح الداودارى مغزى ذلك الزواج ودوافعه حيث قال فى حديثه عن سبب انتقال الملك الى عز الدين أيبك : « وسبب ملكه أن الأمراء لما نظروا لما جرى من التشويش ، وما الناس فيه من النهب وقلة الحرمة ، وتحريك الملك الناصر صاحب الشام عليهم من جهة ، وتحريك المغيث صاحب الكرك من جهة أخرى أن المراة لا تقوم بسياسة المملكة ، وأن الطمع قد وقع منهم لذلك » (٥١٨) .

أما قبول شجر الدر بمثل هذا الزواج فيدل على مدى ذكائها حتى تجنب مصر ما وقع فيها من الخلاف بسبب جنس السلطان ، وحتى تتمكن من أن تحكم ولكن من وراء ستار وتمثل ذلك الستار فى عز الدين أيبك الذى بادر بدوره - ارضاء للأيوبيين فى بلاد سوريا والكرك - فاجلس طفلا من نسل الأيوبيين على عرش مصر (٥١٩) .

وخيب عز الدين أيبك ظن شجر الدر حينما اراد حجب دورها ، وانشا فرقة من المماليك يتقوى بها هى المماليك المعزية ، واخرج المماليك البحرية من ثكناتهم بجزيرة الروضة ، كما قتل فارس الدين اقطاى منافسه القوى ، ولجأ الى سياسة العنف يمكن بها لنفسه ويفرض بها مهابته على الناس « فقتل خلقا كثيرا ، وشنق عالما من الناس بغير ذنب ، ليوقع

---

(٥١٧) موير : تاريخ دولة المماليك فى مصر ص ٣٧ .
(٥١٨) الدوادارى : كنز الدرر ج ٨ ص ١٣ .
(٥١٩) موير : تاريخ دولة المماليك فى مصر ص ٣٨ .

فى القلب مهابته ، واحدث مظالم ومصادرات عمل بها من بعده » (٥٢٠).

ولم يرض عز الدين ايبك ما فرضته شجر الدر من هجـــر زوجته أم على وتحريم زيارتها عليه واستبدادها به حتى صيرته و « ليس له معها كلام » (٥٢١) ، و « سئم من حجرها واستطالتها » (٥٢٢) ؛ وأخذ يدبر لصفقة زواج يتقوى بها ، فاتفق على ان يتزوج من ابنة الملك الرحيم لؤلؤ صاحب الموصل (٥٢٣) ؛ وبدا وكأنما شـــجر الدر استســلمت للأمر ، ولكنها بما انطوى عليه صدرها من حقد مرير على خطوة عز الدين ايبك هذه رأت أنها لابد أن تتخلص من ذلك الزوج الذى فرضته عليها الظروف، فدبرت لقتله مع المماليك البحرية ، وتم لها ذلك فى ٢٣ ربيع الأول سنة ٦٤٨ هـ / ١٢٥١ م بعد أن حكم قرابة سبع سنين (٥٢٤) .

وانتهت بمقتل عز الدين ايبك قصـــة زيجـــة من اشـــهر الزيجات السياسية التى تمت فى نهاية عصر الايوبيين وبداية عصر المماليك .

ولا شك ان زواج شـــجر الدر من عز الدين ايبك قد حقق اهدافه العامة من ارضاء للراى العام المصرى وارضاء الخلافة العباسية فى بغداد، كما انه كف عادية الأمراء الأيوبيين فى بلاد الشام وحال دون طمعهم فى مصر ، ولكن هذا الزواج قد أخفق فى تحقيق الأهداف الخاصة لكل من شـــجر الدر وايبك معا .

---

(٥٢٠) موير : نفس المصدر ص ٣٨ ، المقريزى : السلوك ج ١ ق ٢ ص ٤٠٤ .

(٥٢١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٣٧٥ ، سعيد عاشور : العصر المماليكى ص ٢١ .

(٥٢٢) أبو المحاســن : نفس المصـــدر ج ٦ ص ٣٧٥ ، ابن العمـــاد الحنبلى : شـــذرات الذهب ج ٥ ص ٢٦٧ وانظر : لين بول : ســـيرة القاهرة ص ١٧٥ .

(٥٢٣) لين بول : سيرة القاهرة ص ١٧٥ .

(٥٢٤) المقريزى : السلوك ج ١ ق ٢ ص ٤٠٤ .

مشروعا زواج آخران لشجر الدر

ولم يكن هذا الزواج هو الزواج الوحيد الذى فكرت فيه شجر الدر لأهدافها السياسية ، وان كان هو الزواج الوحيد الذى تم ، فان شجر الدر حين فكرت فى التخلص من زوجها عز الدين ايبك ارسلت رسولا من عندها هو نصر العزيزى الى الملك الناصر يوسف صاحب دمشق وحملته هدية اليه ، واخبرته بما اعتزمته من التخلص من زوجهـا ايبك بقتله ، وعرضت عليه أن تتزوجه ليصبح ملكا لمصر خليفة لايبك ، ولكن العرض رغم اغرائه ، ورغم ان نفس الناصر يوسـف كانت تطمح اليه قوبل بالرفض لأن الناصر يوسف لم يصدق شجر الدر ، وظن ان فى الأمر خديعة فلم يجبها بشىء (٥٢٥) .

تم هذا العرض قبل مقتل ايبك ، ورغم فشل العرض فانه لم يحل دون قتله . وقد تلا مقتل ايبك عرض آخر توجهت به شـجر الدر الى رجل آخر قد يستطيع الوقوف فى وجه ما سوف يعقب خبر ذيوع قتل ايبك من اهوال ، فارسلت فى نفس الليلة التى تم فيها قتله باصبعه وخاتمه الى الأمير عز الدين ايبك الحلبى الكبير ، وقالت له « قم بالأمر » ، ولكن عز الدين ايبك الحلبى لم يجسر (٥٢٦) على القيـام بذلك الأمر فى هـذا الموقف الصعب ، او انه كما قال ابو المحاسن : « طمع فى الأمر ومساندة بعض الأمراء الصالحية لتتمكن له الأمور ولكن لم يتم له ذلك » (٥٢٧) .

وهكذا — وكما رأينا — حفل عهد شجر الدر ببعض الزيجـات السياسية تمت احداها ، وكان لهذه الزيجة التى تمت وللمشروعين اللذين

---

(٥٢٥) المقريزى : السلوك ج ١ ق ٢ ص ٤٠٢ .
(٥٢٦) المقريزى : نفس المصدر ج ١ ق ٢ ص ٤٠٤ .
(٥٢٧) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢٧٦ .

نشلا اهداف سياسية واضحة ، وكانت في اغلبها أهدافا خاصة ، وان قاد الى الزواج الوحيد الذى تم اهداف عامة فرضتها الظروف السياسية لمصر آنئذ .

مشروع زواج اقطاى وابنة صاحب حماه

وهو مشروع زواج يضاف الى عهد شجر الدر وان لم تكن هى طرفا فيه ، ولكنه فى نفس الوقت كان وليد الظروف السياسية فى مصر فى تلك الفترة القلقة من تاريخها ، فقد كان فارس الدين اقطاى الجمدار زعيم المماليك البحرية وكانوا يلقبونه « الملك الجواد » (٥٢٨) ، وقد فاقت سطوته ونفوذه سطوة ايبك ونفوذه « فطغى وتجبر وبغى وتكبر ، ووصل من أمره انه كان اذا ركب من داره الى القلعة ومن القلعة الى داره ، يقتل جماعة بأمره وبين يديه ، ولا يلتفت الى المعز أيبك ولا غيره ، وكانت الدنيا بالممالك المصرية باسمه والخزائن بين يديه ، وامره مطاع فى الحقيرة والكبيرة ، لا يرد له مرسوم ، والملك المعز معه باسم الملك لا غير »(٥٢٩).

ولا غرو وقد صار حاله الى هذه الدرجة ان تحدثه نفسه بملك مصر (٥٣٠) . بل انه كان يستصغر ملكها عليه فقد « كانت نفسه ترى ان ملك مصر لا شىء عنده » (٥٣١) ، وكان يبدى انتقاصه لعز الدين ايبك علانية بين خشداشيته (٥٣٢) ، ولا كان يسميه الا ايبكا (٥٣٣) ، وكان ذلك يبلغ المعز ايبك فلا يستطيع ان يفعل حياله شيئا لكثرة

---

(٥٢٨) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ١١ .
(٥٢٩) الدوادارى : كنز الدرر جـ ٨ ص ٢٤ ، ٢٥ .
(٥٣٠) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ١١ .
(٥٣١) الدوادارى : كنز الدرر جـ ٨ ص ٢٥ .
(٥٣٢) الخشداشية : هى رابطة الزمالة بين الأمراء الذين نشأوا مماليك عند استاذ أو سيد . سعيد عاشور : العصر المماليكى ص ٤٣٥ .
(٥٣٣) الدوادارى : كنز الدرر جـ ٨ ص ٢٥ .

خشداشية اقطاى من البحرية والصالحية ، وادرك البحرية قوتهم وقوة صاحبهم ، وعجز عز الدين ايبك امامهم فساء سلوكهم بين الناس . قال الداوداري : « فساروا فى القاهرة ومصر انجس سيرة من العسف بالناس والجور ، واخذ أموال الرعية ، واخذ نسائهم واولادهم بأيديهم من الطرقات ، ويهجمون بالحمامات على النساء ويأخذونهن عرايا ، ومن الأفراح ، ولا تجد احدا يأخذ بيد أحد » (٥٣٤) .

وعلى الجملة لم يعد لايبك مع البحرية امر ولا نهى ، لا يسمع احد منهم له قولا ، فان رسم لأحد بشىء لا يمكنه من اعطائه ، وان امر لأحد منهم بشىء أخذ اضعاف ما رسم له به ، واجتمع الكل على باب الأمير فارس الدين اقطاى ، وقد استولى على الامور كلها ، وبقيت الكتب انما ترد من الملك الناصر وغيره اليه ، ولا يقدر أحد يفتح كتابا ، ولا يتكلم بشىء ولا يبرم أمرا الا بحضور اقطاى لكثرة خشداشيته (٥٣٥) .

وقد أدى ازدياد نفوذ اقطاى على هذه الصورة ونظرته الى نفسه نظرة الرجل القوى الذى يحق له ملك مصر الى ان يسعى للأمر سعيه ، فخطب بنت الملك المظفر تقى الدين محمود صاحب حماه الذى توفى ، واخت الملك المنصور صاحب حماه وقتئذ ، وقد رمى من وراء اصهاره الى البيت الأيوبى أن يكتسب سندا شرعيا فى حكم مصر (٥٣٦) ؛

ولا شك ان صاحب حماه كانت له مصلحة خاصة فى الموافقة على هذا الزواج كما كان فيه مصلحة عامة للبيت الأيوبى كذلك ، وربما خفى السر وراء هذا الزواج على العامة حتى « تعجب الناس كيف سمح

---

(٥٣٤) الدواداري : نفس المصدر ج ٨ ص ٢٥ ، المقريزى : السلوك ج ١ ق ٢ ص ٣٩٠ .

(٥٣٥) المقريزى : السلوك ج ١ ق ٢ ص ٣٨٨ .

(٥٣٦) سعيد عاشور : العصر المماليكى ص ١٦ .

صاحب حماه بمصاهرة مملوك » (٥٣٧) . على أية حـال ، بدت نوايا اقطاى تتضح من خلال تصرفاته فتحدث اقطاى مع ايبك عن رغبته فى أن يسكن عروسه قلعة الجبل لكونها من بنات الملوك ، ولا يليق سكناها بالبلد (٥٣٨) .

وفهم عز الدين ايبك ما يرمى اليه فارس الدين اقطاى ، وبدأ يفكر للقضاء عليه ، ولكنه عرف أنه لا يقدر على ذلك فراسل الملك صلاح الدين يوسف صاحب دمشق وحلب يستشيره فى الفتك به ، ولكن صلاح الدين لم يجبه على مراسلته .

ومن ناحية أخرى علم أقطاى أن أيبك لن يستطيع رفض طلبه ، ولاسيما اذا أسرع بوضعه امام الأمر الواقع ، فأرسل جماعة من المماليك ليحضروا عروسه التى خرجت من حماه ووصلت دمشق فى موكب عظيم « فى عدة محفات مغشاة بالأطلس وغيره من فاخر الثياب وعليها الحلى والجواهر » (٥٣٩) .

وهكذا صار أيبك فى موقف حرج يحتم عليه التصرف بأسرع ما يستطيع ، وأوضح ابو المحاسن موقف ايبك هذا فقال : « وتحقق ان بنت صاحب حماه فى الطريق بقى متحيرا . ان منعه من سكنى القلعة حصلت المباينة بالكلية ، وان سكنه قويت اسبابه بها ، ولا يعود يتمكن من اخراجه ، ويترتب على ذلك استقلال الأمير فارس الدين اقطاى بالملك فعمل على معاجلته » (٥٤٠) .

---

(٥٣٧) الدوادارى : كنز الدرر جـ ٨ ص ٢٥ .
(٥٣٨) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ١١ .
(٥٣٩) المحفات جمع محفة وهى الهوادج المغطاة بالقماش التى تحمل على ظهور الجمال حيث يجلس فيها المسافرون .
(٥٤٠) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ١١ .

تدبر ايبك أمره بسرعة وصمم على التخلص من أقطاى ، وتم له ذلك فى قلعة الجبل ، وقد فصل احد مماليك اقطاى ويسمى ايبك كيف تخلص عز الدين أيبك من سيده فيقول : « اتفق أن أستاذنا طلع القلعة على عادته ليأخذ لبعض البحرية مالا من الخزائن ، فقال له المعز : « لم يكن فى الخزائن ثم حاصل ، اصبر فاذا وصل شىء خذه » فقال : « لا اصبر ، وانت تبخل علينا بمال حصلته سيوفنا » واغلظ للمعز فى الكلام ، فقال له المعز : « اذا انقضت الخدمة اطلع الظهر ، وادخل انا وانت الى الخزانة لترى بعينيك ، أو افعل ما تختار » ثم ان المعز رتب له فى دهليز الخزانة مماليك ، وطلع أستاذنا بعد الظهر ، وقام معه المعز ، وتقدم الفارس امامه الى عطفة الدهليز ، ووثب عليه المماليك فقتلوه ، ورجع المعز ، وامر بغلق باب القلعة ، وشاع الخبر ، فركبت مماليكه وخشداشيته ، وظنوا أنه مسكة ، وأتوا الى باب القلعة لخلاصه ، وهم فى نحو سبعمائة فارس من البحرية ، فرمى اليهم براسه من فوق السور ، فلما عاينوه نظروا الى بعضهم البعض وقالوا : « قد فات الأمر منه ، ونحن مبغوضون والعامة وحدهم يكفونا » فولوا هاربين على وجوههم لا يلوى أحد على أخية طالبين الشام وتفرقوا فرقا ، فمنهم من طلب الكرك نحو الملك المغيث ، ومنهم من قصد دمشق الى الملك الناصر ، ومنهم من طلب الصعيد ، ومنهم من طلب الأمان ، وكنت أنا وخشداشى سنقر الكبير ومعنا اثنا عشر نفرا قد اخذ كل واحد فرسه وجنيبه وهججنا » (٥٤١) .

وبين صاحب النجوم الزاهرة موقف خشداشية اقطاى ومماليكه واستقرار الأمور لأيبك بقوله : « فتحرك لقتله جماعة من خشداشية البحرية ، ثم سكن الحال ، ولم ينتطح فى ذلك شاتان » (٥٤٢) .

---

(٥٤١) الدوادارى : كنز الدرر ج ٨ ص ٢٦ .
(٥٤٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٢ .

وقد حدد المقريزى من اشترك فى قتل أقطاى فقال : وهم قطـــز وبهـــادر وسنجر الغنتمى ، وبين طريقة قتله فقال : « فهبروه بالسيوف حتى مات » (٥٤٣) . وذكر انه بعد مقتل اقطاى علا الصريخ فى القلعة والقاهرة وان نحوا من سبعمائة فارس من اصحاب أقطاى هبوا لنجدته حيث اعتقدوا انه قبض عليه فقط وانه لم يقتل ، ووقفوا تحت القلعة ، وكانوا بقيادة بيبرس البندقدارى وقلاوون الألفى وسـنقر الأشقر وبيسر وسكز وبرامق ، ولكن راس اقطاى القيت اليهم فأسقط فى أيديهم وتفرقوا بأجمعهم .

وقد حاول المعز أيبك منعهم من الخروج من القاهرة باغلاق ابوابها، ولكنهم حرقوا باب القراطين وخرجوا منه ليلا ، وعرف ذلك الباب منذئذ حتى اليوم بالباب المحروق (٥٤٤) .

وقد القى المعز ايبك القبض على من بقى منهم فى القاهرة فقتـــل بعضهم وحبس باقيهم واحتاط على أملاكهم واموالهم ونسائهم وأتباعهم ، وامر بأن ينادى فى القاهرة ومصر بتهديد من اخفى أحدا من البحرية .

وهكذا انتهت حياة أقطاى ومات مشروع زواجه من ابنة صـــاحب حماه وهو على وشك مولده ، وانتهت بنهاية أقطاى ومشروع زواجـــه احلامه المجنحة بملك مصر .

* * *

---

(٥٤٣) المقريزى : السلوك جـ ١ ق ٢ ص ٣٩٠ .
(٥٤٤) المقريزى : نفس المصدر ص ٣٩١ .

ملاحق الكتاب

وقد اعتمدنا فى ايرادنا الملاحق على الكتب الآتية :

ـ **تاريخ الاسلام السياسى** ـ للدكتور حسن ابراهيم حسن

ـ **سيرة القاهرة** ـ تأليف ستانلى لين بول ترجمة الدكتورين حسن ابراهيم حسن وعلى ابراهيم حسن

ـ **الخلافة والدولة فى العصر العباسى** للدكتور محمد حلمى محمد أحمد

الملحق الأول

الخلفاء العباسيون

وفقا لترتيب فصول الكتاب

(١)

« خلفاء العصر الأول »

١٣٢ هـ ـ ٣٣٢ هـ

١ ـ السفاح ... ... ١٣٢ ـ ١٣٦ هـ

٢ ـ المنصور ... ... ١٣٦ ـ ١٥٨ هـ

٣ ـ المهدى ... ... ١٥٨ ـ ١٦٩ هـ

٤ ـ الهادى ... ... ١٦٩ ـ ١٧٠ هـ

٥ ـ الرشيد ... ... ١٧٠ ـ ١٩٣ هـ

٦ ـ الأمين ... ... ١٩٣ ـ ١٩٨ هـ

٧ ـ المأمون ... ... ١٩٨ ـ ٢١٨ هـ

٨ ـ المعتصم ... ... ٢١٨ ـ ٢٢٧ هـ

٩ ـ الواثق ... ... ٢٢٧ ـ ٢٣٢ هـ

(٢)

« خلفاء عصر نفوذ الأتراك وعصر نفوذ البويهيين »
٢٣٢ هـ — ٣٣٤ هـ

(أ) عصر نفـــوذ الأتـــراك
٢٣٢ هـ — ٣٣٤ هـ

١ — المتـــوكل ... ... ٢٣٢ — ٢٤٧ هـ
٢ — المنتصـــر ... ... ٢٤٧ — ٢٤٨ هـ
٣ — المســتعين ... ... ٢٤٨ — ٢٥١ هـ
٤ — المعتـــز ... ... ٢٥١ — ٢٥٥ هـ
٥ — المهتـــدى ... ... ٢٥٥ — ٢٥٦ هـ
٦ — المعتمـــد ... ... ٢٥٦ — ٢٧٩ هـ
٧ — المعتضـــد ... ... ٢٧٩ — ٢٨٩ هـ
٨ — المـــكتفى ... ... ٢٨٩ — ٢٩٥ هـ
٩ — المقتـــدر ... ... ٢٩٥ — ٣٢٠ هـ
١٠— القـــاهر ... ... ٣٢٠ — ٣٢٢ هـ
١١ — الراضـــى ... ... ٣٢٢ — ٣٢٩ هـ
١٢— المتقـــى ... ... ٣٢٩ — ٣٣٣ هـ
١٣— المســتكفى ... ... ٣٣٣ — ٣٣٤ هـ

وقد شـــهد عصر نفوذ البويهيين

(ب) « خلفـــاء عصر نفـــوذ البويهيـــين »
٣٣٤ — ٤٤٧ هـ

١ — المســتكفى ... ... ٣٣٣ — ٣٣٤ هـ

« وقد شـــهد نهاية عصر نفوذ الأتراك »

٢ — المطيـــع ... ... ٣٣٤ — ٣٦٣ هـ
٣ — الطـــائع ... ... ٣٦٣ — ٣٨١ هـ
٤ — القـــادر ... ... ٣٨١ — ٤٢٢ هـ
٥ — القـــائم ... ... ٤٢٢ — ٤٤٧ هـ

« وقد شـــهد نهاية عصر نفوذ الســلاجقة »

(٣)

« خلفاء عصر نفوذ السلاجقة »

١ — القائم ... ... ٤٢٢ — ٤٧٦ هـ

وقد شهد نهاية عصر البويهيين

٢ — المقتدى ... ... ٤٧٦ — ٤٨٧ هـ

٣ — المستظهر ... ... ٤٨٧ — ٥١٢ هـ

٤ — المسترشد ... ... ٥١٢ — ٥٢٩ هـ

٥ — الراشد ... ... ٥٢٩ — ٥٣٠ هـ

٦ — المقتفى ... ... ٥٣٠ — ٥٥٥ هـ

٧ — المستنجد ... ... ٥٥٥ — ٥٦٦ هـ

٨ — المستضىء ... ... ٥٦٦ — ٥٧٥ هـ

٩ — الناصر ... ... ٥٧٥ — ٦٢٢ هـ

١٠— الظاهر ... ... ٦٢٢ — ٦٢٣ هـ

١١— المستنصر ... ... ٦٢٣ — ٦٤٠ هـ

١٢— المستعصم ... ... ٦٤٠ — ٦٥٦ هـ

« الملحق الثانى »

« تواريخ هامة فى عهد الدولة العباسية »

اعلان قيام الخلافة العباسية ... ... ١٣٢ هـ

تولى المنصور الخلافة ... ... ١٣٦ هـ

ثورة عبد الله بن على ... ... ١٣٦ هـ

هزيمة عبد الله بن على على يد أبى مسلم ... ... ١٣٦ هـ

مقتل أبى مسلم ... ... ١٣٧ هـ

تولى الرشيد الخلافة ... ... ١٧٠ هـ

نكبة البرامكة ... ... ١٨٧ هـ

تولى المأمون الخلافة ... ... ١٩٨ هـ

مقتل الفضل بن سهل ... ... ٢٠٢ هـ

وفاة على الرضا ... ... ٢٠٣ هـ

تأسيس الدولة الطولونية فى مصر ... ... ٢٥٤ هـ

تولى خمارويه ولاية مصر ... ... ٢٧٠ هـ

مقتل خمارويه ... ... ٢٨٢ هـ

سقوط الدولة الطولونية ... ... ٢٩٢ هـ

دخول البويهيين بغداد ... ... ٤٣٤ هـ

دخول السلاجقة بغداد ... ... ٤٤٧ هـ

تأسيس الدولة البورية فى دمشق ... ... ٤٩٧ هـ

تولى عماد الدين زنكى ولاية الموصل ... ... ٥٢١ هـ

وفاة زنكى ... ... ٥٤١ هـ

ولاية نور الدين محمود حلب ... ... ٥٤١ هـ

سقوط الخلافة الفاطمية ... ... ٥٦٧ هـ

تأسيس الدولة الأيوبية ... ... ٥٦٧ هـ

صلح الرملة بين صلاح الدين والصليبيين ... ... ٥٨٨ هـ

وفاة صلاح الدين الأيوبى ... ... ٥٨٩ هـ

ولاية شجر الدر ... ... ٦٤٨ هـ

ولاية المعز أيبك ... ... ٦٤٨ هـ

قتل فارس الدين اقطاى ... ... ٦٤٨ هـ

قتل المعز أيبك ... ... ٦٥٥ هـ

قتل شجر الدر ... ... ٦٥٥ هـ

سقوط بغداد فى أيدى المغول ... ... ٦٥٦ هـ

« الملحــــق الثـــالث »

« بنـــو بـويه فى العـــراق »

١ — معــــز الدولـــة ... ... ٣٣٤ — ٣٥٦ هـ
٢ — بختيــــــار ٣٥٦ — ٣٦٧ هـ
٣ — عضــــد الدولـــة ... ... ٣٦٧ — ٣٧٢ هـ
٤ — صمصـــام الدولة ... ... ٣٧٢ — ٣٧٦ هـ
٥ — بهـــــاء الدولة ... ... ٣٧٩ — ٤٠٣ هـ
٦ — سلطان الدولة ومشرف الدولة ... ... ٤٠٣ — ٤١٦ هـ
(ابنا بهـــاء الدولة) ... ...
٧ — جـــلال الدولـــة ... ... ٤١٦ — ٤٣٥ هـ
٨ — أبو كاليجـــــــار ... ... ٤٣٥ — ٤٤٠ هـ
٩ — أبو نصر الملك الرحيم ... ... ٤٤٠ — ٤٤٧ هـ

« الملحــــق الــرابع »

« الدولة الطولونية فى مصر والشـــام »

٢٥٤ — ٢٩٢ هـ / ٨٦٨ — ٩٠٥ هـ

١ — أحمـــد بن طولون ... ... ٢٥٤ — ٢٧٠ هـ
٢ — خمارويه بن أحمـد ... ... ٢٧٠ — ٢٨٢ هـ
٣ — أبو العســاكر جيش بن خمارويه ... ... ٢٨٢ — ٢٨٣ هـ
٤ — هارون بن خمارويه ... ... ٢٨٣ — ٢٩٢ هـ
٥ — شـيبان بن أحمـد ... ... ٢٩٢ — ٢٩٢ هـ

« تواريخ مقارنة »

« الملحق الخامس »

السنة الهجرية	تبدأ بالتاريخ الميلادى فى	
١٣٢	٢٠ اغسطس	٧٤٩
١٣٣	٩ اغسطس	٧٥٠
١٣٤	٣٠ يوليو	٧٥١
١٣٥	١٨ يوليه	٧٥٢
١٣٦	٧ يولية	٧٥٣
١٣٧	٢٧ يونيه	٧٥٤
١٣٨	١٦ يونية	٧٥٥
١٣٩	٥ يونية	٧٥٦
١٤٠	٢٥ مايو	٧٥٧
١٤١	١٤ مايو	٧٥٨
١٤٢	٤ مايو	٧٥٩
١٤٣	٢٢ ابريل	٧٦٠
١٤٤	١١ ابريل	٧٦١
١٤٥	١ ابريل	٧٦٢
١٤٦	٢١ مارس	٧٦٣
١٤٧	١٠ مارس	٧٦٤
١٤٨	٢٧ فبراير	٧٦٥
١٤٩	١٦ فبراير	٧٦٦
١٥٠	٦ فبراير	٧٦٧
١٥١	٢٦ يناير	٧٦٨
١٥٢	١٤ يناير	٧٦٩
١٥٣	١٤ يناير	٧٧٠
١٥٤	٢٤ ديسمبر	٧٧٠
١٥٥	١٣ ديسمبر	٧٧١
١٥٦	٢ ديسمبر	٧٧٢
١٥٧	٢١ نوفمبر	٧٧٣
١٥٨	١١ نوفمبر	٧٧٤
١٥٩	٣١ أكتوبر	٧٧٥
١٦٠	١٩ أكتوبر	٧٧٦
١٦١	٩ أكتوبر	٧٧٧
١٦٢	٢٨ سبتمبر	٧٧٨
١٦٣	١٧ سبتمبر	٧٧٩
١٦٤	٦ سبتمبر	٧٨٠
١٦٥	٢٦ اغسطس	٧٨١

السنة الهجرية	تبدأ بالتاريخ الميلادى فى	
١٦٦	١٥ اغسطس	٧٨٢
١٦٧	٥ اغسطس	٧٨٣
١٦٨	٢٤ يولية	٧٨٤
١٦٩	١٤ يولية	٧٨٥
١٧٠	٣ يولية	٧٨٦
١٧١	٢٢ يونية	٧٨٧
١٧٢	١١ يونية	٧٨٨
١٧٣	٣١ مايو	٧٨٩
١٧٤	٢٠ مايو	٢٩٠
١٧٥	١٠ مايو	٧٩١
١٧٦	٢٨ ابريل	٧٩٢
١٧٧	١٨ ابريل	٧٩٣
١٧٨	٧ ابريل	٧٩٤
١٧٩	٢٧ مارس	٧٩٥
١٨٠	١٦ مارس	٧٩٦
١٨١	٥ مارس	٧٩٧
١٨٢	٢٢ فبراير	٧٩٨
١٨٣	١٢ فبراير	٧٩٩
١٨٤	١ فبراير	٨٠٠
١٨٥	٢٠ يناير	٨٠١
١٨٦	١٠ يناير	٨٠٢
١٨٧	٣٠ ديسمبر	٨٠٢
١٨٨	٢٠ ديسمبر	٨٠٣
١٨٩	٨ ديسمبر	٨٠٤
١٩٠	٢٧ نوفمبر	٨٠٥
١٩١	١٧ نوفمبر	٨٠٦
١٩٢	٦ نوفمبر	٨٠٧
١٩٣	٢٥ أكتوبر	٨٠٨
١٩٤	١٥ أكتوبر	٨٠٩
١٩٥	٤ أكتوبر	٨١٠
١٩٦	٢٣ سبتمبر	٨١١
١٩٧	١٢ سبتمبر	٨١٢
١٩٨	١ سبتمبر	٨١٣
١٩٩	٢٢ اغسطس	٨١٤

« تابع ـ تواريخ مقـــارنة »

السنة الهجرية	تبدأ بالتاريخ الميلادي في	
٢٠٠	١١ اغسطس	٨١٥
٢٠١	٣٠ يوليو	٨١٦
٢٠٢	٢٠ يوليو	٨١٧
٢٠٣	٩ يوليو	٨١٨
٢٠٤	٢٨ يوليو	٨١٩
٢٠٥	١٧ يونية	٨٢٠
٢٠٦	٦ يونية	٨٢١
٢٠٧	٢٧ مايو	٨٢٢
٢٠٨	١٦ مايو	٨٢٣
٢٠٩	٤ مايو	٨٢٤
٢١٠	٢٤ ابريل	٨٢٥
٢١١	١٣ ابريل	٨٢٦
٢١٢	٢ ابريل	٨٢٧
٢١٣	٢٢ مارس	٨٢٨
٢١٤	١١ مارس	٨٢٩
٢١٥	٢٨ فبراير	٨٣٠
٨١٦	١٨ فبراير	٨٣١
٢١٧	٧ فبراير	٨٣٢
٢١٨	٢٧ يناير	٨٣٣
٢١٩	١٦ يناير	٨٣٤
٢٢٠	٥ يناير	٨٣٥
٢٢١	٢٦ ديسمبر	٨٣٥
٢٢٢	١٤ ديسمبر	٨٣٦
٢٢٣	٣ ديسمبر	٨٣٧
٢٢٤	٢٣ نوفمبر	٨٣٨
٢٢٥	١٢ نوفمبر	٨٣٩
٢٢٦	٣١ أكتوبر	٨٤٠
٨٢٧	٢٠ أكتوبر	٨٤١
٢٢٨	١٠ أكتوبر	٨٤٢
٢٢٩	٣٠ سبتمبر	٨٤٣
٢٣٠	١٨ سبتمبر	٨٤٤
٢٣١	٧ سبتمبر	٨٤٥
٢٣٢	٢٨ أغسطس	٨٤٦
٢٣٣	١٧ أغسطس	٨٤٧
٢٣٤	٥ أغسطس	٨٤٨
٢٣٥	٢٦ يولية	٨٤٩
٢٣٦	١٥ يولية	٨٥٠
٢٣٧	٥ يولية	٨٥١
٢٣٨	٢٣ يونية	٨٥٢
٢٣٩	١٢ يونية	٨٥٣
٢٤٠	٢ يونية	٨٥٤
٢٤١	٢٢ مايو	٨٥٥
٢٤٢	١٠ مايو	٨٥٦
٢٤٣	٣٠ ابريل	٨٥٧
٢٤٤	١٩ ابريل	٨٥٨
٢٤٥	٨ ابريل	٨٥٩
٢٤٦	٢٨ مارس	٨٦٠
٢٤٧	١٧ مارس	٨٦١
٢٤٨	٧ مارس	٨٦٢
٢٤٩	٢٤ فبراير	٨٦٣
٢٥٠	١٣ فبراير	٨٦٤
٢٥١	٢ غبراير	٨٦٥
٢٥٢	٢٢ يناير	٨٦٦
٢٥٣	١١ يناير	٨٦٧
٢٥٤	١ يناير	٨٦٨
٢٥٥	٢٠ ديسبمر	٨٦٨
٢٥٦	٩ ديسمبر	٨٦٩
٢٥٧	٢٩ نوفمبر	٨٧٠
٢٥٨	١٨ نوفمبر	٨٧١
٢٥٩	٧ نوفمبر	٨٧٢
٢٦٠	٢٧ أكتوبر	٨٧٣
٢٦١	١٦ أكتوبر	٨٧٤
٢٦٢	٦ أكتوبر	٨٧٥
٢٦٣	٢٤ سبتمر	٨٧٦
٢٦٤	١٣ سبتمبر	٨٧٧
٢٦٥	٣ سبتمبر	٨٧٨
٢٦٦	٢٣ أغسطس	٨٧٩
٢٦٧	١٢ أغسطس	٨٨٠
٢٦٨	١ أغسطس	٨٨١
٢٦٩	٢١ يولية	٨٨٢

« تابع – تواريخ مقـــارنة »

السنة الهجرية	تبدأ بالتاريخ الميلادى فى	
٢٧٠	١١ يوليـة	٨٨٣
٢٧١	٢٩ يونيـة	٨٨٤
٢٧٢	١٨ يونيـة	٨٨٥
٢٧٣	٨ يونيـة	٨٨٦
٢٧٤	٢٨ مايـو	٨٨٧
٢٧٥	١٦ مايـو	٨٨٨
٢٧٦	٦ مايـو	٨٨٩
٢٧٧	٢٥ ابريـل	٨٩٠
٢٧٨	١٥ ابريـل	٨٩١
٢٧٩	٣ ابريـل	٨٩٢
٢٨٠	٢٣ مارس	٨٩٣
٢٨١	١٣ مارس	٨٩٤
٢٨٢	٢ مارس	٨٩٥
٢٨٣	١٩ فبراير	٨٩٦
٢٨٤	٨ فبراير	٨٩٧
٢٨٥	٢٨ ينـاير	٨٩٨
٢٨٦	١٧ ينـاير	٨٩٩
٢٨٧	٧ ينـاير	٩٠٠
٢٨٨	٢٦ ديسمبر	٩٠٠
٢٨٩	١٦ ديسمبر	٩٠١
٢٩٠	٥ ديسمبر	٩٠٢
٢٩١	٢٤ نوفمبر	٩٠٣
٢٩٢	١٣ نوفمبر	٩٠٤
٢٩٣	٢ نوفمبر	٩٠٥
٢٩٤	٢٢ أكتوبر	٩٠٦
٢٩٥	١٢ أكتوبر	٩٠٧
٢٩٦	٣٠ سبتمبر	٩٠٨
٢٩٧	٢٠ سبتمبر	٩٠٩
٢٩٨	٩ سبتمبر	٩١٠
٢٩٩	٢٩ اغسطس	٩١١
٣٠٠	٢٨ اغسطس	٩١٢
٣٠١	٧ اغسطس	٩١٣
٣٠٢	٢٧ يوليـة	٩١٤
٣٠٣	١٧ يوليـة	٩١٥
٣٠٤	٥ يوليـة	٩١٦
٣٠٥	٢٤ يونيـة	٩١٧
٣٠٦	١٤ يونيـة	٩١٨
٣٠٧	٣ يونيـة	٩١٩
٣٠٨	٢٣ مايـو	٩٢٠
٣٠٩	١٢ مايـو	٩٢١
٣١٠	١ مايـو	٩٢٢
٣١١	٢١ ابريـل	٩٢٣
٣١٢	٩ ابريـل	٩٢٤
٣١٣	٢٩ مارس	٩٢٥
٣١٤	١٩ مارس	٩٢٦
٣١٥	٨ مارس	٩٢٧
٣١٦	٢٥ فبراير	٩٢٨
٣١٧	١٤ فبراير	٩٢٩
٣١٨	٣ فبراير	٩٣٠
٣١٩	٢٤ ينـاير	٩٣١
٣٢٠	١٣ ينـاير	٩٣٢
٣٢١	١ ينـاير	٩٣٣
٣٢٣	١١ ديسمبر	٩٣٤
٣٢٤	٣٠ نوفمبر	٩٣٥
٣٢٥	١٩ نوفمبر	٩٣٦
٣٢٦	٨ نوفمبر	٩٣٧
٣٢٧	٢٩ أكتوبر	٩٣٨
٣٢٨	١٨ أكتوبر	٩٣٩
٣٢٩	٦ أكتوبر	٩٤٠
٣٣٠	٢٦ سبتمبر	٩٤١
٣٣١	١٥ سبتمبر	٩٤٢
٣٣٢	٤ سبتمبر	٩٤٣
٣٣٣	٢٤ اغسطس	٩٤٤
٣٣٤	١٣ اغسطس	٩٤٥
٣٣٥	٢ اغسطس	٩٤٦
٣٣٦	٢٣ يوليـة	٩٤٧
٣٣٧	١١ يوليـة	٩٤٨
٣٣٨	١ يوليـة	٩٤٩
٣٣٩	٢٠ يونيـة	٩٥٠
٣٤٠	٩ يونيـة	٩٥١

« تابع — تواريخ مقــارنة »

السنة الهجرية	تبدأ بالتاريخ	الميلادي في
٣٤١	٢٩ مايو	٩٥٢
٣٤٢	١٨ مايو	٩٥٣
٣٤٣	٧ مايو	٩٥٤
٣٤٤	٢٧ ابريل	٩٥٥
٣٤٥	١٥ بريل	٩٥٦
٣٤٦	٤ ابريل	٩٥٧
٣٤٧	٢٥ مارس	٩٥٨
٣٤٨	١٤ مارس	٩٥٩
٣٤٩	٣ مارس	٩٦٠
٣٥٠	٢٠ فبراير	٩٦١
٣٥١	٩ فبراير	٩٦٢
٣٥٢	٣٠ يناير	٩٦٣
٣٥٣	١٩ يناير	٩٦٤
٣٥٤	٧ يناير	٩٦٥
٣٥٥	٢٨ ديسمبر	٩٦٥
٣٥٦	١٧ ديسمبر	٩٦٦
٣٥٧	٧ ديسمبر	٩٦٧
٣٥٨	٢٥ نوفمبر	٩٦٨
٣٥٩	١٤ نوفمبر	٩٦٩
٣٦٠	٢ نوفمبر	٩٧٠
٣٦١	٢٤ اكتوبر	٩٧١
٣٦٢	١٢ اكتوبر	٩٧٢
٣٦٣	٢ اكتوبر	٩٧٣
٣٦٤	٢١ سبتمبر	٩٧٤
٣٦٥	١٠ سبتمبر	٩٧٥
٣٦٦	٣٠ اغسطس	٩٧٦
٣٦٧	١٩ اغسطس	٩٧٧
٩٦٨	٩ اغسطس	٩٧٨
٣٦٩	٢٩ يولية	٩٧٩
٣٧٠	١٧ يولية	٩٨٠
٣٧١	٧ يولية	٩٨١
٣٧٢	٢٦ يونية	٩٨٢
٣٧٣	١٥ يونية	٩٨٣
٣٧٤	٤ يونية	٩٨٤
٣٧٥	٢٤ مايو	٩٨٥
٣٧٦	١٣ مايو	٩٨٦
٣٧٧	٣ مايو	٩٨٧
٣٧٨	٢١ ابريل	٩٨٨
٣٧٩	١١ ابريل	٩٨٩
٣٨٠	٣١ مارس	٩٩٠
٣٨١	٢٠ مارس	٩٩١
٣٨٢	٩ مارس	٩٩٢
٣٨٣	٢٦ فبراير	٩٩٣
٣٨٤	١٥ فبراير	٩٩٤
٣٨٥	٥ فبراير	٩٩٥
٣٨٦	٢٥ يناير	٩٩٦
٣٨٧	١٤ يناير	٩٩٧
٣٨٨	٣ يناير	٩٩٨
٣٨٩	٢٣ ديسمبر	٩٩٨
٣٩٠	١٣ ديسمبر	٩٩٩
٣٩١	١ ديسمبر	١٠٠٠
٣٩٢	٢٠ نوفمبر	١٠٠١
٣٩٣	١٠ نوفمبر	١٠٠٢
٣٩٤	٣٠ اكتوبر	١٠٠٣
٣٩٥	١٨ اكتوبر	١٠٠٤
٣٩٦	٨ اكتوبر	١٠٠٥
٣٩٧	٢٧ سبتمبر	١٠٠٦
٣٩٨	١٧ سبتمبر	١٠٠٧
٣٩٩	٥ سبتمبر	١٠٠٨
٤٠٠	٢٥ اغسطس	١٠٠٩
٤٠١	١٥ اغسطس	١٠١٠
٤٠٢	٤ اغسطس	١٠١١
٤٠٣	٢٣ يولية	١٠١٢
٤٠٤	١٣ يولية	١٠١٣
٤٠٥	٣ يولية	١٠١٤
٤٠٦	٢١ يونية	١٠١٥
٤٠٧	١٠ يونية	١٠١٦
٤٠٨	٣٠ مايو	١٠١٧
٤٠٩	٢٠ مايو	١٠١٨
٤١٠	٩ مايو	١٠١٩

« تابع — تواريخ مقارنة »

السنة الهجرية	تبدأ بالتاريخ الميلادي في	
٤١١	٢٧ ابريل	١٠٢٠
٤١٢	١٧ ابريل	١٠٢١
٤١٣	٦ ابريل	١٠٢٢
٤١٤	٢٦ مارس	١٠٢٣
٤١٥	١٥ مارس	١٠٢٤
٤١٦	٤ مارس	١٠٢٥
٤١٧	٢٢ فبراير	١٠٢٦
٤١٨	١١ فبراير	١٠٢٧
٤١٩	٣١ يناير	١٠٢٨
٤٢٠	٢٠ يناير	١٠٢٩
٤٢١	٩ يناير	١٠٣٠
٤٢٢	٢٩ ديسمبر	١٠٣٠
٤٢٣	١٩ ديسمبر	١٠٣١
٤٢٤	٧ ديسمبر	١٠٣٢
٤٢٥	٢٦ نوفمبر	١٠٣٣
٤٢٦	١٦ نوفمبر	١٠٣٤
٤٢٧	٥ نوفمبر	١٠٣٥
٤٢٨	٢٥ أكتوبر	١٠٣٦
٤٢٩	١٤ أكتوبر	١٠٣٧
٤٣٠	٢ أكتوبر	١٠٣٨
٤٣١	٢٣ سبتمبر	١٠٣٩
٤٣٢	١١ سبتمبر	١٠٤٠
٤٣٣	٣١ اغسطس	١٠٤١
٤٣٤	٢١ اغسطس	١٠٤٢
٤٣٥	١٠ اغسطس	١٠٤٣
٤٣٦	٢٩ يولية	١٠٤٤
٤٣٧	١٩ يولية	١٠٤٥
٤٣٨	٨ يولية	١٠٤٦
٤٣٩	٢٨ يونية	١٠٤٧
٤٤٠	١٦ يونية	١٠٤٨
٤٤١	٥ يونية	١٠٤٩
٤٤٢	٢٦ مايو	١٠٥٠
٤٤٣	١٥ مايو	١٠٥١
٤٤٤	٣ مايو	١٠٥٢
٤٤٥	٢٣ ابريل	١٠٥٣
٤٤٦	١٢ ابريل	١٠٥٤
٤٤٧	٢ ابريل	١٠٥٥
٤٤٨	٢١ مارس	١٠٥٦
٤٤٩	١٠ مارس	١٠٥٧
٤٥٠	٢٨ فبراير	١٠٥٨
٤٥١	١٧ فبراير	١٠٥٩
٤٥٢	٦ فبراير	١٠٦٠
٤٥٣	٢٦ يناير	١٠٦١
٤٥٤	١٥ يناير	١٠٦٢
٤٥٥	٤ يناير	١٠٦٣
٤٥٦	٢٥ ديسمبر	١٠٦٣
٤٥٧	١٣ ديسمبر	١٠٦٤
٤٥٨	٣ ديسمبر	١٠٦٥
٤٥٩	٢٢ نوفمبر	١٠٦٦
٤٦٠	١١ نوفمبر	١٠٦٧
٤٦١	٣١ أكتوبر	١٠٦٨
٤٦٢	٢٠ أكتوبر	١٠٦٩
٤٦٣	٩ أكتوبر	١٠٧٠
٤٦٤	٢٩ سبتمبر	١٠٧١
٤٦٥	١٧ سبتمبر	١٠٧٢
٤٦٦	٦ سبتمبر	١٠٧٣
٤٦٧	٢٧ اغسطس	١٠٧٤
٤٦٨	١٦ اغسطس	١٠٧٥
٤٦٩	٥ اغسطس	١٠٧٦
٤٧٠	٢٥ يولية	١٠٧٧
٤٧١	١٤ يولية	١٠٧٨
٤٧٢	٤ يولية	١٠٧٩
٤٧٣	٢٢ يونية	١٠٨٠
٤٧٤	١١ يونية	١٠٨١
٤٧٥	١ يونية	١٠٨٢
٤٧٦	٢١ مايو	١٠٨٣
٤٧٧	١٠ مايو	١٠٨٤
٤٧٨	٢٩ أبريل	١٠٨٥

« تابع ــ تواريخ مقــــارنة »

السنة الهجرية	تبدأ بالتاريخ الميلادى فى	
٤٧٩	١٨ ابريــل	١٠٨٦
٤٨٠	٨ ابريــل	١٠٨٧
٤٨١	٢٧ مارس	١٠٨٨
٤٨٢	١٦ مارس	١٠٨٩
٤٨٣	٦ مارس	١٠٩٠
٤٨٤	٢٣ فبراير	١٠٩١
٤٨٥	١٢ فبراير	١٠٩٢
٤٨٦	١ فبراير	١٠٩٣
٤٨٧	٢١ ينــاير	١٠٩٤
٤٨٨	١١ ينــاير	١٠٩٥
٤٨٩	٣١ ديسمبر	١٠٩٥
٤٩٠	١٩ ديسمبر	١٠٩٦
٤٩١	٩ ديسمبر	١٠٩٧
٤٩٢	٢٨ نوفمبر	١٠٩٨
٤٩٣	١٧ نوفمبر	١٠٩٩
٤٩٤	٦ نوفمبر	١١٠٠
٤٩٥	٢٦ أكتوبر	١١٠١
٤٩٦	١٥ أكتوبر	١١٠٢
٤٩٧	٥ أكتوبر	١١٠٣
٤٩٨	٢٣ سبتمبر	١١٠٤
٤٩٩	١٣ سبتمبر	١١٠٥
٥٠٠	٢ سبتمبر	١١٠٦
٥٠١	٢٢ اغسطس	١١٠٧
٥٠٢	١١ اغسطس	١١٠٨
٥٠٣	٣١ يوليــة	١١٠٩
٥٠٤	٢٠ يوليــة	١١١٠
٥٠٥	١٠ يوليــة	١١١١
٥٠٦	٢٨ يوليــة	١١١٢
٥٠٧	١٨ يونيــة	١١١٣
٥٠٨	٧ يونيــة	١١١٤
٥٠٩	٢٧ مايــو	١١١٥
٥١٠	١٦ مايــو	١١١٦
٥١١	٥ مايــو	١١١٧
٥١٢	٢٤ ابريــل	١١١٨
٥١٣	١٤ ابريــل	١١١٩
٥١٤	٢ ابريــل	١١٢٠
٥١٥	٢٢ مارس	١١٢١
٥١٦	١٢ مارس	١١٢٢
٥١٧	١ مارس	١١٢٣
٥١٨	١٩ فبراير	١١٢٤
٥١٩	٧ فبراير	١١٢٥
٥٢٠	٢٧ ينــاير	١١٢٦
٥٢١	١٧ ينــاير	١١٢٧
٥٢٢	٦ ينــاير	١١٢٨
٥٢٣	٢٥ ديسمبر	١١٢٨
٥٢٤	١٥ ديسمبر	١١٢٩
٥٢٥	٤ ديسمبر	١١٣٠
٥٢٦	٢٣ نوفمبر	١١٣١
٥٢٧	١٢ نوفمبر	١١٣٢
٥٢٨	١ نوفمبر	١١٣٣
٥٢٩	٢٢ أكتوبر	١١٣٤
٥٣٠	١١ أكتوبر	١١٣٥
٥٣١	٢٩ سبتمبر	١١٣٦
٥٣٢	١٩ سبتمبر	١١٣٧
٥٣٣	٨ سبتمبر	١١٣٨
٥٣٤	٢٨ اغسطس	١١٣٩
٥٣٥	١٧ اغسطس	١١٤٠
٥٣٦	٦ اغسطس	١١٤١
٥٣٧	٢٧ يوليــة	١١٤٢
٥٣٨	١٦ يوليــة	١١٤٣
٥٣٩	٤ يوليــة	١١٤٤
٥٤٠	٢٤ يونيــة	١١٤٥
٥٤١	١٣ يونيــة	١١٤٦
٥٤٢	٢ يونيــة	١١٤٧
٥٤٣	٢٢ مايــو	١١٤٨
٥٤٤	١١ مايــو	١١٤٩
٥٤٥	٣٠ ابريــل	١١٥٠
٥٤٦	٢٠ ابريــل	١١٥١
٥٤٧	٨ ابريــل	١١٥٢
٥٤٨	٢٧ مارس	١١٥٣

« تابع ـ تواريخ مقارنة »

السنة الهجرية	تبدأ بالتاريخ الميلادي في	
٥٤٩	١٨ مارس	١١٥٤
٥٥٠	٧ مارس	١١٥٥
٥٥١	٢٥ فبراير	١١٥٦
٥٥٢	١٣ فبراير	١١٥٧
٥٥٣	٢ فبراير	١١٥٨
٥٥٤	٢٣ يناير	١١٥٩
٥٥٥	١٢ يناير	١١٦٠
٥٥٦	٣١ ديسمبر	١١٦٠
٥٥٧	٢١ ديسمبر	١١٦١
٥٥٨	١٠ ديسمبر	١١٦٢
٥٥٩	٣٠ نوفمبر	١١٦٣
٥٦٠	١٨ نوفمبر	١١٦٤
٥٦١	٧ نوفمبر	١١٦٥
٥٦٢	٢٨ اكتوبر	١١٦٦
٥٦٣	١٧ اكتوبر	١١٦٧
٥٦٤	٥ اكتوبر	١١٦٨
٥٦٥	٢٥ سبتمبر	١١٦٩
٥٦٦	١٤ سبتمبر	١١٧٠
٥٦٧	٤ سبتمبر	١١٧١
٥٦٨	٢٣ اغسطس	١١٧٢
٥٦٩	١٢ اغسطس	١١٧٣
٥٧٠	٢ اغسطس	١١٧٤
٥٧١	٢٢ يولية	١١٧٥
٥٧٢	١٠ يولية	١١٧٦
٥٧٣	٣٠ يونية	١١٧٧
٥٧٤	١٩ يونية	١١٧٨
٥٧٥	٨ يونية	١١٧٩
٥٧٦	٢٨ مايو	١١٨٠
٥٧٧	١٧ مايو	١١٨١
٥٧٨	٧ مايو	١١٨٢
٥٧٩	٢٦ ابريل	١١٨٣
٥٨٠	١٤ ابريل	١١٨٤
٥٨١	٤ ابريل	١١٨٥
٥٨٢	٢٤ مارس	١١٨٦
٥٨٣	١٣ مارس	١١٨٧
٥٨٤	٢ مارس	١١٨٨
٥٨٥	١٩ فبراير	١١٨٩
٥٨٦	٨ فبراير	١١٩٠
٥٨٧	٢٩ يناير	١١٩١
٥٨٨	١٨ يناير	١١٩٢
٥٨٩	٧ يناير	١١٩٣
٥٩٠	٢٧ ديسمبر	١١٩٣
٥٩١	١٦ ديسمبر	١١٩٤
٥٩٢	٦ ديسمبر	١١٩٥
٥٩٣	٢٤ نوفمبر	١١٩٦
٥٩٤	١٣ نوفمبر	١١٩٧
٥٩٥	٣ نوفمبر	١١٩٨
٥٩٦	٢٣ اكتوبر	١١٩٩
٥٩٧	١٢ اكتوبر	١٢٠٠
٥٩٨	١ اكتوبر	١٢٠١
٥٩٩	٢٠ سبتمبر	١٢٠٢
٦٠٠	١٠ سبتمبر	١٢٠٣
٦٠١	٢٩ اغسطس	١٢٠٤
٦٠٢	١٨ اغسطس	١٢٠٥
٦٠٣	٨ اغسطس	١٢٠٦
٦٠٤	٢٨ يولية	١٢٠٧
٦٠٥	١٦ يولية	١٢٠٨
٦٠٦	٦ يولية	١٢٠٩
٦٠٧	٢٥ يونية	١٢١٠
٦٠٨	١٥ يونية	١٢١١
٦٠٩	٣ يونية	١٢١٢
٦١٠	٢٣ مايو	١٢١٣
٦١١	١٣ مايو	١٢١٤
٦١٢	٢ مايو	١٢١٥

« تابع — تواريخ مقارنة »

السنة الهجرية	تبدأ بالتاريخ الميلادي في	
٦١٣	٢٠ ابريل	١٢١٦
٦١٤	١٠ ابريل	١٢١٧
٦١٥	٣٠ مارس	١٢١٨
٦١٦	١٩ مارس	١٢١٩
٦١٧	٨ مارس	١٢٢٠
٦١٨	٢٥ فبراير	١٢٢١
٦١٩	١٥ فبراير	١٢٢٢
٦٢٠	٤ فبراير	١٢٢٣
٦٢١	٢٤ يناير	١٢٢٤
٦٢٢	١٣ يناير	١٢٢٥
٦٢٣	٢ يناير	١٢٢٦
٦٢٤	٢٢ ديسمبر	١٢٢٦
٦٢٥	١٢ ديسمبر	١٢٢٧
٦٢٦	٣٠ نوفمبر	١٢٢٨
٦٢٧	٢٠ نوفمبر	١٢٢٩
٦٢٨	٩ نوفمبر	١٢٣٠
٦٢٩	٢٩ أكتوبر	١٢٣١
٦٣٠	١٨ اكتوبر	١٢٣٢
٦٣١	٧ أكتوبر	١٢٣٣
٦٣٢	٢٦ سبتمبر	١٢٣٤
٦٣٣	١٦ سبتمبر	١٢٣٥
٦٣٤	٤ سبتمبر	١٢٣٦
٦٣٥	٢٤ أغسطس	١٢٣٧
٦٣٦	١٤ أغسطس	١٢٣٨
٦٣٧	٣ أغسطس	١٢٣٩
٦٣٨	٢٣ يولية	١٢٤٠
٦٣٩	١٢ يولية	١٢٤١
٦٤٠	١ يولية	١٢٤٢
٦٤١	٢١ يونية	١٢٤٣
٦٤٢	٩ يونية	١٢٤٤
٦٤٣	٢٩ مايو	١٢٤٥
٦٤٤	١٩ مايو	١٢٤٦
٦٤٥	٨ مايو	١٢٤٧
٦٤٦	٢٦ ابريل	١٢٤٨
٦٤٧	١٦ ابريل	١٢٤٩
٦٤٨	٥ ابريل	١٢٥٠
٦٤٩	٢٦ مارس	١٢٥١
٦٥٠	١٤ مارس	١٢٥٢
٦٥١	٣ مارس	١٢٥٣
٦٥٢	٢ فبراير	١٢٥٤
٦٥٣	١٠ فبراير	١٢٥٥
٦٥٤	٣٠ يناير	١٢٥٦
٦٥٥	١٩ يناير	١٢٥٧
٦٥٦	٨ يناير	١٢٥٨

المصادر والمراجع

أولا : المصــــادر :

١ ــ ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٨ م) على بن أحمد بن الكرام
(أ) التاريخ الباهر . تحقيق عبد القادر طليمات . ط . القاهرة شعبان ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٣ م .
(ب) الكامل . ط . بيروت .

٢ ــ الاصطخرى (ت فى منتصف القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى)
أبو اسحق ابراهيم بن محمد الفارسى الاصطخرى .
المسالك والممالك . القاهرة ١٣٨١ هـ / ١٩٦٠ م .

٣ ــ الأصفهانى (عماد الدين محمد بن حامد) ــ تاريخ دولة آل سلجوق
اختصار الشيخ الامام على بن محمد البندارى الأصفهانى .
الطبعة الثالثة . بيروت ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

٤ ــ ابن أيبك (القرن الثامن) أبو عبد الله بن أيبك الدوادارى ــ كنز الدرر وجامع الغرر ــ الجزء الثامن بعنوان « الدرة الزكية فى أخبار الدولة التركية » تحقيق : أولرخ هارمان ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م .

٥ ــ البغدادى (ت ١١٠٢ هـ / ١٦٩٠ م) .
عيون أخبار الأعيان فيمن مضى من سالف العصر والأوان ــ تصوير شمسى رقم ٣٨١٠ تاريخ . دار الكتب المصرية .

٦ ــ الجهشيارى (ت ٣٢١ هـ / ٩٤١ م) أبو عبد الله محمد بن عبدوس
كتاب الوزراء والكتاب .

٧ ــ الحسينى (صدر الدين على بن ناصر) ــ زبدة التواريخ ــ أخبار الأمراء والملوك السلجوقية ــ تحقيق : د. محمد نور الدين ــ الطبعة الأولى . بيروت ــ ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

٨ — ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ) شمس الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم ابى بكر الشافعى — وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان . ط. بيروت ١٩٧٢ م .

٩ — ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م) مقدمة ابن خلدون — ط. دار الشعب .

١٠ — ابن دقماق (٨٠٩ هـ) ابراهيم بن محمد بن أيدمر — الجوهر الثمين فى سير الملوك والسلاطين — مخطوط رقم ١٥٢٢ تاريخ بدار الكتب المصرية .

١١ — الذهبى (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) الحافظ شمس الدين — دول الاسلام — تحقيق: فهيم محمد شلتوت ، ومحمد مصطفى ابراهيم . ط. القاهرة ١٩٧٤ .

١٢ — الراوندى (حوالى النصف الثانى من القرن السادس الهجرى) محمد بن على بن سليمان الراوندى — راحة الصدور وآية السرور فى تاريخ الدولة السلجوقية — القاهرة ١٣٧٩ هـ .

١٣ — سبط ابن الجوزى (٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م) شمس الدين أبو المظفر يوسف قزاوغلى — مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان — ط. حيدر آباد ١٣٧٠ — ١٣٧١ هـ / ١٩٥١ — ١٩٥٢ م .

١٤ — أبو شامة (ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٨ م) بهاء الدين أبو محمد بن عبد الرحمن بن اسماعيل المعروف بأبى شامة المقدسى الدمشقى — كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية .
تحقيق : د. محمد حلمى محمد أحمد .

١٥ — أبو شجاع (محمد بن الحسين) — ذيل تجارب الأمم — ط. القاهرة ١٣٣٢ هـ / ١٩١٤ م .

١٦ — ابن شداد (بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع) ت ٦٣٢ هـ/ ١٢٣٤ م — النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية — صححه وحققه محمد محمود صبح . سلسلة كتب ثقافية .

١٧ـ الشيرازى (القرن الرابع الهجرى) هبة الله ـ مذكرات داعى دعاة الدولة الفاطمية ـ تحقيق د. عارف تامر . ط. بيروت ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

١٨ـ الطبرى (٢٢١ هـ ـ ٣١٠ هـ) أبو جعفر محمد بن جرير ـ تاريخ الرسل والملوك . تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم .

١٩ـ الطقطقى (محمد بن على بن طباطبا) ـ الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الاسلامية ـ ط. بيروت ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

٢٠ـ ابن العبرى (غريغوريوس أبو الفرج بن هارون الطبيب الملطى المعروف بابن العبرى) ـ مختصر تاريخ الدول ـ ط. بيروت ١٨٩٠ م

٢١ـ عريب بن سعد القرطبى ـ صلة تاريخ الطبرى (فى ذيول تاريخ الطبرى جـ ١١ ط . دار المعارف) .

٢٢ـ ابن العماد الحنبلى (ت ١٠٨٩ هـ / ١٤٠٤ م) ـ شذرات الذهب فى اخبار من ذهب ـ ط. بيروت ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .

٢٣ـ العصامى (ت ١١١١ هـ) عبد الملك بن حسن بن عبد الملك العصامى سمط النجوم العوالى فى أنباء الأوائل والتوالى . مخطوط رقم ٢٥٣ تاريخ . بدار الكتب المصرية .

٢٤ـ العينى (بدر الدين) ـ السيف المهند فى سيرة الملك المؤيد ـ تحقيق فهيم محمود شلتوت ومراجعة د. محمد مصطفى زيادة ط. القاهرة ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .

٢٥ـ أبو الفدا (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) عماد الدين اسماعيل ابو الفدا صاحب حماه (أ) المختصر فى اخبار البشر ـ ط. بيروت
(ب) تقويم البلدان ـ ط. باريس ١٨٤٠ م .

٢٦ـ ابن الفرات المصرى (ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم المعروف بابن الحنفى المصرى) ـ (ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٤ م) ـ تاريخ الدول والملوك ـ المجلد الرابع والمجلد الخامس ـ تحقيق : د. حسن محمد الشماع ـ ط. العراق سنوات ١٣٨٦ ، ١٣٩٠ هـ / ١٩٦٧ ، ١٩٧٠ م .

٢٧— ابن القلانسى (ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) أبو يعلى حمـزة — ذيل تاريخ دمشق — ط. بيروت ١٩٠٧ م .

٢٨— ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٢٧ م) الحافظ عماد الدين أبو الفـدا ابن اسماعيل القرشى — البداية والنهاية — ط. بيروت .

٢٩— مجهول : — العيون والحدائق — ط. ابريل ١٨٧١ م .

٣٠— أبو المحاسن (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م) جمال الدين يوسـف بن تغرى بردى — النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقـاهرة — ط. التأليف والترجمة والنشر .

٣١— المسعودى (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م) أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى — مروج الذهب ومعادن الجوهر — الطبعة الخامسة ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م .

٣٢— مسكويه (أبو على احمد) — تجارب الأمم — ط. ١٣٢٢ هـ/١٩١٤ م اعتنى بنسخه وتصحيحه هـ. ف. آمدروز .

٣٣— المقريزى (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ — ١٤٤٢ م) تقى الدين أحمد بن على — (أ) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا — تحقيق : د. محمد حلمى محمد أحمد — (ب) السلوك لمعرفة دول الملوك — ط. دار الكتب المصرية — (جـ) المواعظ والاعتبـار بذكر الخطط والآثار — ط. بيروت .

٣٤— ابن مماتى (ت ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م) — كتاب قوانين الدواوين — جمع وتحقيق عزيز سوريال عطية — ط. مصر ١٩٤٣ م .

٣٥— النويرى (٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م) — نهاية الأرب فى فنون الأدب — ط. دار الكتب المصرية .

٣٦— الهمذانى (محمد بن عبد الملك) — تكملة تاريخ الطبرى — (فى ذيول تاريخ الطبرى جـ ١١ . ط. دار المعارف .

٣٧— ابن واصل (ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٧ — ١٢٩٨ م) جمال الدين محمد ابن سالم بن واصل — مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب — تحقيق د. جمال الشيال ، دكتور / حسنين ربيع — ط. القاهرة ١٩٥٣ م.

٣٨— ياقوت الحموى (الامام شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى) — (أ) معجم البلدان — ط. بيروت .
(ب) المشترك وضعا والمفترق صقعا — ط. جوتنجن ١٨٩٤ م .

٣٩— اليعقوبى (احمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسى المعروف باليعقوبى) — تاريخ اليعقوبى — ط. دار صادر بيروت .

ثانيا : المراجــع العربيــة

١ — ابراهيم أحمد العدوى (الدكتور) — حركات التسلل ضد القومية العربية — العدد ٥٠ المكتبة الثقافية ١٩٦٢ م .

٢ — أحمد احمد شلبى (دكتور) — موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية — ط. القاهرة ١٩٦١ م .

٣ — أحمد فريد رفاعى (دكتور) — عصر المأمون — القاهرة . الطبعة الأولى ١٣٤٦ هـ / ١٩٢٧ م .

٤ — أحمد معوض (دكتور) — طغرلبك — القاهرة . الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣ م .

٥ — آدم ميتز — الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى — ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة — ط. بيروت ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .

٦ — البدراوى زهران (الدكتور) — فى علم اللغة التاريخى (دراسة تطبيقية على عربية العصور الوسطى) القاهرة . الطبعة الثانية ١٩٨١ م .

٧ — برجاوى (سعيد أحمد) (الدكتور) الحروب الصليبية فى الشرق ط . بيروت ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

٨ — البقلى (محمد قنديل) — التعريف بمصطلحات صبح الأعشى — ط. القاهرة ١٩٨٤ م

٩ — حسن ابراهيم (الدكتور) — تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى — القاهرة . الطبعة الثالثة ١٩٤٩ م .

١٠ــ حسن الباشا (الدكتور) ـ الألقاب الاسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار ــ ط. القاهرة ١٩٥٧ م .

١١ــ حسن أحمد محمود (الدكتور) ــ العالم الاسلامى . الطبعة الأولى بالاشتراك مع الدكتور أحمد ابراهيم الشريف .

١٢ــ حسن حبشى (الدكتور) ــ نور الدين والصليبيون ــ ط. جامعة فؤاد الأول .

١٣ــ سرهنك (اسماعيل) ـ حقائق الأخبار عن دول البحار ـ مصر . الطبعة الأولى ١٣٤١ هـ / ١٩٢٣ م .

١٤ــ حافظ أحمد حمدى ــ الشرق الاسلامى قبيل الغزو المغولى ــ ط. القاهرة .

١٥ــ الخربوطلى : على حسنى (الدكتور) ـ العرب والحضارة ــ ط. القاهرة ١٩٦٦ م .

١٦ــ الخضرى (محمد) ــ تاريخ الأمم الاسلامية (الدولة العباسية) الطبعة الخامسة ١٣٦٤ هـ / ١٩٤٥ م .

١٧ــ رنسيمان (ستيفن) ــ تاريخ الحرب الصليبية ــ ترجمة الدكتور السيد الباز العرينى ـ ط. بيروت .

١٨ــ سعيد عبد الفتاح عاشور (الدكتور)

(أ) العصر المماليكى فى مصر الشام ــ القاهرة ط. الثانية ١٩٧٦

(ب) الحركة الصليبية ــ القاهرة ط. الأولى ١٩٦٣

(جـ) مصر فى العصور الوسطى بالاشتراك مع عبد الرحمن الرافعى الطبعة الأولى .

(د) أضواء جديدة على الحروب الصليبية ــ العدد ١١٨ المكتبة الثقافية ــ القاهرة ١٩٦٤ .

١٩ــ سيدة كاشف (الدكتورة) ــ أحمد بن طولون ـ سلسلة أعلام العرب

٢٠ــ السيوطى (جلال الدين) ــ تاريخ الخلفاء ـ مصر . الطبعة الرابعة ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م

٢١— طليمات (عبد القادر) — مظفر الدين كوكبورى أمير اربل — سلسلة أعلام العرب رقم ٣٢ .

٢٢— عبد المنعم ماجد (الدكتور)
٢ — العصر العباسي الأول — ط. القاهرة ١٩٣٩ م .
٢ — العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ط. بيروت.

٢٣— على ابراهيم حسن (الدكتور)
(أ) التاريخ الاسلامى العام القاهرة بدون تاريخ
(ب) نساء لهن فى التاريخ الاسلامى نصيب القاهرة ١٩٨١ م
(جـ) النظم الاسلامية — الطبعة الأولى — بالاشتراك مع الدكتور حسن ابراهيم حسن .

٢٤— على حبيبة (الدكتور) — العباسيون فى التاريخ — ط. القاهرة ١٩٨٠ م .

٢٥— فيليب حتى (الدكتور) — سوريا ولبنان وفلسطين — ترجمة د./ كمال اليازجى — دار الثقافة . بيروت ١٩٥٩ م .

٢٦— محمد جمال الدين سرور (الدكتور)
(أ) تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق من عهد نفوذ الأتراك الى منتصف القرن الخامس الهجرى — القاهرة ١٣٨٤ هـ/١٩٦٥ م
(ب) سياسة الفاطميين الخارجية — ط. القاهرة ١٣٩٣ هـ/١٩٧٣ م
(جـ) الحياة السياسية فى الدول العربية خلال القرنين الأول والثانى بعد الهجرة — الطبعة السادسة . القاهرة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م

٢٧— محمد حلمى محمد أحمد (الدكتور)
(أ) الخلافة والدولة فى العصر العباسى — القاهرة . ط. الثانية ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .
(ب) مصر والشام والصليبيون — القاهرة . ط. الثانية ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

٢٨— محمود شاكر — تاريخ الخلافة العباسية — ط. الأولى بيروت ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

٢٩ــ موير : تاريخ دولة المماليك فى مصر ــ ترجمة محمود عابدين وسليم حسن ــ القاهرة الأولى ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٤ م .

٣٠ــ وفاء محمد على (الدكتور)

(أ) الخلافة العباسية فى العصر التركى الأولى ــ ط. القاهرة ١٩٨٤م

(ب) نفوذ النساء فى الدولة الاسلامية ــ ط. القاهرة ١٩٨٦ م

(جـ) قيام الدولة الأيوبية فى مصر والشام ــ القاهرة ١٩٨٧ م

ثالثا : المراجــع الأجنبيــة :

1 — AMIR Ali (Sayed);
A short history of the saracenes. London 1981.

2 — BARKER (ERNEST);
The crucades. London 1925

3 — BROKELMAN (Carl);
History of Islamic people. London 1929.

4 — Calthrop (M.M.C);
The crusades. Edinbourg 1913.

5 — Cambridge. Mid. History. (Cambridge 1923)

6 — Cox (Sir Zeorge);
The crusades. (London 1889)

7 — Ency. de. L'Islam 2 sdition

8 — Ency. Britanica. (Chicago – London – Torento)

9 — Gibb (H.A.R)
The Damascus chronicle of the crusades, London 1932

10 — Grouseet (Réne)
L'Epopée des croisades (Paris 1939)

11 — KERR (ANTONY)
The crusades (London 1966)

12 — Lane – poole (Stanley);

A – History of Egypt in the middle ages. London

B – Saladin and the fall of kingdon of Jerusalem

(London 1893)

13 — Huir (Wiliam)

The Caliphate' its rise, decline and fall

(Edin bourg 1948)

14 — Riley - Smith;

The crusades, Idea and reality

(Documents of Medieval history) London 1981

15 — Runciman, (Stefen)

A history of the crusades (London 1914)

16 — Saunders (J.J.);

A history of medieval Islam (London 1972)

17 — Shaban (H. A);

Islamic history Vol 2 (Cambridge 1986)

18 — Stevenson (W.B)

The crusaders in the Sast. (Cambridge 1907)



الفهرس

صفحة

صفحة

الفصـــــل الثالث :

صفحة

رقم الايداع ٧٤٢٧/٨٨
ترقيم دولي ٥ــ٠٣٢ــ١٠ــ٩٧٧

دار عطـــوه للطبـــاعة